

التحفة  
الجليلة

في معرفة أصول الفقه  
والفروع

تأليف  
الشيخ الفاضل  
العلامة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

التَّجَاهِدُ  
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَجِيبِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مركز تحقيقات کامپیوتری و علوم اسلامی

شماره ثبت: ۲۸۵۴۸

تاریخ ثبت:

۲۹

# التَّجَاهِدُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِمَجِيدٍ



تأليف

السَّيِّحُ عَلِيُّ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مُحَمَّدٍ مَرْزُوقِ

المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

سرشناسه	: مرزه، علي
عنوان و پديدآور	: التجديد في تفسير القرآن المجيد / تأليف علي عبدالرزاق مجيد مرزه
مشخصات نشر	: قم؛ رادنگار، ۱۳۸۵.
مشخصات ظاهري	: ۶ ج.
فروست	: المؤسسة الاسلامية للبحوث والمعلومات؛ ۲۸
شابك	: 978 - 964 - 2818 - 10 - 5
شابك دوره	: 978 - 964 - 2818 - 15 - 0
وضعت فهرست نویسی:	: فيبا.
موضوع	: تفاسير شيعه - قرن ۱۴.
رده بلدی کنگره	: ۳ت ۹۸/م ۴۲۵ BP
رده بلدی دهبوی	: ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابخانه ملی	: ۴۹۱۱۶ - ۸۵



### مرکز تحقیقات کتابت هویة الكتاب

اسم الكتاب ..... التجديد في تفسير القرآن المجيد / ۶ ج

المؤلف ..... الشيخ علي عبدالرزاق مجيد مرزه

التمقيق والإخراج الفني ..... المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

الناشر: ..... رادنگار

الطبعة ..... الأولى / ۱۴۲۸ هـ ق - ۱۳۸۶ هـ ش

المطبعة ..... عمران

الكمية ..... ۱۰۰۰ دورة

شابك: ۹۷۸-۹۶۴-۲۸۱۸-۱۰-۵ شابك الدورة: ۹۷۸-۹۶۴-۲۸۱۸-۱۵-۰

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَالَّذِي جَعَلَ الْمَوْتَ  
وَالْحَيَاةَ وَالَّذِي  
يُعِيدُ النَّفْسَ إِلَى  
جَسَدِهَا وَالَّذِي  
يُعِيدُ النَّفْسَ إِلَى  
جَسَدِهَا وَالَّذِي  
يُعِيدُ النَّفْسَ إِلَى  
جَسَدِهَا



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة: ٤٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الجزاء: الكفاية.

٢- الشفيح: هو الزوج: وهو ضمّ الشيء إلى مثله، المقابل للفرد.

٣- العدل: الاستواء.

٤- النصر: المعونة والتقوية.

### ● الشفاعة في التشريع

س: لماذا هذا الترتيب في الآية (النفس)(الشفاعة)(العدل)(النصرة)؟ اذكر  
المحتملات في ذلك.

ج:

١- أن هذا الترتيب قد يمثل الدورة الكاملة للتخلص من المكروه والحالة الحرجة التي يقع فيها الإنسان ولا يقدر على دفعها لوحده، فيحتاج إلى المعونة أوالنصرة، حيث المرحلة الأولى يفزع الإنسان بنفسه ولوحده ليتخلص من تلك



الحالة بدافع من الحمية الفطرية وعزة النفس التي يمتلكها الإنسان، فإذا رأى من نفسه أنه لا طاقة له على الدفع لوحده التجأ إلى المرحلة الثانية من طلب الشفاعة وإلى من يعينه ممن هو قريب منه، فإذا رأى أن هذا الأسلوب هو الآخر لم ينفع أو غير متوفر التجأ إلى المرحلة الثالثة وهي دفع فداء الشيء بمثله من جنسه أو من غير جنسه كبديل للتخلص، فإذا رأى الرفض وعدم القبول بالعدل والفداء التجأ إلى المرحلة الرابعة والأخيرة وهي طلب النصرة بمن يرجو أن ينصروه ممن لهم القابلية على النصرة والمعونة الجماعية.

٢- أن يكون النظر إلى هذه الأمور الأربع لا من باب أنها تمثل مراحل التخلص من المكروه أو مطلق الحاجة، بل بما أنها من جملة الأسباب الطبيعية وأهمها بهذا الشأن، ولما كان يوم القيامة تنتهي فيه أسباب الدنيا جميعاً ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦)، فإن هذه الأسباب الأربعة هي الأخرى منتفية؛ لأنها من أسباب الدنيا التي يتوسل الإنسان بها للوصول إلى غرضه ودفع الضرر عنه.

س: لماذا في يوم القيامة تنقطع فيه أسباب الدنيا وقوانينها ومؤثراتها؟

ج:

كل قانون من قوانين الطبيعة لم يكن مستقلاً بذاته وعمله، وإنما ما يحكم الطبيعة سلسلة من القوانين المترابطة من جهة العلة والمعلولية أو الحاكمية أو التلازم، فلو حذف قانون من قوانين الطبيعة في الحياة معناه حذف كل قانون معلول له في وجوده وعمله أو بما هو حاكم عليه أو ملازم له، وبقينا عند هذه الحالة سيختل حجم من ساحة الطبيعة التي كانت تؤثر عليه تلك القوانين التي حذفت، فلو حذفنا مثلاً الشمس من وجود الطبيعة التي نعيشها فيقينا أنه سيحصل خلل في كل

موازن الحياة، بل ربما موتها فعلاً، واختلال الموازين لا يؤثر أثره على الوجود المادي فحسب، بل يؤثر أثره على الوجود الروحي والأخلاقي كذلك فلو استمرت ظاهرة طبيعية واحدة كالسيل المائي مثلاً على منطقة من المناطق فتأثيره في ضعف الروح والأخلاق أكثر من تأثيره في الخسارة المادية، ويوم القيامة يخبرنا الله عن كل وجود له أثره وتدخله في حياة الإنسان، كالشمس والقمر والنجوم والسموات والأرض والبحار وغيرها، التي سيحصل لها التكوير أو الاندثار أو التبديل أو انعدامها في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ • وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ • وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ • وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ • وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ • وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (التكوير: ٦-١١)، فهذا يعني لا وجود لأي قانون دنيوي كانت ترتبط به المادة ويؤثر أثره على روح الإنسان وأخلاقه وخصوصاً إذا قلنا بوجود السنخية والانسجام بين مكونات الإنسان وقانون الطبيعة المفقود يوم القيامة.

إذا عرفنا هذا نعرف أنه من الطبيعي أن تتقطع جميع الأسباب المادية والمعنوية، ويدخل الإنسان إلى عالم جديد بما يحمل الجديد من معنى، وله قوانينه المنسجمة معه كيوم حساب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ • وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ (عبس: ٣٤-٣٥)، ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: ٩٥)، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق: ٢٢).

س: عن أي شيء تتحدث هذه الآية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؟

ج:

عن أول ظاهرة من الظواهر العامة وعن أول قانون من القوانين العامة ليوم

الحساب، حيث لا واسطة تُقدّم ولا بدلاً يُعطى ولا مُناصرة تقع، فإذا كانت الشفاعة والعدل والمناصرة أحد القوانين المسنونة في الدنيا فإن الآخرة خالية منها وقت الحساب، باعتبار أن الحاكمية لله فقط، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (الانفطار: ١٩)، ولازم هذا القول أن ليس أمام الإنسان في الدنيا إلا الاتكال على نفسه من خلال سعيه في عمله الذي سوف يقدمه في ساحة الحساب أمام الله سبحانه وتعالى.

س: صحيح أن العدل لا يعطى والمناصرة لا تقع في يوم القيامة، أمّا الشفاعة في القرآن ففيها كلام غير هذا في آيات أخرى، وضّحوا ذلك وأنتم تتحدّثون عن الشفاعة في القرآن من خلال جوابكم على الأسئلة، والسؤال الأول حولها: ما هو تعريف الشفاعة مع التوضيح؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

الشفاعة: وهي انضمام سبب إلى سبب ناقص وضعيف لتتم السببية للفعل، فيقوى صاحب السبب الناقص على نيل ما يريده من زيادة في قوّة أو تكميل لنقص، فلو أراد صاحب السبب الناقص القيام بالفعل وحده لنقص وقصر وضعف عن نيل مراده، أو لا يحصل على أصل الفعل الذي يريده لنقصان سببته وعلمته، كمن يملك مالاً ويريد أن يشتري قسماً من الأرض ولم يكف المال لجميع مساحة الأرض المبيعة، فهنا يحتاج إلى انضمام شخص آخر إليه ليتمكننا من شراء جميع الأرض ليحصل الأوّل على القسم من الأرض الذي أراده، فلولا انضمام الثاني إليه لم يحصل على مراده في القسم من الأرض.

س: عدد الأدلة التي تثبت الشفاعة.

ج:

هي الأدلة الأربعة: ١- الكتاب. ٢- السنة. ٣- الإجماع. ٤- العقل.

س: اذكر بعض من الدليل العقلي الذي يثبت الشفاعة.

ج:

- ١- أن ترك الشفاعة من قبل الله مع وجود المقتضي وعدم المانع عنها نقص في رحمته التي هي عين ذاته تعالى، فيرجع النقص إلى الذات، وهو مستحيل.
- ٢- وجوب الشفاعة عقلاً في الأمور التي يتوقف عليها دفع ضرر بما هو الأهم ولم تلحق في الشفاعة ولا في الشافع أي ضرر من جميع الجهات، وهذه سجية العقلاء.

س: وضح أقسام مطلق الشفاعة، وأتى من الأقسام يكون هو المقصود في البحث؟

ج:

تنقسم الشفاعة من حيث وجودها في الكون والحياة إلى قسمين:

### الأول: الشفاعة في الدنيا

وتقصد بها مجموع القوانين الوسطية وكل ما يصدر عن الله قائم بعمله في الحياة الدنيا ويؤثر أثره فيها، والواقع بين الله وخلقه، وهي تنقسم إلى قسمين:

- ١- الشفاعة التكوينية: وهي قيام كل ما يفعل ويقوم بإيصال رحمة الله ورزقه وتدبير حياة الخلق بإذنه وجعله سبحانه وتعالى وتعيين وظيفته من قبل الله، كالملائكة

في تدبير أمر الكون، وكأداء القوانين الطبيعية عملها، فإن كل هذه تعمل كوسائط وشفعاء في إيصال الخير إلى الناس تعمل بإذن الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس: ٣).

٢- الشفاعة التشريعية: وهي قيام كل من يعمل ويقوم في إيصال التشريع، وهذه تنقسم إلى قسمين:

### أولاً: شفاعة التشريع الإلهي

وهي كل ما شرعه الله إلى الناس بحيث يكون وسيلة وسبباً في اكتساب رضا الله، أو نيل الدرجات إليه والقرب منه، وهي على أنواع منها:

١- ما يتعلق بفعل الإنسان: وهو مجموع العمل الصالح من التوبة والاستغفار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء ومجموع العبادات، وهكذا كل عمل وتكليف يلتزم به الإنسان بحيث يكون سبباً في الارتقاء إلى الله أو في محو الذنوب، قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٩)، ﴿... وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣).

٢- ما يتعلق بالشخص: وهي الوسائط من الأشخاص التي جعلها الله كسبب ووسيلة للوصول إلى مرضاته ورفع العذاب عنهم، منها: الملائكة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا﴾ (غافر: ٧)، ومنها: الأنبياء والأئمة، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (يوسف: ٩٧-٩٨)، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾ (الأنفال: ٣٣)، ومنها: الدعاة إلى الله بالأسفار، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

اغْفِرْ لَنَا وَلَاخَوَاتِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴿العشر: ١٠﴾، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لولا عباد ركع، ورجال خشع، وبهائم رتع، وأطفال رضع، لصبّ عليكم العذاب صباً»<sup>(١)</sup>.

٣- ما يتعلق ببعض الأشياء الخارجية: وهي الأشياء التي جعلها الله كسبب ووسيلة لنيل رضاه والتي يشير الله إلى وجودها من خلال الكتاب أو السنة، منها: القرآن، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٦)، ومنها: ما يتعلق بالمكان، كالمساجد والمشاهد المشرفة التي منها قبر النبي ﷺ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ (البقرة: ١١٤)، ومنها: ما يتعلق بالزمان، كشهر رمضان وليلة القدر وأيام العيد والجمع وأوقات الصلاة وغيرها كثير مما هو متعلق بالزمان ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ • لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ • تَنزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ • سَلِّمُوا هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر: ١-٥) ... وهكذا كل وسيلة جعلها الله لتكون سبباً في أن يحصل الإنسان من خلالها على الغفران أو ارتقاء مرتبة من القرب إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (المائدة: ٣٥).

### ثانياً: شفاعة التشريع الشيطاني

وهي كل ما يقوم بإيصال تشريع الشيطان ومراده إلى الناس، ويكون وسيلة وسبباً في نيل غضب الله ودخولهم جهنم، كشياطين الجن والإنس، ومفكري

الضلال، والظالمين، وكتب الضلال، والحُكَّام الظلِّمة، والأحكام الموضوعة المنافية للشرع، وأئمة الضلال، والمناسبات الوضعية الزمنية التي يحدث فيها الفجور والفساد، وكلّ هذا وغيره يعملون كوسائط في نقل الضلال الشيطاني إلى الناس ليزدادوا بُعداً عن الله وليحصلوا على درك المنازل، قال تعالى: ﴿وَمَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفْرٍ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ (الأنعام: ٩٤).

### الثاني: الشفاعة في الآخرة:

وهي كلّ ما يكون وسيلة بين الله والناس بحيث تكون سبباً في أن تقود الإنسان إلى جزائه، وهذه تنقسم إلى قسمين:

١- شفاعة العمل: وهو عمل الإنسان في الدنيا الذي يعرض بنفسه في الآخرة على الله ليساق الإنسان من خلاله إما إلى جنة أو إلى نار.

٢- شفاعة القيادة: وهي الوسائط التي صارت سبباً في تحصيل غضب الله أو رحمته إلى من اتخذهم في الدنيا كقدوة وأئمة وأتباع يقتفى بأثرهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١)، وهم على قسمين:

الأول: أئمة الكفر والضلال، وهم الوسائط التي تجلب غضب الله وتتممه وتؤكد على أقوامهم ممّا قدّموه من الأعمال التي استوجبت غضب الله يوم القيامة، فيقودون قومهم إلى النار، كفرعون وأمثاله، قال تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ (هود: ٩٨).

الثاني: أئمة الهدى، وهم الوسائط التي تجلب مغفرة الله ورحمته وتتممها على بعض أقوامهم ممّا قدّموه من أعمال الخير الناقصة؛ لاختلاطها بأعمال الشر والمعصية التي كانت سبباً في استحقاقهم النار، فيقودونهم إلى الجنة، كالأنبياء،

والأئمة، والصالحين، والملائكة، والشهداء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٦).

هنا وفي هذا القسم يقع أصل محلّ البحث والاختلاف في الشفاعة، ويتفرع منه البحث في الشفاعة التشريعية في الدنيا من شفاعة زيارة المشاهد المشرفة وإحياء ذكرى شخصياتهم والولاء لهم.

س: ما هي المحتملات التي ترد في الهدف من البحث في الشفاعة؟

ج:

أولاً: أنها من المواضيع التي شغلت حيزاً من آيات الذكر الحكيم والسنة النبوية بعدد لا بأس به من الكثرة.

ثانياً: وقوع الاختلاف فيها من عدة جهات للاختلاف الظاهري بين آياتها ورواياتها، فلا بد من تحرير محلّ النزاع.

ثالثاً: تصحيح الاعتقادات الخاطئة التي تعترض بعض الأفراد والمجتمعات بخصوص الشفاعة.

رابعاً: أنّ ابن آدم خطاء بسبب وجوده في الحياة الدنيا التي لا تنفك عن وقوعه في المعصية، وعليه كما يهتم الله في مسألة الحياة والآخرة وفي التقوى وما يترتب عليها من الثواب فلا بدّ أن يهتم بمسألة المعاصي التي يقع فيها الإنسان العام وكيفية علاجها لدى الإنسان؛ لأنّها جزء مهم من حياته ليفتح الله أمامه روح الحركة والطمأنينة من خلال أبواب الأمل التي يدخل الإنسان من خلالها، والتوبة لا تشمل كلّ حالات الإنسان، فالذي عصى الله من دون عناد أمل أن يتوب إلى الله ثمّ فاجأه الموت، حيث لو كان حيّاً لندم وتاب، فهنا لا بدّ من البحث في الشفاعة لئلا يرى هل



تقوم مقام التوبة أو لا؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ٩١)، والناصر: هو الشفيح.

خامساً: أن وجود الشفاعة لها أثر إيجابي في حياة الناس؛ لأنها تمثل جانب الأمل، ويحققه الله في الآخرة للوفاء بما وعد به من لطفه ورحمته عندما أعطى الله المقام المحمود للرسول ﷺ الذي هو مقام الشفاعة باتفاق المسلمين.

س: اذكروا بعضاً من تلك الاعتقادات الخاطئة التي تختص بالشفاعة.

ج:

١- بعض من المسلمين ينكر الشفاعة جملة وتفصيلاً لشبهة على الرغم من وجودها الواقعي الذي يذكره القرآن والسنة النبوية المتواترة، أو يؤمن بها المسلم، لكن لا كما يؤمن أهل الحق في الشفاعة لشبهة كذلك، منهم (الوعيدية): وهم المؤمنون بخلود مرتكبي الكبائر في جهنم، وأن الشفاعة ليس لها أثر على إزالة الذنوب، بل تقتصر على زيادة الثواب وعلى التكامل المعنوي.

٢- بعض من الناس يعتقد أن ما يحدث في الدنيا من الأمور هي نفسها في الآخرة، كتبديل حكم الحاكم إلى جانب المتهم لمعرفة به، أو لرشوة كان يحتاجها الحاكم، أو لتوسط أحد الشفعاء المؤثرين على الحاكم، أو إعطاء بدل عمًا اقترفه المتهم فقتل بذلك، أو أن المتهم له قوم أقوياء يستنصرونه عند الحاجة ... وغيرها من الأسباب التي تجري في هذه الحياة ممّا يكون اعتقاداً خاطئاً لدى الإنسان بالقياس للتشابه بين ما يحدث هنا والشفاعة هناك.

٣- مُعتقد بعض أصحاب الديانات السماوية كبعض الفرق المنحرفة من النصرانية

حيث يعتقدون بالشفاعة المطلقة للمسيح ﷺ، والبعض الآخر يعتقد بدفع العدل والبدل عن ذنوبه في الدنيا مقابل غفرانه يوم القيامة المسمى بـ(صك الغفران)، وبعضهم يعتقد أن الله قد ميّزه بالقرب والحب وأنه المفضل على غيره من البشر، وهذا يكفي في خلاصه يوم القيامة، وهذا النوع من الاعتقاد وقعت فيه اليهود، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: ١٨).

٤- مُعتقد بعض المجتمعات قديماً وحديثاً يدفنون مع الميت شيئاً من الزخرف والزينة اعتقاداً منهم لتمتع الميت بها في آخرته، أو يدفنون معه بعض أنواع السلاح ما يدافع به عن نفسه، أو يدفن إلى جنب الأبطال ليستنصر به ... وغيرها من الأمور التي يعتقدون بأنها كما لها تأثير في الدنيا لها التأثير في الآخرة أطراداً.

س: ما هي أوجه نظر القرآن في الشفاعة؟

ج:

للقرآن أربعة وجوه في الشفاعة، وهي:

الأول: لا وجود للشفاعة ونفيها كلياً، ومن تلك الآيات الدالة على ذلك هي:

١- قال تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

٢- قال تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦).

٣- قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨).

٤- قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ \* وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء: ١٠٠-١٠١).

٥- قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (الدخان: ٤١).

٦- قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَآلَهُ مِنْ

هَادٍ﴾ (المؤمنين: ٣٣).

الثاني: الشفاعة موجودة ومختصة بالله، ومن تلك الآيات الدالة على ذلك هي:

١- قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (السجدة: ٤).

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (الزمر: ٤٤).

٣- قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ (الأنعام: ٥١).

الثالث: الشفاعة موجودة لغير الله بإذنه سبحانه، ومن تلك الآيات الدالة على

ذلك هي:

١- قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

٢- قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ (سبا: ٢٣).

٣- قال تعالى: ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَيَرْضَىٰ﴾ (النجم: ٢٦).

٤- قال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (يونس: ٣).

الرابع: الشفاعة موجودة لغير الله بإذنه سبحانه بشروط بعضها متعلق (بالشفيع)

وبعضها متعلق (بالمشفوع له)، ومن تلك الآيات الدالة على ذلك هي:

١- قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: ٨٦).

٢- قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشِيئَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

٣- قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ (مريم: ٨٧).

س: كيف نجمع بين هذه الآيات حتى نرفع ما ظاهره التنافي؟

ج:

أن نلاحظ الأمور التالية:

أولاً: أن الآيات التي تنفي الشفاعة تعطي القاعدة الأوليّة والحالة الأساسيّة التي يبتني عليها يوم الحساب وهي أنه لا شفاعة، ليعرف الجميع أنه سبحانه هو المتفرد بالحكم والملك والميزان والحساب المباشر منه للجميع لا أحد يتدخل ويقدر على ذلك غيره سبحانه، وأنه اليوم الذي لا بدّ أن يظهر عدله ومملكه فيه أولاً وقبل كلّ شيء.

ثانياً: أن الآيات التي يتدرّج فيها يجعل الشفاعة ويحصرها بنفسه بعد جعلها، ليعرف الجميع أن الشفاعة جعل منه وإليه، وأنه صاحب الاختيار الأوّل لهذا الجعل، وأن هذا الجعل بيده إن شاء حصره بنفسه وإن شاء أذن لغيره بجعله وإذنه سبحانه. ثالثاً: أن الآيات التي يتدرّج فيها أكثر فيعطي الشفاعة ويمنحها للآخرين بإذنه ولطفه بالشروط التي يضعها هو سبحانه وتعالى من دون تدخل أحد من خلقه.

س: هل هذا النوع من التدرّج في الجعل منحصر في الشفاعة؟

ج:

لم يكن هذا الأسلوب وطريقة التدرّج هذه غريبة ومنحصرة بالشفاعة، بل القرآن يطرح من أمثالها في حصول التدرّج فيها كالولاية التي يمرّ التدرّج في جعلها عند ملاحظة الأمور التالية:

أولاً: حيث ينفي الله الولاية لأيّ أحد ويجعلها ابتداءً لنفسه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ٥١)، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿البقرة: ٢٥٧﴾.

ثانياً: ثم يتدرج في أن يجعل الولاية له سبحانه ويشرك بها الرسول والأئمة الأطهار عليهم السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٥٥).

ثالثاً: ثم يتدرج أكثر في أن يجعل الولاية لعامة المؤمنين بلطفه ورحمته ليرسم أحد طرق العلاقة والارتباط فيما بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١).

س: في أي مورد ومحل تجري الشفاعة بالتحديد؟

ج:

يُسمى الأمر والنهي حكماً، ويُسمى استحقاق الثواب عند الامتثال والعقاب عند المخالفة تبعات الحكم، الشفاعة تجري في تبعات الحكم، أي في الوسط ما بين صدور الحكم والجزاء الفعلي، كالسارق الذي ثبتت عند الحاكم سرقة ثم حكم عليه الحاكم بقطع يده مثلاً وقبل سوجه إلى ساحة الجزاء الفعلي لقطع اليد تأتي الشفاعة.

س: هل الشفاعة تبطل حكم الحاكم؟

ج:

الشفيع لا يبطل حكم الحاكم، ولا يبطل التهمة عن المتهم، ولا يبطل المجازاة التي وقعت على المتهم، بل الشفيع مدعن بكل ذلك، ويعلم أن هذه الأمور خارجة عن دائرة تحرّكه واختصاصه. نعم، دور الشفيع أن يستعين بعوامل خارجة ومؤثرة تصنع حالة جديدة غالبية على الحكم بحيث تخرج المتهم عن كونه مورداً للحكم فلا يساق إلى ساحة الجزاء لغلبة هذه الحالة الجديدة على الحكم، فهي حالة جعلها

الله شبيهة بحالة الحكومة على الحكم الأول بعد أن تكون ناظرة إليه ومثبتة له ومقرّة فيه. وفي جميع الأحوال أن الشفاعة لم ولن تكون من الحالات المضادة للحكم الأول، ولهذا ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ»<sup>(١)</sup>.

س: ما هي الأمور الخارجة المؤثرة التي يصنعها الشفيع ليخرج المتهّم عن مورد الحكم الذي شمله؟

ج:

- ١- أن يتمسك الشفيع بصفات يمتلكها الحاكم ليصفح عن المتهّم، كالرحمة، والكرم، والرأفة، والسؤدد، والعظمة، والغنى... وغيرها من الصفات التي لو خرجت وأدّت مفعولها لا قيمة لذنب المذنب أمامها.
- ٢- أن يتمسك الشفيع بصفات المتهّم كذلته، ومسكنته، وتوسّله، واحتياجه، وندمه، وحيرته، أو مجرد انتمائه إلى ما هو محبوب عنده ككونه كريماً أو محسناً أو من عشاق الرسول ﷺ أو الأئمة عليهم السلام بحيث يكون مجرد انتمائه غالباً في بعض الأحيان على ذلك الذنب عند موازنته به.
- ٣- أن يتمسك الشفيع بصفات يمتلكها هو في شخصه ونفسه، من قربه إليه، ومحبّته به، وعزّته عليه، وكرامته لديه، ومنزلته عنده، أو يذكره بما وعده بألا يردّ له طلباً مثلاً، قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء: ٧٩) وهو مقام الشفاعة كما ورد هذا التفسير عن الفريقين للأحاديث الكثيرة،

ومنها نعرف أن الله قد أعطى إذن الشفاعة للرسول محمد ﷺ في الدنيا، وهذه  
مكرمة عظيمة للرسول ﷺ مميّزته عن بقية الشفعاء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ  
ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا  
رَحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤).

س: متى يتصدّى الشفيع للشفاعة؟

ج:

١- أن يطلب المشفوع له الشفاعة من الشفيع.

٢- أن يرى الشفيع أن المشفوع له يمتلك مؤهلات استحقاق التصدي للشفاعة

له، كأن يكون قد قدّم أعمالاً إلا أنها ناقصة، والنقص وإن كان كبيراً إلا أن القيام  
بشفاعته يمكن أن تتم ما فيه من النقصان؛ لأن الشفاعة دورها هو أن تكون

متّمة للسبب لا مستقلة في التأثير.

وبعبارة أخرى: أن يكون هناك شيء موجود وأن يمتلك الشخص شيئاً من

العمل الصالح، مثلاً أن يكون أقلّ معدّل النجاح لكلّ إنسان ٥١% للفوز بالجنة

مثلاً، والمعدّل الذي حصل عليه طالب الشفاعة بمعدّل ٤٩% فهذا يحتاج إلى

درجتين في المعدّل، ففي هذه الحالة يمكن أن يتدخل الشفيع عن طريق رحمة

الله لزيادة معدّله درجتين، أمّا إذا كان يمتلك شيئاً أصلاً فلا شفاعة له أصلاً

كالأمّي غير المتعلّم الذي يريد الحصول على شهادة الدكتوراه في التربية

والتعليم عن طريق الشفاعة! فمثل هذه الحالة لا يقوم الشفيع بشفاعته أصلاً،

وكذلك لا تشمل الشفاعة إذا كان يمتلك من العمل الصالح إلا أنه كان بمعدّل

٣٠% مثلاً.

س: إلى من يتصدى الشفيع يوم القيامة؟

ج:

- ١- ألى المؤمنين من أصحاب الكبائر سواء قبل دخولهم النار أو بعده، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «وأما شفاعتي فهي لأصحاب الكبائر»<sup>(١)</sup>.
- ٢- ألى المؤمنين الذين استحقوا الجنان ولكن يريدون مرتبة أعلى ودرجة أفضل، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعتي محمد ﷺ يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

س: وضح كيف تكون الشفاعة لأصحاب الكبائر؟

ج:

أنَّ الذنب إما أن يكون كبيراً أو صغيراً، فإذا كان صغيراً فهو مكفَّر عنه من قبل الله ولا يحتاج إلى شفاعتي الشافعين ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّهُ أَحْسَنَتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ (هود: ١١٤)، فتبقى الكبائر هي التي تحتاج إلى الشفاعة، ومن الكبائر هي الإصرار على الصغائر كما ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»<sup>(٣)</sup>، ومنه نعرف أنَّ الكبيرة في الآخرة هي قد تكون من الصغائر في الدنيا بالإصرار وعدم التوبة منها، أو من الكبائر مع عدم التوبة منها، وباختصار كلُّ ذنب لم يتب صاحبه عليه فهو يُعدُّ من الكبائر في يوم القيامة والحساب.

(١) الأمالي للصدوق: ٢٦١.

(٢) المحاسن ١: ١٨٤/١٨٦.

(٣) وسائل الشيعة ١٥: ٣١٢/٢٠٦١٠.



ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سييل». قيل: يابن رسول الله كيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، ومن ارتكب الكبيرة لا يكون مرتضى؟ فقال عليه السلام: «كفى بالندم توبة، وقال عليه السلام: مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَمَنْ لَمْ يَنْدَمْ عَلَى ذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَمْ تَجِبْ لَهُ الشَّفَاعَةُ وَكَانَ ظَالِمًا، وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ يَقُولُ: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾». فقيل له: يابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لا يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال عليه السلام: «ما من أحدٍ يرتكب كبيرةً من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصرّاً، والمصرّ لا يقفر له؛ لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، وأما قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفة بعاقبته في القيامة»<sup>(١)</sup>.

س: في أي مرحلة زمنية ومكانية محتملة تقع الشفاعة؟

ج:

١- بعد نهاية الحساب وقبل السوق إلى الجزاء الفعلي من الجنة أو نار، لتنقذ الشفاعة البعض من دخولهم إلى النار أو ترتقي بهم إلى الدرجات العليا من الجنة، ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «اللهم... وارزقني شفاعته الحسين عليه السلام يوم

الورود»<sup>(١)</sup> والورود حالة ما بعد الحساب.

٢- بعد نهاية الحساب وبعد الجزاء الفعلي ودخول النار، لتنقل الشفاعة البعض بخروجهم من النار إلى الجنة، باعتبار أن المؤمن لا يُخَلد في النار، قال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ • إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ • فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ • عَنِ الْمُجْرِمِينَ • مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ • قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصَلِينَ • وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ • وَكُنَّا نَحْوُضَ مَعَ الْخَائِضِينَ • وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ • حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ • فَكَأَنَّمُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (المذثر: ٢٨-٤٨)، أي إذا كان هذا حالهم فلا تنفعهم شفاعة الشافعين القائمة في نقل البعض من جحيم النار إلى نعيم الجنة، وإن سبب استقرار هؤلاء وخلودهم في النار لما ذكروه من الصفات، وأما غيرهم ممن لم يحملوا هذه الصفات فقد تنفعهم شفاعة الشافعين وتنقلهم عن مكانهم وإصرهم هذا.

س: اذكر شروط قبول الشفاعة من قبل الله.

ج:

الشرط الأول: قبول دين الإنسان من قبل الله سبحانه، حيث تبتدأ الشفاعة بمرحلتها الأولى بأن ينظر الله إلى المشفوع له، فإن ارتضى دينه الذي كان متمسكاً به في الدنيا أذن عند ذلك للشفيع أن يتصدى لشفاعته، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي، ثم قال صلى الله عليه وآله: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل». قال

الحسين بن خالد: فقلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾، قال عليه السلام: لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه»<sup>(١)</sup>.

الشرط الثاني: أن يكون الإنسان المشفوع له يمتلك العمل الصالح المختلط بالكبائر التي استحق النار عليها، وبعبارة أخرى: أن تكون للإنسان القابلية على أن يتصدى له الشفيع.

الشرط الثالث: أن يكون هناك ترابط بين المشفوع له وشفيعه في الدنيا، كمعرفة أو طاعة سابقة أو زيارة ودّ ومحبة بينهما أو الأخذ منه أو التعهد معه على الاستقامة، كما هو الحاصل من جوهر زيارة المراقدة المشرفة لقبر الرسول عليه السلام والأئمة الأطهار، أو كان متعلماً عند أحدهم، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيامة بعث الله العالم والعابد، فإذا أوقفنا بين يدي الله عز وجل قيل للعابد: انطلق إلى الجنة، وقيل للعالم: قف تشفع للناس بحسن تأديبك لهم»<sup>(٢)</sup>.

الشرط الرابع: ألا يكون المشفوع له مكتوباً عند الله أنه من الظالمين ومن أصحاب الدرجة الأولى من المجرمين الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولا ينظر إليهم، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٧٧).

س: لماذا جُعِلت الشفاعة مع الإمكان حذفها وتبديلها برحمة الله التي

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٥/١٢٥.

(٢) علل الشرائع ٢: ١١/٣٩٤.

وسعت كل شيء، فإنه سبحانه يقوم بها من دون حاجة إلى توسط الشفييع؟ اذكر المحتملات من الجواب.

ج:

أولاً: من سعة رحمته أن وضع الشفاعة، فسعة الرحمة تارة تُنجز بالمباشرة، وتارة بالواسطة.

ثانياً: أن الشفاعة أمر واقع في الدنيا، وضع من قبل أهل الأديان والخرافات بشكل خارج عن واقع الآخرة، ولم ينحصر هذا التشويش على فئة معينة، بل أخذ يسري إلى غيرهم من المجتمعات، فإذا أصبح ظاهرة يعتقد الناس بها فلا بد من علاجها، وكان علاجها من قبل الله أن أقرَّ بها وهذبها وجعلها بما تنسجم مع حقيقة يوم الآخرة.

ثالثاً: الإقرار بها من قبل الله كان مراعاة للأمور التالية:

١- أنها أسلوب يمثل جانب الأمل الذي يبعث روح النشاط وانفتاح الناس على الآخرة.

٢- حاجة أكثرية الناس إلى الوساطة التي تريد أن تتحدث معها بالمباشرة.

٣- أنها أسلوب لجذب اهتمام الناس بالوحدات التي عيَّنها الله لأن تكون شفعاء يوم القيامة.

رابعاً: من باب صدق الوعد ووجوب الوفاء به الذي جعله الله على نفسه من باب لطفه ورحمته أن يجري ويفتح باب الشفاعة يوم القيامة.

خامساً: أن رحمة الله التي وسعت كل شيء هذا لا يعني الفوضوية في التوزيع ومنفصلاً عن العدل، بل الرحمة تجري ضمن قانون ونظام بحيث لا تخل بصفة من

صفاته سبحانه وتعالى ولا تجحف بأحد دون الآخر، وكانت الشفاعة هي التي تمثل نظام توزيع الرحمة الإلهية في الآخرة بشكلها العادل.

سادساً: أن رحمة الله التي وسعت كل شيء هي الرحمة الخاصة بالمؤمنين الذين استحقوا هذه الرحمة دون غيرهم من عامة الحشر، راجع المجلد الأول مبحث رحمة الله.

س: ما هو الجواب على قول القائل: (إنَّ الشفاعة تنافي التوحيد العبادي والذاتي لله سبحانه وتعالى؛ وذلك لأنَّ لازم القول بالشفاعة كون رحمة الشفيع ورأفته أكبر من رحمة الله؛ لأنَّه لو لم تكن هناك شفاعة لعذب الله ذلك المذنب)؟

ج:

الشفاعة - كما قلنا - ليست من اختراع أحد، وإنما هي جعل إلهي من باب لطفه على العباد بالرحمة والمغفرة منه سبحانه وتعالى، وليس للشفيع إلا طلب تلك المغفرة والرحمة وتنفيذ لوعده سبحانه الذي أوجبه على نفسه من باب لطفه.

س: ما هو الجواب على قول القائل: (إنَّ تبليغ الشفاعة وإعلانها يدفع بالناس إلى التجري وإقتراف المعاصي)؟

ج:

أولاً: أن طريقة القرآن تسلك الإنسان بين الخوف والرجاء، وأحد طرق إحياء الأمل في قلب الإنسان وعدم قنوطه هي الشفاعة، وبعبارة أخرى: أن الشفاعة تحفظ عند الإنسان حالة التوازن لتبعت في المذنبين حالة الصحو واليقظة، وتصلح عنده حالة الانحراف الأخلاقي حتى لا يتحوّل إلى حالة نفسية مضطربة يائسة

منتقمة، فإنَّ الإنسان إذا يأس ازداد جريمةً وتمرداً، وهذا ما تجده واضحاً عند المعتادين على المخدرات الذين يأسوا من الشفاء.

ثانياً: إذا كانت الشفاعة تدفع الإنسان نحو التجري فمن باب أولى ألا يكون مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ (الزمر: ٥٢)؛ لأنه يفتح باب التجري على مصراعيه، ولازمه على الله ألا يذكر أنه غفور ورحيم ورحمن ورؤوف وغيرها من صفاته، وعليه أن يغلُق باب التوبة، وهو ظاهر البطلان.

ثالثاً: أن نفس الشفاعة ذات ميزان وحدود، فالذي يفهمها على ما هي سوف يرى أنها تحتاج إلى التزام وتوسل أكثر بأن يوفق إلى الشفاعة، وأن يوقه الله إلى قبول شفاعة الشافع، ولهذا نحن ندعو من الآن إلى أن يرزقنا الله شفاعة الشافعين وقبولها عنده يوم القيامة.

رابعاً: قد يلزم تجري الإنسان لو علم أن الشفاعة سوف تشمله على التعيين، ومهما اقترف من الذنوب وعلى أي وجه، وليس شيء من ذلك في الشفاعة.

س: ما هو الجواب على قول القائل: (السنة الإلهية جرت فيها حالة الثبات على الاستقامة وعدم التبديل في كلماته وفعله، قال تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (ناظر: ٤٢)، والشفاعة هي رفع لقضاء الله في استحقاق العقاب الذي ثبت على البعض مما يوجب اختلافاً في سنته وتبديلاً فيها)؟

ج:

١- من الخطأ الواضح أن نفهم سنة الله التي لا تتبدل بالاتجاه الواحد المحدد، فهناك صفات لله واحدة للذات متنوعة المعنى، منها: الرؤوف والرحيم والغفور

وغيرها، وهناك شديد العقاب المنتقم ذي البطش القهار وغيرها، فليس من الصحيح أن نحدّد نحن أن يكون الله على كلّ مجرم مهما كان إجرامه صغيراً كان أو كبيراً شديد العقاب ومنتقماً وقهاراً ونحذف عنه يوم القيامة من رحمته عليه ومغفرته لجرمه، فالسنة التي لا تبدّل يجب أن تلاحظ بالمجموع الكلي، فعندما يكتب على نفسه دخول بعض المذنبين إلى الجنة بواسطة الشفاعة، ضمن ميزان عادل قد وضعه هو سبحانه وتعالى في عملية الشفاعة لإبراز واسع رحمته ومغفرته، فهذا ليس تبديلاً بالسنة، بل هو ثبات على استحقاقات يراها هو سبحانه وتعالى بعضها متعلّق بصفاته، وبعضها متعلّق بالشفيع، وبعضها متعلّق بالمشفوع له.

٢- الله هو الرازق ورزقه جاري في الدنيا والآخرة، وإنّ الشفاعة رزق من الله للمشفوع له، فهل يُعدّ هذا النوع من الرزق تبديلاً لكلماته؟! أم التبديل يحصل في فهم ما يقول به النافون للشفاعة حيث يحصرون الرزق في الدنيا؟!

٣- سنة الله ثابتة في الثوابت والمتغيّرات، فهو سبحانه كما يعلم بالثابت يعلم بالمتغيّر، وقد وضع لكلّ شيءٍ حلاً، فسنته في الجميع لم تتغيّر ولم تبدّل، فكما وضع قانوناً للثوابت وضع قانوناً للمتغيّرات فلا تبديل ولا تحويل، ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩).

س: ما هو الجواب على قول القائل: (إنّ معنى الشفاعة هو وقوع الله تحت تأثير الشفيع حيث بواسطته حوّل الله غضبه إلى رحمته، وهذا نوع من الفعل والانفعال وتغيّر الحال البعيد عن الله الذي لا يعتريه هذا النوع من التغيّر المنافي لماهيّته وحقيقته وذاته سبحانه وتعالى)؟

نحن قلنا سابقاً إنَّ الشفاعة هي جعل إلهي وإرادة الله، فمبدؤها الله وإرادته النازلة على العبد بواسطة الشفيع بما هو مكتوب عنده فلا تأثير، فهي ليست صعوداً من المشفوع له إلى الشفيع إلى الله حتى تقول بالتأثير، فالله هو الذي عين الشفعاء بأمره ليقوموا بتعيين مَنْ يروونه مستحقاً للشفاعة، فالشفيع يقوم بتطبيق إرادة الله وقانونه في الشفاعة.

س: ما هو الجواب على قول القائل: (إنَّ هدف الشفاعة هو رفع العقاب، فهنا نقول: إما أن يكون رفع العقاب ظلماً أو عدلاً، فإن كان عدلاً فالحكم الأوّل الذي صدر بحقه من قبل الله ظلم، وإن كان رفع العقاب من قبل الشفيع ظلماً فسؤال الشفعاء سوف يكون سؤالاً عن ظلم وحاشا للشفعاء من ذلك)؟



ج:

نحن قلنا إنَّ الشفاعة ليس لها علاقة بالحكم الأوّل ولا بجزائه، وإنما هو دخول جديد للمشفوع له من باب جديد وهو باب رحمة الله ومغفرته وعفوه وغناه بإرادة الله بواسطة الشفيع، فإذا الشفاعة حالة جديدة تتمسك بحالة جديدة منفصلة عن الحكم لصنع مورد جديد فتحه الله لخاصة أوليائه لخاصة المذنبين، وعليه يكون الحكم الأوّل عدلاً والشفاعة عدلاً؛ لأنهما من الله العدل.

س: ما هو الجواب على قول القائل: (إنَّ الشفاعة تنافي أصلاً وسنةً سنّها الله لدار الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، والشفاعة إعطاء ثواب على عدم السعي إليه في الدنيا)؟

ج:



أولاً: هذا أول الكلام، حيث من قال: إن الشفاعة تأتي على عدم السعي أصلاً؟! مع أننا قلنا: إن الشفاعة متممة للسبب وجزء المقتضي لا سبباً مستقلاً ولا علّة تامّة، بمعنى أن الشفاعة تأتي على ما هو موجود إلا أنه موجود ناقص فيتمم بالشفاعة. ثانياً: لو يأخذ الله بعدله فقط على ما يقدمه الإنسان من الأعمال لم يدخل الجنة إلا القليل جداً، فالذي كتب على نفسه الرحمة كتب على نفسه قبول شفاعة الشافعين ليدخل من كان يحتاج إلى زحزحة قليلة من النار، ورد في الدعاء المأثور «اللهم... لا تأخذني بعدلك، وخذ عليّ بعفوك ورحمتك ورافتك ورضوانك»<sup>(١)</sup>.

س: ما هو الجواب على قول القائل: (إن حكم الله باستحقاق العذاب على المذنب كان نتيجة إحاطة علم الله بجميع ما يدور عليه الحكم، ودخول الشفيع لرفع العقاب معناه تبديل علم الله وإرادته وهو مستحيل على الله)؟

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

ج:

أولاً: نحن قلنا كما أن الله عالمٌ بالثوابت فهو عالمٌ بالمتغيّرات، فمن الخطأ أن نعتقد أن علم الله يبقى على حالته الواحدة مع تغير المعلوم من حالة إلى أخرى. وبعبارة أخرى: أن الله يعلم بالنتيجة التي يصل إليها الإنسان، لكن هذا لا يمنع من أن يكون علمه وإرادته تتماشى مع كل صغيرة وكبيرة في حياة الإنسان من الثوابت والمتغيّرات التي تحصل لدى الإنسان لأسباب وظروف، بل الله يتابعها بعلمه وإرادته، قال تعالى: ﴿يَخُوعُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)، فالمتغير هو المعلوم لا علم الله المطابق للثابت والمتغير، فالمستحيل هو عدم التطابق لا في

التعبير ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩).

ثانياً: كما يعلم الله باستحقاق المذنب النار بعدله، يعلم كذلك بدخوله الجنة بلطفه ورحمته وإرادته التي ستكون بواسطة شفاعة الشافعين له التي جعلها لهم بعلمه وإرادته، فالنتيجة التي يعلمها الله هي دخول المذنب الجنة لا النار، فلا تبديل لعلم الله ولا لإرادته في رفع العقاب بواسطة الشافعين.

س: بالإضافة إلى ما مرَّ من الروايات اذكر بعض ما ورد في السنة الشريفة حول الشفاعة.

ج:

- ١- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»<sup>(١)</sup>.
- ٢- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إن لكل نبي دعوة قد دعا بها وقد سأل في أمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي»<sup>(٢)</sup>.
- ٣- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر»<sup>(٣)</sup>.
- ٤- ورد عن الإمام الرضا ﷺ عن آبائه عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «مَنْ كَذَبَ بشفاعة رسول الله ﷺ لم تنله»<sup>(٤)</sup>.

(١) كنز العمال ١١: ٤٠٤/٣١٨٨٣.

(٢) الخصال: ١٠٣/٢٩.

(٣) المستدرک للحاکم النيسابوري ٤: ٧٨.

(٤) عيون الأخبار ١: ٢٩٢/٧١.

## ● موسى ﷺ وحركة بني إسرائيل

س: لماذا تريد ذكر قصة موسى من خلال القرآن في هذا الموضوع؟

ج:

لأنه سوف تمرّ آيات كثيرة في هذه السورة وهي تحكي عن مواقف وتنقل أحداثاً عن موسى ﷺ وفرعون وبني إسرائيل، بعضها متسلسل الوقوع وبعضها متقدّم على الآخر، ولم تكن هناك فكرة للقارئ عنهم ولا عن أساس الحدث وجذوره، ممّا يولّد بعض الإيهام على مستوى الفكرة أو على مستوى التحليل وموقع الواقعة، ولهذا سوف أذكر هنا قصة موسى وفرعون وحركة بني إسرائيل مع شيء من التفصيل لتأتي هذه الآيات بصورة مرتّبة ضمن سلسلة حدّتها وموقعها، ليحصل القارئ على تتابع الأحداث وسلسلة الأفكار والمواقف التي تطرحها الآيات؛ ممّا يعمّق الفكرة عند القارئ ويكشف أسراراً ما لم يكتشفها لو كانت متناثرة.

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

ثمّ عند وصولنا إلى آياتها في غير سورة البقرة سنذكر ما لم نذكره في هذا السرد من القصة ومن النكات المهمة للآية إن شاء الله، ولم يختصّ هذا الأسلوب بموسى بل سيجري إن شاء الله في كلّ عدد من الآيات وهي تحمل الموضوع الواحد والقصة الواحدة، فنحن سنجمع آياتها المنتشرة لتكون قصة واحدة تساعد القارئ في فهم وكشف الكثير من الغموض الذي تحويه القصة.

س: إلى من يرجع موسى من حيث النسب؟

ج:

هو موسى بن عمران بن يصر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام جميعاً.

س: هل لاسم موسى معنى معيناً؟

ج:

١- قد يكون له معنى كما ورد في بعض الروايات أن اسم موسى في اللغة القبطية مركب من جزأين (مو) بمعنى الماء و(سى) بمعنى الشجر، وسمي بذلك لأنه التقط بين الماء والشجر.

٢- ألا يكون موسى إلا اسم علم أسماء الله به، وقد أوصى به الأنبياء وقد التزم عمران بذلك فسماه موسى، ورد عن الإمام الصادق ﷺ قال: «إن يوسف بن يعقوب ﷺ حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب وهم ثمانون رجلاً فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويسومونكم سوء العذاب، وإنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب اسمه موسى بن عمران، غلام طويل جعد آدم، فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمي ابنه عمران، ويسمي عمران ابنه موسى»<sup>(١)</sup>.

٣- قد يمكن الجمع بين الأول والثاني ولا منافاة، فنقول: إن فرعون أسماه موسى للسبب المذكور في النقطة الأولى ولا يعلم أن فرعون بتسميته هذه قد انجر إلى مشيئة الله في تسميته موسى.

س: من هي أم موسى؟

ج:

١- في نسبها وتسميتها احتمالات هي: (نخيب، ناجية، أفاحية، بوخائيد) ... بنت إسموئيل بن يركيا بن يقشان بن إبراهيم ﷺ.

٢- ولدت لعمران هارون وموسى عليهما السلام.

٣- كانت لها بنت من غير عمران أو من عمران، فيه اختلاف.

س: أيهما أكبر هارون أم موسى؟

ج:

هارون عليه السلام أكبر من موسى عليه السلام، وكان له ابنان، شبر وشبير، ومعناهما بالعربية

حسن وحسين، ومات هارون قبل موسى.

س: كم كان مجموع عمر موسى؟

ج:

قد يكون مائة وعشرين سنة أو أكثر بقليل.



س: من هو فرعون؟

ج:

١- فرعون مفرد فراعنة، وهو اسم يطلق على رئيس السلطة والحاكم، كما يسمّى

المَلِك عند أهل اليمن (تبع)، وعند أهل الروم (قيصر)، وعند أهل الترك

(خاقان)، وعند أهل الفرس (كسرى)، وعند أهل الحبشة (النجاشي)، وعند

أهل النبط (نمرود)، وعند أهل الديلم (كاساني) ... وفرعون كلمة غير عربية

مركبة من لفظين (فر) و(عون)، وتعني بالعربية: البيت الأعظم.

٢- اسمه:

أ- أن يكون هو رمسيس الثاني، الذي ملك مصر سنة ١٢٣٣-١٣٠٠ قبل الميلاد،

واسمه (ريّان أبا) على ما عيّنه اليوم علماء الآثار.

ب- أن يكون هو الوليد بن مصعب بن الريّان، ولهذا القول توجد روايات وأقوال من

أهل التأريخ كثيرة، منها ما ورد عن ابن أبي عمير أنّه قال: قلت لموسى بن

جعفر عليه السلام: أخبرني عن قول الله عز وجل لموسى: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ فقال عليه السلام: «أما قوله: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسًا ﴾ أي كُتِيَاهُ وقولا له: يا أبا مصعب، وكان اسم فرعون أبا مصعب الوليد بن مصعب»<sup>(١)</sup>.

٣- أصله: من قبط مصر من عشيرة (ظلماء).

٤- أنه كان عاقراً أو لم يلد له إلا بنات.

٥- زوجته آسية بنت مزاحم، بلغت من الدرجات الإيمانية العليا بالله.

٦- عمره: قد يكون عمره بلغ الثلاثمائة سنة أو أكثر حسب اختلاف الروايات، وقد يشير أكثر العمر في الروايات إلى أكثر من فرعون أو مجموع حكمهم.

س: ما هي أهم مميزات حكم فرعون؟

ج:

١- أن حكمه كان في بلاد مصر التي كانت ذات امبراطورية كبيرة جداً، وذات تاريخ قديم، وكان أطول عمراً في ملك مصر والتسلط عليها نسبة للفراعنة الذين سبقوه.

٢- الجمهور الذي كان يحكمه فرعون منقسم إلى أقسام:

الأول: الأقباط، وهم أصل مصر وأهلها، يرجع نسب فرعون إليهم، يمثلون أغلبية السكان وهم الطبقة الاجتماعية الأولى والمفضلة، يعيشون حالة الترف بصورة واضحة ومتميزة عن بني إسرائيل وغيرهم، يتدينون بدين الوثنية.

الثاني: بنو إسرائيل، هم الأقل عدداً من الأقباط، ويمثلون الطبقة الاجتماعية من الدرجة الثانية حسب النظام الفرعوني الاجتماعي، هم من أهل التوحيد

(١) علل الشرائع ١/٦٧:١.

دينياً، ولهذا السبب كان الفراعنة يحاربونهم ويضيقون عليهم معاشهم، فهم متميزون بالفقر وحرمان الحرية، تواجدهم في مصر يعتبر حالة عارضة، حيث كان أساس وجودهم ما بين مصر وبلاد الشام حيث مسكن يعقوب النبي، فحينما اجتمع يعقوب وأولاده الاثني عشر عند يوسف الذين ذكر الله قصتهم في القرآن، عزلهم يوسف بمنأى عن الأقباط حتى لا يتأثر أبناؤهم بالوثنيين، وكان عملهم الرعي، تكاثروا بمرور الزمن حتى صاروا بكثيرة أصبحت مصدر قلق على ملوك مصر لمخالفتهم للوثنيين الذي هو الدين الرسمي لمصر، ولما كان يصدر تحرش الأقباط بيني إسرائيل وبالعكس، ممّا أدّى إلى توجيه الضغط عليهم من قبل فراعنة مصر الواحد تلو الآخر، وازداد هذا الضغط والاستضعاف حتى وصل إلى أوج عظمته وبشكل ملحوظ في زمن فرعون موسى، الذي وصل به الأمر أن يستعبدهم ويعرضهم إلى أنواع التعذيب والاضطهاد على ما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى.

يرجع نسب موسى وهارون إليهم، وإن بني إسرائيل كانوا يتحملون عذاب فرعون قبل مجيء موسى. كما يُقال: إن الفترة الزمنية ما بين دخول يوسف مصر وما بين دخول موسى مصر ما يقرب الخمسمائة سنة.

الثالث: اليونانيون والعمالقة وغيرهم من الغرباء، وهم يمثلون الأقلية القليلة جداً في مصر.

٣- كان أحد جبابرة الأرض وطفاتها، بل وصل إلى ما لا يصل إليه أحد من الناس من التحدي لله والتمرد عليه والإنكار لوجوده المقدس، فأصبح مضرب مثل للناس في طغيانه بقولته التي كشفها الله في كتابه العزيز: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٤)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (التقصص: ٢٨).

٤- كان الاستعباد والتعذيب وقتل الأبناء واستحياء النساء والتشغيل بالأعمال الشاقة هي الصفة البارزة لمعاملة فرعون لبني إسرائيل، ورد عن ابن عباس أنه قال: «أول من صلب، وقطع الأيدي والأرجل فرعون»<sup>(١)</sup>.

سئل الإمام الصادق ﷺ عن سبب تسمية فرعون ذي الأوتاد ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾، أنه قال: «لأنه كان إذا عذب رجلاً بسطه على الأرض على وجهه، ومدَّ يديه ورجليه، فأوتدها بأربعة أوتاد في الأرض، وربما بسطه على خشب منبسط فوَّتد رجليه ويديه بأربعة أوتاد، ثم تركه على حاله حتى يموت، فسأه الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾»<sup>(٢)</sup>.

٥- هامان، كان رئيساً لوزراء فرعون ومستشاره الأول، وكان داهية ماكرأ، ولا يختلف عن فرعون باستخفافه بعالم الغيب، يحمل نفسية شريرة ذليلة مطيعة بشكل آلي لفرعون.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

(١) جامع البيان ١٦: ٢٣٤/١٨٢٦٠

(٢) علل الشرائع ١: ١/٦٩.



﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٤٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- النجاة: الانفصال والانقطاع والخلص.

٢- آل: ١- الرجوع. ٢- الأهل.

٣- السوم: ١- التولية. ٢- الكلفة والمشقة.

٤- الاستحياء: ١- طلب الحياء. ٢- طلب الخدمة.

٥- البلاء: ١- البلوى. ٢- الاختبار.

س: ما هي المحتملات التي ترد فيما هو المراد من المشار إليه في قوله  
تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾؟

ج:

١- ما فعله فرعون بكم.

٢- في كيفية نجات الله لكم.

٣- كليهما.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ  
عَظِيمٌ﴾؟

ج:

١- أن يكون إشارة إلى القانون المجعول من قبل الله، وهو أن المجتمع الديني عندما  
يترك العمل بما يمليه عليه دينه في جميع مجالات الحياة معناه قد ترك الفراغ

لغير أهله أن يحكموا ويعملوا بما يحلوا لهم من الفساد والظلم وتسليط الأشرار على ذلك المجتمع الديني، وما أعظمه من بلاء ينزل عليهم إن استمروا في الخنوع والخضوع للظالم وعدم التزامهم بدين إبراهيم ﷺ وترك الأمر لغير الموحدين.

٢- أن وجود الحاكم الجائر مهما كان سبب تسلطه ووجوده فهو عامل اختبار وامتحان للمجتمع الديني المؤمن، حيث عن طريق الامتحان يميز الله الصابرين والمجاهدين والمخلصين إليه سبحانه عن غيرهم، وهذه هي سنة الله التي لا تبدل فيها، ورد عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «فاعتبروا بحال ولد إسماعيل، وبني إسحاق، وبني إسرائيل، فما أشد اعتدال الأحوال، وأقرب اشتباه الأمثال، تأملوا أمرهم في حال تشبثهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق، وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح، ومهافي الريح، ونكد المعاش، فتركوهم عالية مساكين، إخوان دهر ووبر، أذل الأمم داراً، وأجديهم قراراً، لا يأوون إلى جناح دعوة يعصمون بها، ولا ظل ألفة يعتمدون على عزها، فالأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة، في بلاء أزل، وإطباق جهل»<sup>(١)</sup>.

٣- أن الله قد أبلى بلاءً حسناً، بل هو من أعظم النعم والبلاء حين كنتم تعيشون تحت جور أعتى جبابرة الأرض وهو فرعون واستعباده لكم وقتل أبناءكم واستحياء نسائكم.

وبعبارة أخرى: أراد أن يمحو وجودكم من الأرض، والذي لم يقع تحت تصوّر أحد أن تتخلصون منه، وقد أنقذكم الله منه ببلائه وفعله وقوته وضربته على

فرعون وآل فرعون، وهذه حجة بالغة عليكم حيث شاهدتم ذلك بأعينكم وعشتموه بأنفسكم.

٤- البلاء من الله والعذاب من فرعون، بمعنى أن العذاب الذي صدر على بني إسرائيل لم يكن من الله كنتيجة على فعل سيئ قد صدر منهم، وإنما كان صدوره من فرعون وكان العذاب بنفسه عظيماً لبشاعته وشدته من دون استحقاق، وأنه في نفس الوقت ابتلاء وامتحان من الله لبني إسرائيل.

س: عرفنا أن سوء العذاب هو شدته، وعرفنا أن استحياء النساء هو إماء طلباً للخدمة أو طلباً لحياء النساء بالاغتصاب، ولكن ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾؟

ج:

- ١- قتل الشباب للإذلال ولتقليل عدد بني إسرائيل.
- ٢- أن الأبناء مشترك للذكر والأنثى، فهنا قد يكون إشارة إلى تلك الواقعة التي ينقلها التاريخ عن فرعون، وهي إعطاء فرعون الأمر إلى جميع بني إسرائيل ألا تحمل نساءهم، وأن مصير التي تخالف هو إجهاضها وقتل جنينها سواء كان ذكراً أم أنثى وإن أدى ذلك إلى موت الأم.

س: ما هو المحتمل في أمر فرعون بمنعه نساء بني إسرائيل من الحمل؟

ج:

- الأول: أن بعض الكهنة الذي كان فرعون يعتمد عليه قد أخبره وقال له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك.
- الثاني: أن فرعون رأى في المنام أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت

على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركنت بني إسرائيل، فسأل علماء قومه فقالوا:  
يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده.

الثالث: أن يكون هذا القرار بمنع الحمل لنساء بني إسرائيل لم يكن مختصاً  
بفرعون موسى، بل هو قرار كان سابقاً عليه صادر من الفراعنة الذين سبقوه؛ لأنَّ  
بني إسرائيل قد شكّلوا خطراً كبيراً على الفراعنة بعد كثرتهم واختلاف طريقتهم  
العقائديّة، ممّا أدّى إلى التضييق عليهم من قبل الفراعنة السابقين وما فرعون موسى  
إلا جاء مؤكداً للقرار السابق، وقد زاد عليه وحشيّة وظلماً حتى وصل إلى مرحلة  
من الطغيان ما لم يصل إليها غيره من الفراعنة الذين سبقوه، وهذا ما تجده واضحاً  
عندما تشاهد شخصيّة الفرد من بني إسرائيل ذات التحجير الفكري والتطبع على  
الخنوع والاستعباد الذي ورثوه من الآباء والأجداد لا من عهد جديد قد أُجري  
تطبيقه في زمن فرعون موسى، فالتحجير الفكري وضعف الشخصيّة يكشف عن  
قِدَم القرار بحقهم من قبل الفراعنة، فليست هي قضية منام قد شاهده فرعون.

نعم، قد تكون زيادة الظلم وتعجيل بعض القرارات الظالمة بحق بني إسرائيل من  
قبل فرعون مصر هو من تأثره بخير الكاهن، أو ممّا شاهده في المنام لا أنه أساس  
وسبب الانتقام.

س: لما كان حمل النساء ممنوعاً من قبل فرعون، فكيف حملت أم موسى  
ووضعت طفلها؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

- ١- أنّها كتمت الحمل ولم تفش سرّها لأحد.
- ٢- أنّ الله أخفى علامات الحمل على جسمها، ولهذا كان جنود فرعون والقوابل

التي يرسلها لم يفتشوا أم موسى ولم يتعرضوا لها؛ لعدم وقوع الشك فيها أصلاً لما أخفاه الله على كل ناظر من نتوء البطن أو شحوب الوجه وغيرها من صفات الحمل.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنه لما حملت به أمه لم يظهر حملها إلا عند وضعها له، وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط يحفظهن، وذلك أنه كان لما بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون: إنه يولد فينا رجل يقال له: موسى بن عمران يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون، وفرق بين الرجال والنساء فحبس الرجال في المحابس...»<sup>(١)</sup>، ولما جاء الوقت الذي تضع الأم حملها ولدته أمه ولا رقيب عليها ولم يطلع عليها أحد إلا أخته التي ساعدت الأم والطفل عند الوضع.

٣- أن تكون هناك علامات للحمل في الأم، ولكن قد يكون أن حصل تعاطف من قبل الرقيات اللواتي أرسلهن فرعون لأم موسى لمراقبتها باعتبار أن بيتها من نبراس بيوتات بني إسرائيل تدیناً.

س: ما هي المراحل التي قطعتها أم موسى حتى وصلت إلى قرارها القطعي في أن تنفصل عن طفلها الرضيع لتنقذ حياته من القتل؟

ج:

الرضيع يحتاج إلى ما يحتاجه أي طفل من الرعاية والحضانه، يصرخ بكاءً تارة ويمرض أخرى، فهو يحتاج إلى لوازم الرعاية من داخل البيت ومن خارجه،

(١) تفسير القمي ٢: ١٣٥.

والاستمرار بالستر عليه بهذا الجو الإرهابي الرهيب الذي يحيط بهم مع حاجات الطفل وطبيعته التي لا يسيطر عليها أمر صعب، خصوصاً إذا عرفنا أن مسكن أم موسى في وسط المدينة التي يسيطر عليها فرعون وجنوده وعيونه المنتشرة هنا وهناك، وأنهما من أكثر العوائل المشهورة بدينها وتدبّتها المعارض لدين فرعون وسياسته ودين بلاده الرسمي.

هنا وبعد ولادتها لموسى وهي ترعى وليدها في ذلك الوسط الرهيب المحيط بها كانت تعيش الخوف ولحظات فقدان طفلها بأن تغتاله يد آل فرعون، تعيش الخوف والرغبة بين الآونة والأخرى كأيّ إنسان يعيش في ذلك الوسط وهو قد ارتكب ذنباً رسمياً يهدّد عرش الملك، والله السميع العليم كان يراقب المرأة برحمته يسمع مناجاتها ويعلم بحالها ومعاناتها من الخوف والاضطراب على نفسها وعلى طفلها الرضيع، حتى وصلت إلى مرحلة احتاجت فيه إلى الاطمئنان والشعور برعايته سبحانه والتوسّل إليه بأن يجد لها حلاً لمشكلتها، وعندما وصلت أم موسى إلى الذروة في حالتها الصعبة وفي إلحاحها على الله وأن العثور على الطفل صار بين قاب قوسين أو أدنى من قبل آل فرعون، أنزل الله عليها الوحي وألقى في قلبها أو من خلال رؤيا منام صادقة، ليفتح طريق الأمل عليها ويعطيها ما كانت بأمس الحاجة إليه، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (التقصص: ٧).

فإذن الواجب الأوّل على الأم هو الاستمرار في رعاية وليدها ممّا يحتاجه من الرضاعة والحضانة، وإذا زاحم هذا الحكم بما هو أهمّ منه كالخوف على حياة الطفل من القتل، فهنا تكون حياة الطفل أهمّ من بقائه تحت رعاية أمه، وهنا وإن كانت أمّاً يصعب عليها ترك الوليد وأن الله قد ترك لها ترتيب الاختيار، إلا أنها كانت

متيقنة بقتل الولد لأمر فرعون الذي خلف قتل مئات الأطفال من بني إسرائيل في تلك السنة وأجهض مئات الأمهات وحرّم البعض من مولودها فقط والأخرى حرّمها حياتها كذلك نتيجة الإجهاض العشوائي الجلد الذي كان يقوم به، وأنّ لبنها قد درّ من ثديها بعد الولادة وهذه علامة تجلب أسماع عيون آل فرعون من النساء الرقيات، وبالتالي العثور على الطفل الذي يؤدّي إلى قتله، فقتل الطفل حالة متيقنة إن لم يكن اليوم فغداً ويصعب تحمّله على الأمّ.

ولكن قد يكون ترك الوليد لمصير مجهول الحياة أو الموت أكثر صعوبة ومرارة على الأمّ من الحالة الأولى من باب أنّ الانتظار أشدّ من القتل على ما قيل، وأنها عزة الوليد لدى الأمّ، ولهذا احتاجت إلى شيء قويّ جداً إضافة إلى إيمانها بالله بشيء حسّي بحيث يرفع من قلبها الخوف بمستقبل الطفل وعدم الحزن على تركه، وكأنّ الإيحاء الأوّل لم يكن بديلاً كافياً لما يشغل قلب الأمّ الحنون على طفلها، ولم يكن بديلاً قوياً بحيث يسيطر على هواجس قلب الأمّ وعاطفتها نحو طفلها على الرغم من يقينها بقتله إن بقي عندها، وخصوصاً إذا لاحظنا أنّ الإيحاء يحمل إلقاء الطفل في الماء ونهر النيل العظيم بحجمه وأمواجه وهو وليد لا حول له ولا قوّة، هنا تدخلت يد الرحمان على قلب تلك الأمّ ليرفدها بإيحاء ثانٍ أن علّمها الله الطريقة التي تطمئنّ الأمّ بنجاة طفلها حتّى لا تخاف ولا تحزن، قال تعالى: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ (طه: ٣٩)، وسوف لن يأخذه اليم إلى أعماقه ولا إلى وسطه بحيث تقلبه الأمواج، بل يبقى مسيره من الساحل إلى الساحل، فجريان التابوت لا يخرج عن طول الساحل، عند ذلك اطمانت وأتمتته إلى اليقين حينما قرّرت إرسال أخته لمراقبة مسير تابوت الطفل، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ (القصص: ١١).

إذن أم موسى لم تسلم رضيعها لقدر الله إلا بعد أن قطعت الأشواط التالية:

- ١- يقينها بقتل الطفل من قبل آل فرعون.
- ٢- الإيحاء الإلهي الذي يحمل الوجوب الشرعي عليها.
- ٣- اطمئنانها بإخبار الله لها بآلا تخاف ولا تحزن.
- ٤- تعليم الله لها بطريقة الإنقاذ بأن تأخذه إلى الساحل.
- ٥- أن اليمّ الذي تخافينه سوف لن يأخذه بعيداً عن ساحله.
- ٦- أخبارها من قبل الله بالنتيجة بسلامة الوليد ورجوعه إليها.
- ٧- عرفها الله طريقة إنقاذ الوليد من أمواج البحر عن طريق التابوت.
- ٨- اتخاذها القرار بمراقبة أخته لمسير الطفل.

ويتعدّد هذه المراحل قرّرت الأمّ أن تسلم رضيعها للقدر، وبهذا نعرف مدى الارتباط العاطفي بين الأمّ ورضيعها الذي جعله الله ليكون وسيلة لاحتضان الأمّ له والإقامة بحضائه وتربيته ورعايته، وقد يكون اهتمام الأمّ هذا كان نتيجة لمعرفة مستقبل الوليد وماذا سيكون من قبلي إيحاء أو خبر نقل إليها عن طريق الأب عمران أو الأخ الأكبر النبي هارون عليه السلام، وبهذا يكون اهتمام الأمّ المسؤولة عن حفظها له لا الدافع العاطفي فحسب.

س: إلى أين وصل واستراح تابوت الرضيع؟

ج:

امتثلت أم موسى للإيحاء الذي فصل لها طريقة نجاته ﴿أَنْ اقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ فجاءت له بصندوق خشبي بحيث يمنع وصول الماء إليه، وله ثقوب للتنفّس لا يدخل من خلالها الماء، وبشكل لا يتأثر بأمواج اليمّ لتفرقه ولو قليلاً، ووضعته بشكل تحتمل طول فترة المكث لعدم علمها التفصيلي بصنع الله بموسى وكيفية نجاته.



هذا كله إذا قلنا بأن أم موسى كانت لها المعرفة بهكذا صناعة ، وإلا فالقول بأن التابوت من صنع غيرها هو الأرجح، وقيل: إنه حزقيل النجار الذي كان من المؤمنين وله ارتباط بقصر فرعون عن طريق عمله ولمهارته بالنجارة.

خرجت الأم وأخته من بيتهما ليلاً بعد أن حفظت الأم رضيعها في التابوت، تسير بخطوات سريعة مرّة وأخرى بطيئة، لتجتاز وسط خوف المدينة من العثور عليها وهي تحمل الوليد المقصود فيؤدّي ذلك إلى قتله وقتلها، حملته وهي تعيش في عالم آخر لذهنها المشغول بتراحم صور مستقبل الطفل وهو ابن ثلاثة أشهر وما سيلاقيه من المحن وهو في بداية هذا العمر، وصلت الأم حتى وقفت على ساحل الشاطئ لنهر النيل لتقفه على الساحل الموعود ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾. ولا ينافي إيمان تلك الأم في مثل تلك اللحظات وأنا أتصوّر كيف امتلأت عيون الأم دموعاً وهي تلقي آخر نظرة على رضيعها... وما هي النعمات والحركات الطفوليّة البريئة التي صنعها الرضيع من داخل التابوت وهي تجذب أمه إليه... وكيف كانت آخر قبلة له منها.. أكانت على التابوت أم له مباشرة... وكيف كانت تتمنى أن يخرج قلبها من صدرها ليحيط بذلك التابوت... وكيف كانت يداها وهي تقترب من وضع التابوت في وسط تتلاطم فيه الأمواج الذي يفرع منه الكبار بمنظره الليلي... وفي تلك اللحظات الحاسمة جاءه السكون إليها عندما تذكرت نداء الرحمن من ذلك الإيحاء ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، ألقته وطرحته بكلّ سكينته وهي تكتم حرارة الفراق ومرارته في أم صدرها، وأرسلت أخته تقصّه وتتابع أثره لترى آخر المطاف الذي يستقرّ به التابوت، وتفردت أخته تنظر إلى ذلك التابوت على بُعد حتى لا تصطادها عيون فرعون ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ

عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿التصوير: ١١﴾، وأخذت الأخت تراقب أخيها الرضيع من خلال مراقبتها لحركة التابوت حتى أصبح الصبح ووضع نهار الأمل لترى الأخت أن أخيها قد استقرَّ بين أشجار الحدائق المطلَّة على نهر النيل لتقصر فرعون الذي كان خارج المدينة، رجعت الأخت إلى بيتها لتقدِّم الخبر المفرج الممزوج بالفرع الكبير الذي حصر فرحتها في زاوية صغيرة من زوايا قلبها، حيث نجا التابوت من غرق المياه ليسقط بيد مَنْ تخاف منه عليه.

وكان فرعون وزوجته في ذلك النهار ينظران من تلك الشرفة المطلَّة على شاطئ النيل ليعيشا ساعة راحة ونشوة واستجمام وتبادل حديث بينهما، وينقطع الحديث بينهما بمفارقة فرعون زوجته لمزاولة مهامه، وتنزل سيدة القصر من شرفتها المطلَّة لتتجول بين أشجار البساتين وألوان أوراده ولتشتمِّ رياحين تلك الزهور التي يحملها نسيم النيل، ولم تدم هذه الجولة طويلاً حتى سمعت بهرولة وكلام صارخ متبادل لحرس المراقبة وهم في حالة غير طبيعيَّة ! نظرت إليهم وهم يلتقطون تابوتاً من على شاطئ النهر يأتون به ليقدموه إليها بخضوع وانحناء (فالتقطه آل فرعون) من غير بحث ولا بذل جهد، وهم لا يعلمون أنه هو المقصود بالبحث والقتل، ولا يعلمون أن مصيرهم الأسود سيكون على يده ﴿فَالنَّكْطَةُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (التصوير: ٨).

س: كيف استراح الرضيع بين أحضان مَنْ يريدون قتله؟

ج:

تناولت سيدة القصر التابوت بيديها وهي تحاول إخفاء ارتعاشها، وبدأت تفتحه بكل هدوء لا يبداء اطمئنان قلبها وقوتها أمام جنود القصر، فتحتته وإذا بطفل طاهر

نوراني المنظر جميل المعاني جذّاب بحركاته الطفوليّة البريئة، دخل حبّه في قلبها وامتلك كلّ مشاعرهما منذ النظرة الأولى إليه، تلك النظرة وذلك الحبّ الذي أنساها قرار الحكم بقتله وقتل مئات الأطفال قبله، لم تكن المحبّة نتيجة ما يتعلّق بشفافيّة الرضيع وجمال منظره فحسب، بل هو حبّ وجاذبيّة وضعها الله في شخصيّة موسى لكلّ من يراه ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، إلا فرعون الذي أمر جنوده بقتله فوراً بمجرد أن سمع بالخبر، ولم تتمالك آسية نفسها إلا بضمّ الرضيع إليها واحتفاظها به، ولم تجد أمامها طريقاً إلا معارضة فرعونها وزوجها بشدّة لأمر القتل في الوقت الذي تعرف أنّ قرار قتله أبعد بكثير ممّا تريده وتطلبه، فالقرار كان صارماً لا لين فيه ولا عطف يمتزج به ولا حيلة توجد لردّه؛ لأنّ هذا القرار والإصرار عليه فيه حياة فرعون وبقاء سلطته، ولكن لفرعون طريقة وتشبّث بالأسباب الطبيعيّة، والله طرق حاكمة على كلّ الأسباب ينجي من خلالها أوليائه ويثبت كلمته العليا، طرحت الزوجة معارضتها الشديدة بأسلوب يتقدّمه اللين ليجذب ما تبقى من عاطفة وعقل يمتلكه فرعون من خلال تذكّره بحاجة القصر الأمنيّة والسياسيّة ووراثته إلى الابن الذي يسدّ كلّ نقاط الضعف التي يعاني منها فرعون وقصره، ودور وجود الطفل العاطفي بين الأبوين وهو يملأ الفراغ الروحي الذي تركه حرمانهما من إنجاب الطفل أو من إنجاب الذكر بالخصوص ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (التصوير: ٩) لا يشعرون أنّ شفاعته هذه الزوجة ستكون الخطوة الأولى التي استقرّت على طريق نهاية فرعون وتسلمته الجائر، وأنها الخطوة الأولى لأن تستقرّ حياة موسى ليأخذ دوره في مستقبل الرسالة الإلهية وإنقاذ بني إسرائيل من ظلم سلطته الجائرة وسطوته، وأنها الخطوة الأولى التي وضعتها الزوجة على نهاية حياتها بشرف وعزّة وشهادة على يدي زوجها لتنال سعادتها في بيتها عند الله.

استجاب فرعون لطلب زوجته حُبّاً لها لا له، وتدخل مشيئة الله في ذلك. ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لو أقرّ فرعون أن يكون قرّة عين كما أقرّت امرأته لهداه الله تعالى كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرّمه ذلك»<sup>(١)</sup>، أو كانت استجابته لا حُبّاً له ولا لها بل كانت لحسابات سياسيّة قذرة، منها لجلب استعطاف بني إسرائيل ورأيهم له ليزيد من استعبادهم، وهذا ما سيكشفه موسى ﷺ أمام فرعون على ما سيأتي في محله إن شاء الله.

دخلت سيّدة القصر قصرها وهي تحمل الطفل وفرح قرار قبول احتضانها للطفل الرضيع، وبدأت برعايتها له من تجهيز ما يحتاجه الطفل بأفضل الأسباب وأحسنها، وكان أول ما فكرت به هو طعامه ولبّته الذي هو عماد حياة الرضيع، أصدرت سيّدة القصر وامرأة فرعون أمرها إلى الجنود بجلب المرضعات، انتشر الجنود في المدينة نساءً ورجالاً يطلبون إليه المرضعات، وما هي إلا دقائق وقد حضرت عندها عشرات من المرضعات، كلّ واحدة تعرضنّ تديبها على موسى الرضيع امتثالاً لأمر سيّدتهم وحبّاً في الحصول على جائزة سيّدة القصر عندما تنجح في تلبية طلب سيّدتها، ولكن يا للمفاجئة! التي لم تحصل لأيّ طفل سابقاً، أنه لم يتقبّل اللبن لأيّ مرضعة كانت على الرغم من حاجة الطفل إلى اللبن بين الحين والآخر، ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾، فقد حرّمها الله تكويناً وهم جميعاً لا يعلمون بتدخل مشيئة الله وقدرته في صنع هذا المنع وعدم قبول الطفل لمحالٍ غير محالٍ أمّه.

نعم، حرّم الله المراضع من أجل أن يحصل اللقاء بين المحرومين الأمّ والرضيع قبل دخول المراضع إلى القصر، ومن أجل أن ينجّز الله ما وعد الأمّ من رجوع الطفل

(١) البحار ١٣: ٢١/٥٣.

إليها. وآسية هي الأخرى يتقطع كَبْدَها حناناً على حبيبها الرضيع وهي تراه يتلوى جوعاً، ويشغل القصر بصوت صراخه الذي ملء تقطعات نشغاته حناناً يقطع القلوب، لم تتحمل سيّدة القصر هذا الموقف في أن تبقى حائرة أمامه، قدّمته إلى جنود القصر وأمرت بإخراجه إلى المدينة لعرّضه على كلّ نساء المدينة عسى أن تفلح إحدى النساء برضاعته.

س: كيف حصل اللقاء بين الرضيع وأمه؟

ج:

الأخت هي الأخرى كان يحوم قلبها على أخيها كما كان جسمها يطوف حول قصر فرعون لتنتشل آخر خبر لحالة الرضيع بعدما عرفت باستقراره داخل القصر، وقفت الأخت أمام جند فرعون وهي تريد الدخول إلى القصر وهم لا يشعرون أنّها أخته، وقفت بكلّ جلد وثبات وبكلّ أمان واطمئنان؛ لأنّها عرفت عمّا يبحثون عنه وأنهم في أشدّ الحاجة إليها، وفي أثناء محاولة دخولها وإذا تشاهد الطفل وهو محمول بين يدي الجنود، أخذها جمود الدهشة والاستغراب لا تعرف إلى أين يُراد به، بدأت تمشي معهم ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾، ومع الناس الذين أخذهم الفضول لمتابعة ما يحدث لهذا الطفل الرضيع، واختلفت الآراء عندما ظنّ البعض أنّ هذا الرضيع سيُلحق بما سبقه من قتلى الأطفال الرضع، وهكذا تداولت الأقوال والمشاعر المختلفة بين المتجمهرين حتى انتهى سير حاملي الطفل إلى وسط المدينة ليعرض الطفل الرضيع على الناس، وينادي مناديتهم مخاطباً نساء المدينة عسى أن يفلحوا هم أو تفلح إحدى المرضعات برضاعته، وجاءت النساء من هنا وهناك بعد أن سمعن خبر حاجتهنّ، وكلّ واحدة تأتي وتعرض صدرها إليه بعد

فشل السابقة عليها ...

وهكذا حيث لم تفلح بذلك واحدة منهم أبداً، وبدأ الوجوم والحيرة يملك الجميع للتعاطف الذي تثيره الفطرة الإنسانية مع طفل رضيع ينتظر الموت ولا حيلة يمتلكون لنجاته ... ومن بين يأس الحاضرين كثرت الأخت الوجوم حين صدعت بصوتها، وجذبت أنظار أمل الناس إليها بكلامها المملوء ثقة و يقيناً ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾، فكان تعطش الجميع بالرغبة حبس كلمات القبول واكتفت بإشاراتهم نحوها التي تحمل دلالة السرعة والعجلة بمجيء تلك المرأة والأهل، وجنود فرعون هم الآخرون أشدَّ رغبةً للاستجابة لها لما سينالونه من رضى سيّدة القصر إن نجحوا بأن يكونوا أول من يرسل البشرى إليها، وما هي إلا دقائق حتى جاءت الأخت بتلك المرأة الأمّ، دخلت الأمّ إلى الستر المضروب للنساء اللواتي عرضن صدورهنّ ولم يفلحن، قدمن الرضيع إليها وما أن عرضت صدرها إليه وإذا بالفرح والدهشة تملأ وجوه النساء وقلوبهن وهنّ يشاهدن كيف يلتقم الرضيع ثدي الأمّ وكيف حظيت هذه المرأة في أن تكون هي المرضعة لهذا الطفل الذي ملأ قلوب ناظره حباً وحناناً وعطفاً، زُقت البشرى للناس، وزُقت الأمّ وطفلها إلى القصر بكلّ عزّ وإكرام وبهجة وسرور، واستقبلتها سيّدة القصر بفرح وابتهاج، وطلبت من الأمّ المكث في القصر بعد أن رأت السيّدة التعانق العميق بين الرضيع ومرضعته.

ويلفت الله أنظارنا إلى فؤاد أمّ موسى المتعطش إلى مثل هذا اللقاء في الوقت الذي كان مملوءاً غيراً ورفضاً لسيّدة القصر، وهي تسمعها تنادي وتناغي الرضيع بكلمة ولدي، وبعد أن شاهدت أمّ موسى سيّدة القصر وهي تعانق رضيعها معانقة

الأم لطفلها، والكل من في القصر يتباشرون ويهتفون بولد فرعون، حتى صارت الأم في زاوية من زوايا البيت المهملة، وفي تلك اللحظات التي تضاربت فيها أفكار الأم، وتصاعدت بها العواطف نست فيه تلك الالتزامات من أنها وولدها الرضيع مطلوبان للموت من قبل فرعون وهي داخل فم أفعى القصر، وأن إظهار هذا السر معناه فشل لكل الجهود التي بذلت من أجل إنقاذه، وفشل للخطة الإلهية التي أعدها لإنقاذ موسى ودوره الكبير الذي سيؤديه مستقبلاً.

وحتى وصل الهيجان العاطفي إلى ذروته تدخل الرحمن ومد يد رحمته ولطفه على فؤادها ليكون خالياً من عاطفة الأم الغالبة وليحوّلها إلى عقل يفكر بعاقبة الأمور، ولتصبح جليدة أمام هذا الموقف الذي يراد منها عدم إفشاء سر أمومتها له، وفعلاً قد أثرت يد الرحمن أثرها الإيجابي ﴿وَأَضْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النقص: ١٠).

وحصل اللقاء، واستمر فم موسى الرضيع يلتقم ثدي أمه رضعة بعد رضعة، واستقرّ بهما الحال، وحصلت الأم على فرحتها وهي تشكر الله على إنجاز وعده ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النقص: ١٣).

س: لقد ذكر الله قيام الأخت بمراقبة أخيها الرضيع، فلماذا لم تقم الأم بهذه المراقبة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- لكبرها وعدم مقدرتها على المشي للمراقبة ولا تعلم بطول المسافة التي ستقطعها.

٢- الخوف من عيون السلطة بالعثور عليها وكشف علاقتها مع الرضيع، خصوصاً إذا لاحظنا أنها مرضعة ذات لبن مما يساعد على وقوع الشك في أنها أم لرضيع.

٣- الخوف من نفسها بعدم السيطرة على عواطفها وهي ترى تابوت رضيعها تتقلب أمواج المياه، فكل ما يصدر منها سيكون موعزاً لجلب انتباه عيون السلطة عليها وبالتالي كشف حقيقتها.

٤- أن يعرف الله الناس بالبيت الموسوي الطاهر الموحد لله، والمتوحد في مناصرة دين الله بجميع أفراده رجالاً ونساءً، والمعارض لسلطة فرعون وسياسته لا يهابون جبروت فرعون ولا يخشون تعذيبه، فإظهار دور الأخت وإبرازه قد يكون لأجل ذلك وهو تعريف بطهارتها ومناصرتها، فنعرف عند ذلك أن عناصر البيت النبوي بجميع أفرادهم من عمران وموسى وهارون وأمهات وأختهم من أبيهم كلهم من بيت واحد تملوهم الطهارة العقائدية جميعاً.

س: كم سنة بقي موسى يترععرع في قصر فرعون؟

ج:

ثمان عشرة سنة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ أنه قال: «أشدّه ثمان عشر سنة (واستوى) التحي»<sup>(١)</sup>.

س: ما هي أهم الأعمال التي كان يقوم بها موسى أثناء الثمان عشرة سنة من بداية عمره؟

(١) معاني الأخبار: ١/٢٢٦.



ج:

١- كان مؤمناً بالله عابداً له ومخلصاً إليه، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً﴾ (مريم: ٥١)، وكان تحت الرقابة الإلهية الدقيقة والرعاية الخاصة به منذ بداية تكوينه، قال تعالى: ﴿وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤١).

٢- كان المعلم والمرابي لمربيته آسية في إعطائها دروس الإيمان بالله والإخلاص له حتى صارت من الذائبات بالله حباً وطاعة واجتازت من درجات القرب ما لم تجتازها إلا النوادر من النساء.

٣- كان على اتصال دائم وخفي مع المؤمنين من بني إسرائيل، وكان شيعته يعرفونه ويعرفون توجهاته المرتبطة بالله والمخالفة لسياسة فرعون وعقيدته.

٤- كان على اتصال دائم مع أخيه هارون عليه السلام بصورة سرية لدراسة الكثير من الأمور التي تهتم حركته وقيادته لبني إسرائيل.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

س: كيف كان يتحرك موسى هذا التحرك المضاد لسياسة فرعون؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- كان يستثمر عنوانه الرسمي وهو انتماؤه إلى القصر باعتباره الابن الرسمي الوحيد لفرعون، وهو الابن الشرعي على ما يفهمه بعض العامة من الناس، فهو إذن يمتلك حرية الحركة من دون معارض.

٢- أنه يمتلك الحس التنظيمي في العمل من سرية التحرك واختيار العناصر الصالحة والمؤثرة من بني إسرائيل ومعرفة نقاط الضعف والقوة لدى السلطة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ

شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴿ (التقصير: ١٥) فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها مع أنه ابن القصر دليل على أن موسى كان له حركة خفية غير طبيعية يجري من خلالها اللقاءات السرية مع أخيه هارون وبعض من بني إسرائيل، حتى أصبح موسى معروفاً عند بني إسرائيل بالمنحى السياسي والعقائدي المخالف لسلطة فرعون، ولهذا استصرخه الذي من شيعته واستنجد به من دون تردّد منه إليه.

س: ما هي الخطوة التي تعتبر الخطوة الأولى لاكتشاف تحرّكه السري؟  
ج:

عندما أراد الاتصال بأفراد شيعته لمهمة سرية كما هي عادته، ولأجل هذا كان يختار الوقت الخالي من أيّ ناظر، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (التقصير: ١٥) وهو بعد تعطيل الأسواق وهدوء حركة الناس ليلاً أو نهاراً بعد الظهر، وفي أثناء تجواله هذا تفاجأ بالموقف التالي ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ (التقصير: ١٥).

إذن رجلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر قبطي كانا يتشاجران أو يقتتلان، وقد تكشف حالة التشاجر هذه على أن العلاقة بين الأقباط وبني إسرائيل كانت حالة متشججة يحدث بينهما الصراع بين الحين والآخر، فعندما رأى الإسرائيلي قدوم موسى وهو يعرف اتجاه موسى العقائدي المؤيد لبني إسرائيل الموحد لله، ويعرف مقدرة موسى وامتلاكه الشجاعة والقوة على إنقاذه من موقفه الصعب، وهذه المعرفة لم تأتِ اعتباطاً وإنما كانت نتيجة عمل موسى في الوسط الإسرائيلي، طلب

الإسرائيلي النصره منه ومساعدته في دفع العدو القبطي عنه، تدخل موسى فقام بدفع القبطي بكمّ كفه الشريفه أو برأس عصاه التي كان يحملها ﴿فَوَكَّزَهُ مُوسَى﴾ (التصوير، ١٥٠)، حركة بسيطة لم يقصد موسى بها القتل ولا أقلّ منه، بل كلّ ما هناك كان يقصد فضّ النزاع بينهما ومفارقة أحدهما عن الآخر، ولكن تجري الأقدار في بعض الأحيان في غير مجراها وبناتج لم تقع في حسابان أحد إلا في الحالات النادرة جداً كهذه، حيث تلك الوكزة تؤدّي إلى قتل القبطي وتنتهي حياته ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (التصوير، ١٥٠)، فبات في تلك الليلة في المدينة ولم يرجع إلى القصر.

س: لماذا بات موسى ليلته في المدينة ولم يرجع إلى القصر بعد مقتل القبطي؟



ج:

أولاً: أن موسى وإن لم يقصد القتل ولا مستعملاً للسلاح القاتل عادةً إلا أنه اقترن قضاء الله مع وكزة موسى للقبطي، فهنا لو سرنا على ما هو ظاهر الأمر فإنّ القاتل هو موسى ﷺ.

ثانياً: أن الحالة ذات طابع سياسي حيث تدخل موسى وهو في حالة نصره أحد مؤيديه على أحد مؤيدي سياسة السلطة الحاكمة، فالمقتول مهما كان فهو أحد أفراد السلطة والتابعين لها.

ثالثاً: أن السلطة لا محالة ستوجّه التهمة إليه بالقتل إن عرفوا ذلك ممّا يؤدّي إلى قتل موسى يقيناً؛ لأنّ مسألة القتل لم تحدث بين أفراد نتيجة خلاف عادي، فإنّ مثل هذا القتل يفرح له فرعون، وخصوصاً إذا قام به ابنه الرسمي كما هم عليه الآن من جبايرة الأرض حيث لا حساب ولا عقاب على ما يصدر من أبنائهم من القضايا

الإجرامية، وإنما هو يمثل جزءاً من حالة الصراع القائمة بين خطّ التوحيد الإسرائيلي وخطّ العلمنة القبطي الفرعوني، ومثل هذا النوع من القتل تعتبرها السلطات الجائرة جريمة لا تُغتفر، وربما تجرّ مسألة التحقيق إلى اعترافات ينكشف من خلالها خطّ موسى ﷺ وعمله السري القائم مع بني إسرائيل. ولهذا كان من العقل والحكمة أن يختفي موسى في المدينة ليقتنص الأخبار ليرى من خلالها أن أمر القتل هذا هل هو مكشوف عند السلطة أم لا؟ وإذا كان قد انكشف الأمر ما هي ردود الفعل للسلطة الفرعونية الحاكمة؟.

س: اذكر الحدث الذي أدى إلى خروج موسى من قصر فرعون ومدينة

مصر.



ج:

أصبح صباح تلك الليلة التي بات موسى فيها في المدينة، خرج موسى يتجوّل نهاراً بين الناس بحذر شديد وهو يريد معرفة نتائج حدث أمس هل وصل إلى السلطة أم لم يصل إليهم؟ وإذا وصل الحادث إليهم هل هو المتهم فيه أم لا؟ وكان يمتلك الطريق لمعرفة ذلك من خلال العيون التي زرعاها موسى داخل القصر، ولكن الآن هم لم يعرفوا مكانه ولهذا خرج صباحاً لعله يعثر على أحدهم ﴿فَأُضِجَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ (النص: ١٨)، وفي أثناء تجواله الحذر والخطر هذا وإذا يتفاجأ بمشاهدته نفس الشخص الذي طلب منه النصر بالأمس والذي كان من شيعته ومؤيديه في حالة قتال وشجار آخر ومع قبطي آخر رافعاً صوته عليه يريد مشاجرته، وعندما نظر الرجل إلى موسى ﷺ طلب منه النصر ثانية ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ (النص: ١٨)، هنا ردّ موسى على الإسرائيلي بقوله

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (التصوير: ١٨) أي لم تكن رشيداً في التصرف، بل إنك تخطئ كثيراً ولم تعلم بالنتائج الخطيرة التي تترتب على تصرفك هذا، فإنه لم تكن حالة الصراع والمقاتلة والشجار هي الطريق الشرعي المنحصر في إبراز الحق، بل هناك طريق الحوار والعرض الهادئ والإنكار بأساليب أخف كثيراً من حيث النتائج من الخسارة والربح الذي يحصل عليه العاملون في الوصول إلى هدفهم، فإذا استعمل الإنسان العامل أحدهما بدل الآخر في غير محله فهو ابتعاد عن الصواب وتسرعٌ يحثّ الشيطان عليه ليعرقل حركة العاملين ويؤدي إلى فشلهم والانحراف عن طريقته في عملية التغيير، ولهذا قال موسى وهو يشير إلى نوع الأسلوب الذي يقوم به الإسرائيلي: ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ (التصوير: ١٥)، هنا الإسرائيلي عندما سمع بهذا الرد العنيف من موسى مع تقرب موسى لنصرته على عدو موسى وعدو الإسرائيلي؛ لأنه من رجال السلطة ومن المحسوبين على القصر ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْبَطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ﴾ (التصوير: ١٩)، ظن الإسرائيلي أن موسى ﷺ يريد أن يبطش به فأخطأ خطأ رابعاً حين صرخ الإسرائيلي بصوت عالٍ ﴿ قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ﴾ (التصوير: ١٩)، هنا سمع القبطي هذا الاعتراف المجاني الذي جاءه من الإسرائيلي، هرب القبطي منهما وذهب مسرعاً إلى فرعون وجنوده ليعلمهم بالقاتل الرئيسي الذي كانوا يبحثون عنه.

وكما قلت سابقاً: إن مثل هذا القتل يعتبر تحرشاً سياسياً بهم، وإن هذا القتل يمثل جزءاً من حالة الصراع الواقعي الذي يعيشه فرعون مع بني إسرائيل، فهو لم يكن أمراً عادياً، ولهذا عقدوا الاجتماع فوراً، وقرروا قتل موسى من دون مراجعته

ومعرفة سبب القتل من قبيل الذي قد يكون حالة طبيعية، وإن موسى لم يكن قاصداً لقتله وخصوصاً أنه ابن القصر الذي تغتفر له الكبريات من الذنوب، ولكنّ الخوف المسيطر على فرعون من أيّ حركة فيها شامة المعارضة وبروزها إلى العلن، وهذا ما قيّمه موسى عند بقائه خارج القصر ويات ليلته داخل المدينة، وموسى الذي يحمل الحس السياسي والذكاء الخارق والكفاءة العالية لم يترك القصر بدون عيون له فيه ومؤيدين يسمعون في عملهم إلى جانبه.

ولهذا بمجرد أن انتهى الاجتماع جاءه الخبر بما قرّروا ضده من رجل داخل القصر الفرعوني وممن يحضر القرارات ويشترك في صنعها، ولا يبعد أن يكون ذلك الرجل هو مؤمن آل فرعون الذي تحدّث عنه القرآن الكريم وسنوافيك بما جاء عنه إن شاء الله ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ (التقصم: ٢٠).

وقد يكون في هذا القول دلالة أخرى وهي أنّ دولة فرعون كانت تعلم بالتحرك السياسي المضادّ من قبل موسى إلاّ أنها لا تملك الدليل عليه حيث موسى لم يترك أي حجة يتمسكون بها للقبض عليه، ولكن شاءت الأقدار أن يكون تهوّر هذا الإسرائيلي سبباً في كشف رأس القيادة السريّة والتحرك الإسرائيلي المعارض لسلطة فرعون.

فعندما سمع موسى ﷺ الخبر الذي جاء به الناصح المطابق لما كان يخاف منه موسى وهو كشف التحرك والعمل الذي قام به وقطّعه بأشواط لا بأس بها، قرّر الخروج من المدينة حتى لا يعثر عليه فتحصل عند ذلك قمة المأساة من فقدان القيادة، وزيادة خوف بني إسرائيل والخضوع لفرعون أكثر، وبالتالي توسعة رقعة

ظلم فرعون ويطشه ببني إسرائيل.

تحمل موسى بمفرده المسؤولية، وحبس المأساة المتوقعة في صدره المملوء بأسرار التحرك، فترك المدينة بعد الاعتماد على الله والتوسل إليه ولم يترك التوسل بالأسباب الطبيعية من الترقب والحذر من أن يشاهده أحد من السلطة، وهذا هو المنطق الحكيم الذي يسلكه كل متصدٍ للعمل خائفاً على حركته من الكشف والانهيار المؤدي إلى فشلها ونهايتها ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (النمر: ٢١).

س: ما هي الاحتمالات التي ترد على سبب توجيه موسى التأييد إلى الذي

استصرخه من الإسرائيليين؟



ج:

١- إذا قلنا: إن سبب الشجار والمقاتلة من الإسرائيلي نفسه، فهذا أسلوب يوحد مخاطر كثيرة في وقتها، وعمل غير صائب مما يستحق الإسرائيلي التنبيه من خلال توجيه التوبيخ إليه حتى لا يعود لمثل هذا الأسلوب.

٢- حتى لو قلنا: أن سبب الشجار والمقاتلة كان من القبطي الأول والثاني، فليس من الصحيح أن ينجر الإسرائيلي إلى ما يريد القبطي من انشغال الإسرائيليين بالصراعات الجانبية التي يكون ضررها أكثر من نفعها، ولهذا وجه موسى التأييد إليه حتى ينهاء عن مثل هذه الانجرارات الخاطئة.

٣- أن التوبيخ قد جاء في الحدث الثاني، والحدث الأول في ليلة أمس لم تنته حرارة خطورته بعد، بل هو في بدايته، فكان من المفروض على الإسرائيلي أن يخفي نفسه عن الأنظار لمدة حتى يهدأ الوضع، بينما نجده قد أظهر نفسه في

صبيحة تلك الليلة وبمشاجرة إضافية، وهذا ما لا يقبل به أقلّ حكيم، فوجه موسى إليه التأنيب لتنبهه على خطأ ظهوره في هذا الوقت غير المناسب لما حدث في ليلة أمس ولما انجرّ إليه من الحدث الثاني التي كانت نتيجة السلبية أكثر من الحدث الأول، والتي كادت أن تكشف كلّ التحرك السري الذي قام به موسى ﷺ في خلال هذه السنوات لولا ذكاء موسى بتحمّله كلّ المسؤولية بخروجه من المدينة.

س: في أثناء سردك للقصة هذه قد أحصيت على الرجل من بني إسرائيل أربعة أخطاء، عدّد تلك الأخطاء.

ج:

- ١- صراعه الأول مع القبطي في ليلة أمس.
- ٢- صراعه الثاني مع القبطي في صباح اليوم الثاني.
- ٣- ظنّه بأنّ موسى أراد أن يبطل به.
- ٤- كشفه لموسى على أنّه هو القاتل أمام القبطي.

س: ما هي الاحتمالات التي تثبت أنّ تدخل موسى في نصرته الإسرائيلي كان في موضعها ومحلّها؟

ج:

أولاً: أنّ الحدثين لم يكونا مقصودين لدى موسى من الأساس، وأنّما كانا مفاجأة قد تفاجأ موسى ﷺ بهما.

ثانياً: أنّه تدخل بعد أن سمع ما يتناوله الطرفان أحدهما للآخر من الكلام والفعل المضادّ، فرأى أنّه من واجبه الشرعي التدخل ومناصرة الإسرائيلي، وهذا ما تجده واضحاً من خلال ردّ الإسرائيلي على موسى في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُرِيدُوا أَنْ



تَكُونُ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلِحِينَ ﴿القمص: ١٩﴾، حيث الإسرائيلي كان يرى أن صراعه مع هذا القبطي هي مسألة حق وباطل، وأنه الحق الذي يريده موسى ويسعى إليه، حيث كان يرى من موسى يدعوه إلى الله وأمرأ بالمعروف وناهياً عن المنكر، فيجب على موسى ﷺ مناصرته لا أن يكون باطشاً به كما ظنَّ هو ذلك.

ثالثاً: أن موسى قد شخَّص عملية الصراع التي حدثت عند أول نظرة لها ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (القمص: ١٥)، ولكن الحدث غير المرضي كان واقعاً فعلاً ولا بد لموسى من موقف؛ لأنه ليس كل موقف غير مرضي لدى قيادة التحرك ألا تتدخل فيه، فإنَّ للأمور الحادثة متعمدة أو عفوية قصوراً أو تقصيراً من قبل العاملين هو الشيء الذي يجب أن يتوقعه المتصدّي للعمل، وبحسب حسابه ويكون مستعداً لحله، لا أن يكون موقفه موقف المتفرج عليها، وفي مثل هذه الحوادث تتبين كفاءة القيادة، فمشاركة موسى ﷺ لوجوب فضّ النزاع بينهما كان انطلاقاً من تشخيص موسى ﷺ للوجوب لا استجابة لصرخة الرجل، أو ما ظنَّه هو من الوجوب على موسى في أن يتدخل.

رابعاً: أن تدخل موسى كان على مستوى أن يفضّ النزاع بوكزة القبطي، وتشخيصه بهذا الحجم القليل من التدخل كان صحيحاً حتماً، لأن موسى لم يكن في هذه المرحلة رجلاً عادياً فقد زوّده الله بالعلم والحكم، وبعد أن اجتاز مراحل من الخبرة والاختبار التي كان في كلّ تلك المراحل معطاءً ومن المحسنين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجَزِّي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القمص: ١٤).

خامساً: لم يكن موسى نادماً على تدخله، بل على العكس من ذلك حيث

اعتبرها نعمة أنعمها الله عليه، ذلك عندما اكتشف ما زوّده الله من القوة التي جعلته يصرّ ويستمرّ على استخدامها ضدّ المجرمين بعهد عاهد الله عليه شكراً له سبحانه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (التقصص: ١٧).

س: إذا كان تدخل موسى في محله ولم يكن نادماً عليه فلم طلب المغفرة بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (القصص: ١٦)، ولم اعترف موسى بضلاله بقتله القبطي بقوله: ﴿فَعَلَقْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾؟

ج:

أولاً: أمّا طلب الغفران، فهذه هي طبيعة الأنبياء في حركتهم القيادية والعادية حيث يكونون متهمين لأنفسهم أمام الله؛ لتصور قد يحدث منهم أثناء تحركهم الرسالي والتبليغي وهم لا يشعرون به، فيطلبون العفو والمغفرة من الله عليه لا على ذنب واقعي، وهو أدب الأنبياء الذي يعلم قادة المسير من غير المعصومين باللجوء إلى الله دائماً وأبداً حتى لا يقعوا في هاوية الاستكبار والغرور والعجب، واتهام القيادي نفسه أمام الله دائماً يمنع كلّ الأمراض القيادية من النفوذ إلى قلوبهم ليعيشوا دائماً حالة الإخلاص والتواضع إليه سبحانه وتعالى، فاستغفار الأنبياء لا يعني وقوع مخالفة منهم أبداً، وإن استغفارهم ليس كاستغفارنا، وسيأتي الحديث عن ذلك في محله إن شاء الله.

ثانياً: وأمّا اعترافه بالضلال، فهو كما قال وقلنا: إنّ الوكزة لا يحتمل أحد أنّها

تؤدي إلى الموت والقتل، ولهذا فعلها وكان كل يقينه أنها ستؤدي إلى ابتعاد عدوهما وفضّ النزاع بينهما، فلو كان يحتمل ولو احتمالاً ضئيلاً أنها تؤدي إلى قتله لما فعل، كيف يفعل ذلك وهو القائل على ما كان أقلّ من القتل بكثير أنه من عمل الشيطان وهو يشير إلى الصراع القائم بينهما، فاعتراف موسى بالضلال كان المقصود منه عدم العلم بالمؤدي؛ لعدم احتمالها أصلاً، وسيأتي تنمّة الحديث عن هذه النقطة.

س: إذا كان تدخل موسى بنصرته لإسرائيل في موضعها فلماذا حصلت هذه النتائج السلبية؟

ج:

أولاً: لم يحصل من موسى ﷺ إلا وكزة وهي دفعة خفيفة جداً بيده أو بالعصا، فلا تكون في ذهن أحد أن تكون هذه الكزة سبباً لموت طفل حتى يتحرّز منها موسى عن الإنسان الشاب. *تحقيقاً كما في علوم إلهية*

ثانياً: أن النتائج السلبية التي تحملها موسى ﷺ كان سببها الإسرائيلي الذي أفسى سرّ القتل بظنه الخاطيء أن موسى أراد البطش به لا بالقبضي عندما وجه موسى التأييب إليه.

ثالثاً: أن الله دخلاً في أن يعكس النتائج إلى هذه الحالة غير المرضية ظاهراً بتدخل قضائه في موت القبضي بوكزة موسى؛ لتكون سبباً في خروجه من المدينة للحصول على ما هو أهمّ، وهي النبوة التي محلّ عطائها هو طور سيناء بعلم الله.

س: إلى أين اتجه موسى بعد خروجه من مدينة مصر؟

ج:

إلى مدينة مَدِين.

س: هل موسى بعد خروجه من مصر كان عارفاً بمقصده واتجاه سيره  
بأنه إلى مدينة مَدِين؟

ج:

نعم كان قاصداً مدينة مَدِين بالذات، قال تعالى: ﴿وَمَا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينَ﴾  
(التقصص: ٢٢)، ولكن موسى لم يعرف الطريق السالك إليها ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي  
سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (التقصص: ٢٢)، أي ليس لديه علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه أنه  
سيهديه إلى الطريق الوسط والمعتدل الذي يؤدي به إلى مَدِين كما هداه في أصل  
خروجه أن يكون لمدينة مَدِين.



س: كم تبعد مدينة مَدِين عن مدينة مصر؟

ج:

أقل مسير إليها ثمانية أيام.

س: ما هي الصعوبات التي واجهت موسى في طريق هجرته إلى مدينة  
مَدِين؟

ج:

كل السفر كان صعباً جداً باعتباره لم يكن مستعداً إليه، بل هو سفر اضطر إليه  
عاجلاً مع طول المسافة وبتلك الصحراء القاحلة، ولهذا وردت بعض الروايات التي  
تقول: إنه - سلام الله عليه - كان يتناول من حشائش الأرض ليسد بها ريقه.

س: كيف حصل اللقاء بين موسى وشُعَيْب؟

ج:

لقد قطع موسى المسافات الطويلة وحيداً ملاحقاً من قبل السلطة غريباً لم يكن أحد بصحبته يرفع عنه وحشة الطريق، ولولا إيمانه بالله ورعاية الله له لمات جوعاً أو عطشاً، أو أن يصبح مأكول تلك الوحوش التي تملأ طريق تلك الصحاري، قطع موسى المسافة بإيمانه وصبره حتى دخل مدينة مَدْيَن ووصل إلى بئر مَدْيَن وقد أخذ الجوع والعطش المأخذ الكبير منه، رأى جماعة من رعاة الغنم مزدحمين على البئر وهم يخرجون الماء منه ويصبّونه في حوض كبير تجتمع عليه المواشي لتشرب منه، ويرى موسى أن كل مجموعة مشغولة بإخراج مائها وماء مواشيتها من خلال دلو كبير يتعاون عليه جماعات من الرجال والنساء لإخراج مائه ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (النص: ٢٣)، نظر إلى جانب من جوانب أفق الفضاء الواسع وإذا ببنتين بعيدتين عن هذا الجمع وهنّ بصحبة رؤوس من الغنم، يحاولنّ عدم التقرب من هذا الجمع بمنع حركة المواشي للوصول والتقرب إليهم، وهنّ يتحرّكن بحركة الستر والابتعاد عن جذب الناظرين إليهنّ ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ (النص: ٢٣)، ممّا جذبت هذه الحركة المحتشمة رأي موسى أن يقترب إليهنّ ليسألهنّ عن سبب هذه العزلة على الرغم من احتياجهنّ للماء ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ (النص: ٢٣) وما شأنكما ومالكما لا تسقيان مع هذا الجمع من الرجال والنساء حيث المجال واسع وفيه محلّ فراغ لغنمكم؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ (النص: ٢٣)، جاء الجواب على ما توقعه موسى ﷺ من حركات الحشمة والعفة التي صدرت منهنّ، ومن ضرورة حضورهنّ لعدم وجود من يقوم

مقامهنَّ بعمل السقي باعتبار ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (النصر: ٢٣)، ممَّا صار حافظاً مؤكداً لقيام موسى بواجب السقي، ذهب بنفسه لتناول ذلك الدلو الكبير وأخرج منه الماء لوحده وأخذ يصبُّه في ذلك الحوض حتى ملأه ماءً وجاء بالغنم فشربت حتى ارتوت منه، وملأ كذلك القِرْبَ التي كانت بصحبتهما ﴿فَسَقَىٰ هُمَا﴾ (النصر: ٢٤)، وسلَّم الغنم إليهما وذهبتا بالغنم والقِرْب، ورجعتا إلى البيت في وقت لا ترجعان به عند كلِّ مرّة من السقي وبسرعة تثير السؤال عليهما حتماً، أنكر الأب والشيخ الكبير عليهما ذلك فأخبرتا الخبر، فقال: عليّ به ...

أحسَّ موسى ﷺ بالتعب بعد أن اجتمع عليه الحرّ والجوع ذهب إلى شجرة قريبة ليستظلَّ بفيئها لا يعلم كيف يحصل على لقمة يسدُّ بها جوعه الشديد ويقوى بها صُلبه وهو صاحب النفس الأبيّة التي ترفض السؤال في مثل هذه الموارد، التجأ إلى الرازق الكريم ليسأله بكلِّ ذلٍّ ليعطيه عزة الطعام، رفع رأسه إلى السماء ومدَّ يد الحاجة إليه سبحانه بكلِّ تذللٍ وخشوعٍ وهي تنقل إليه الكلمات المختصرة ذات المعاني العظيمة ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (النصر: ٢٤)، إنه يمتلك القوّة عندما يمتلك السبب الطبيعي لاستخدامها.

ولكن هنا وفي لحظات الغربة وحاجته الآنيّة هذه لا لجوء إلا إلى السبب المباشر الذي يرزق من غير حساب، ولم يصرّح موسى ﷺ بطلبه بل أضمره في قلبه لعلمه أن الله يعلم ما يريد، ولم يكن مطلوب موسى الذي أضمره في هذه اللحظات ما يطلبه المترفون، بل طلب قرصاً من الخبز ليتقوى بها.

ورد عن أمير المؤمنين ﷺ بعد الحثّ على التأسّي بالرسول ﷺ أنه قال: «وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله ﷺ إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ والله

ما سأله إلا خبزاً يأكله؛ لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضر البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه»<sup>(١)</sup>.

وما هي إلا دقائق وقد استجاب له ربه بمجيء كبرى إحداهن وهي خجلى من أنظار الناس إليها، ومن أنها ستقابل شاباً وتريد اصطحابه إلى البيت، ولم يحصل لها سابقاً أن واجهت مثل هذا الموقف لتربيتها التي عودتها على الاحتشام أمام الغرباء، ولكن حصرتها الضرورة واحتياج الأهل لذلك حيث ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لم يقدر على الخروج، فكانت الأخت الكبرى هي التي تنفذ ما يطلبه البيت من الخارج ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ (النصر: ٢٥)، استحياء في ملبسها الذي يضي عليها الستر، واستحياء في مشيها الجانبي من الشارع، واستحياء من حركتها التي تتلوى وهي منحنية النظر إلى الأرض، واستحياء ممّا رأت في شباب موسى ﷺ وما عليه من الهيبة والبهاء والشرف، واستحياء بأسلوبها الكلامي الذي طرحته على موسى ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ (النصر: ٢٥)، وكان موسى هو الآخر على استحياء حينما شاهد البنت وهي متوجهة إليه مقبلة عليه، فانحنى بطرفه إلى الأرض حياءً من الله ومن طلبها، استجاب موسى ﷺ لدعوة أبيها.

وهنا تظهر صورة من أروع صور الحياء لموسى، ذلك حينما نهض موسى وهي تسير أمامه على عادة النساء القرويات، أو لظنّها هي السائق لموسى فلا بد أن تكون أمامه والكلّ يجري على براءتها، فنادها موسى ﷺ: يا أمة الله كوني خلفي فأرمني السميت بقولك، استجابت البنت لطلبه بعد أن عرفت مغزى الطلب وأنه نوع من

صيانة النفس من أن تدخل له الشهوة وهو يرى جسمها من الخلف تقسّمه الملابس أو الرياح التي تهبّ عليها، وأمانة منه على حفظ خدر النساء، وسارا على هذه الحالة المؤدّبة حتّى وصلا البيت، دخل موسى على شُعَيْب، سلّم موسى عليه وجلس إلى جانبه، ووجبة الطعام حاضرة أمامه، وأذِنَ له شُعَيْب بالأكل، قال موسى: أعوذ بالله، ولم يمدّ يده، قال شُعَيْب: ولمَ ذاك؟! ألسنت بجائع؟ قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، فقال له شُعَيْب: لا والله يا شاب ولكنّها عادتي وعادة آبائي، تقري الضيف، ونطعم الطعام، فجلس موسى ﷺ عند ذلك يأكل.

وبعد الانتهاء، وبعد أن عرّف أحدهما نفسه للآخر شرع موسى يقصّ ما جرى عليه ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ﴾ (التقصص: ٢٥)، عرف شُعَيْب شخصيّة موسى من خلال سماعه كلّ ما جرى عليه، فكان فرحاً لنجاة موسى ﷺ من يد فرعون من جهة، ومن جهة أخرى كان شُعَيْب قد حصل على مَنْ يؤيّده فيما يؤمن به ويناصره فيه، فأخذ شُعَيْب يزرع في قلب موسى الاطمئنان برفع ممّا يحذر منه؛ لعدم وصول آل فرعون إليه لعدم سيطرة فرعون على هذه المنطقة وهي قرى مَدْيَن؛ أو لعدم اهتمام فرعون بمثل هذه المناطق الفقيرة ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التقصص: ٢٥)، وفي نفس الوقت إنَّ هذا الرّدّ من شُعَيْب يستبطن حبّه لموسى والبقاء عنده.

س: كيف قضى موسى فترة من حياته في بيت شُعَيْب؟

ج:

بعد مرور يومين من بقاء موسى في بيت شُعَيْب أراد الخروج لطلب العمل،



قدّمت الكبرى من بناته اقتراحاً على أبيها بأن يعمل موسى كراعي لأغنامهم، وأن يستفيدوا من طاقته أفضل من أن يستفيد بها غيرهم؛ لعدم وجود رجل يقوم بمساعدتهم بالرعي فاحتياجهم إليه ضروري، بالإضافة إلى أنه يمتلك عاملين أساسيين في العمل وصلاحيّة البقاء بينهم، فأما من ناحية العمل فهو قويّ قادر على سقي المواشي لوحده كما شاهدناه، وأما في بقائه بيننا كعائلة غريبة وأجنبية عنه فقد جرّبنا نجاته وأمانته على خدر النساء من خلال مكثه ومعايشتنا معه، أو من خلال ذلك الأمر الذي وجهه موسى للبننت بأن تمشي خلفه فقيّمت أمانة موسى من تلك اللحظات ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (النصر: ٢٦)، استجاب الأب لاقتراحها واستجاب موسى لطلبه.

وبقي موسى يرعى غنم شعيب ويأكل من كدّ يده، ولم يرَ أهل بيت شعيب منه إلا الخير والرزق الحلال، ولم ينظر إليه إلا عابداً لله صادقاً في قوله أميناً في معاملته حتى أصبح محبوباً منسجماً مع متبنيات شعيب ومتبنيات بناته التدينيّة.

ومرّت الأيام وإذا بشُعيب يعرض على موسى الزواج من إحدى ابنتيه بشرط خارجي عن عقد النكاح وهو البقاء في عمل الرعي لمدة ثمان سنين، ربّما أراد شعيب من خلال هذا الشرط أن يضمن بقاء موسى بينهم من خلال التزامه بالشرط، وكان ينظر شعيب إلى الثمانية سنوات أنها مدّة قليلة؛ لحبّه الشديد إليه فترك الزيادة على تلك المدّة إليه في أن يبقى عشرة سنوات أو أكثر إذا لم يكن في بقائه هذا مشقّة عليه، ولم يطلب منه خلال هذه المدّة إلا الرعي ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (النصر: ٢٧).

قَبْلَ موسى بِالعرض والطلب ولكن جعل العرض حالة منجزة بينه وبين البنت لتكون زوجته وحليلته، وأمّا الطلب فجعله حالة بينه وبين شعيب خارجة عن العقد معلّقة على وجوب الوفاء بالشرط، يفى به مادام حيّاً من خلال العهد واليمين الذي قدّمه موسى إلى شُعَيْب على أن يبقى أحد الأجلين الثمانية أو العشرة سنوات ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (النصر: ٢٨).

تزوج موسى وبقي العشرة سنوات وهو أوفى وأتمّ الأجلين وأحبهما إلى شُعَيْب، وبعد أن انتهى من أبعاد الأجلين توادعا بعد أن قرّر موسى ﷺ الخروج هو وزوجته وغنمه وربما بعض من كان معه من أولاد أو نساء ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (النصر: ٢٩) قاصداً مدينة مصر لمتابعة عمله مع أخيه هارون ﷺ ومع بني إسرائيل، فهو القيادي المخلص الذي لم يستسلم لحالة الرخاء التي وجدها عند شُعَيْب ولم ينس شعبه وأُمَّته.

س: كيف ومتى بدأ وحي النبوة مع موسى؟

ج:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ (النصر: ٢٩)، خرج ومن معه من أرض مَدْيَن قاصداً مصر، وبينما كان يسير إلى محاذاة الجبال في طريقه الجبلي من طرق سيناء متكأ على عصاه، وفي إحدى الليالي الشتائية الباردة هناك ضلّ موسى الطريق المؤدي إلى مصر، وأخذ أهله البرد القارص، وموسى يبحث عن حلّ لمشكلته، ومن بين نظراته الحائرة الباحثة عن الدفء أخذه أنس الأمل والسرور عندما رأى ناراً ولا يعلم هل هي لأهل يحيطون بها ليسألهم عن الطريق؟ وهل

يمكن أن يأتي بقطعة من تلك النار ليشعل من خلالها حطباً ليستدفئ بها الجميع؟ هكذا قال، ﴿أَنْسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (التصوير، ٢٩).

ظلت الزوجة التي كانت أهلاً لموسى تقضي له حاجته في أكثر من جهة من جهات احتياجه وهي تراقب زوجها الذي أخذ يبتعد عنها ليقترب إلى تلك النار التي لم يشاهدها أحد من أهله إلا هو، وعند وصوله إليها فوجئ بنداء من شجرة تقع على شاطئ يطل على وادٍ عميق إلى يمين موسى قريب منه، بأرض مملوءة بالخضار مباركة بالثمار ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ (التصوير، ٣٠)، أنها نار ترى من خلالها شجرة عالية باسقة مثمرة لم يأخذها الانكماش بفعل النار! يا للعجب!! تتحرك الشجرة بأغصانها كأنها في أحلى نسيم ربيعي يمر عليها، فلا النار تنطفئ بفعل رطوبة الشجرة والشتاء، ولا الشجرة تحترق بفعل النار، إنها تحاله نورانية بشكلها الناري، ومن بين نظرات العجب التي جذبت نظرات موسى انبثق نداء الصفاء وهو يشق الظلام بهزة تخشع له الجوارح والجوانح، ويزداد موسى عجباً وانبهاراً ومفاجأة، نداء من بين نور في أعلى درجات نورانيته يشبه النار، لا يعلم موسى أنها اللحظات المرتقبة التي تعطي من بين تلك الظلمات أشعة نهار النبوة التي تملأ الدنيا ابتهاجاً وسعادة وسروراً.

نعم، إنها بداية الوحي للنبوة التي حصل عليها موسى بعد افتتاح وامتحان ومرور بعذاب وعذاب، التفت موسى إلى تلك الشجرة التي مثلت اتجاه النداء ومحل صدوره وكل فكر موسى وتوجهه إلى النداء الذي أخذ منه مأخذاً كبيراً، وقد اجتمعت عليه المفاجئة والعجب والخوف والدهشة ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ

العالمين ﴿التصم: ٣٠﴾، أخذ موسى الخوف للوهلة الأولى؛ لأنه لا يعرف مصدر هذا النداء الروحي الجاذب هل هو من الله عزَّ وجل أم من شيء آخر؟ أردفه الله بنداء آخر ليؤكد أنه الكلام الإلهي في نفس موسى فقال الله له: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ (طه: ١٢).  
 تيقن موسى أنه الوحي الإلهي، وأنَّ النداء نداء إلهي، لم يتمالك موسى نفسه إلا أن تأخذه الخطى إلى تلك الشجرة التي أخذت كل مشاعره شوقاً وتلهفاً لنداء الحبيب إليه، وإذا بنداء آخر ينبئه موسى على أنه في حضور الله وحضرتة ومحلَّ وحيه، فهو في مكان أصبح له ميزة من الاحترام والقدسيَّة ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢). ولهذا يجب أن تتعامل معه بما يميّزه عن بقية الأماكن ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ (طه: ١٢)، لتكون على يقين من إنِّي أنا الله، وأنَّ ما تشاهده لم يكن خيالاً أو من تأثير غير الله، فليدخل لك شعور الاحترام والتعظيم الذي يميّز هذا المكان عن غيره.

خلع موسى نعليه بصورة انسيائية حيث امتلك النداء كل مشاعر موسى وأحاسيسه، وكل فكره وتوجَّهه ونظراته الخاشعة الشاخصة إلى تلك الشجرة، وأخذ النداء يقربه إلى تلك الشجرة وهو على ترحيب من قبل الله واحترامه وتقديره وتعظيمه، بورك مَنْ ظَهَرَ صورة من صور قدرته في النار وما حولها، وبورك فيك يا موسى وبمَنْ حول النار من الملائكة والمكان المقدَّس ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (النمل: ٨)، وهذا لا يعني أنَّ الله قد أحيط بالمكان ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٨)، بل هو نوع من القدرة لنوع من الكلام من خلال النار، يا موسى ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه: ٤١)، للحبِّ الذي أمتلكه لك لعلمي ما فيك من الخير بعد أن ﴿وَفَتَّاكَ فُتُونًا﴾ (طه: ٤٠)، وهذا هو الذي قد أهلك إلى حمل مسؤوليته النبوة والرسالة إلى الناس ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: ٣٩)، وتحت مراقبتي ورعايتي

المباشرة لك؛ لأمدك بكل ما تحتاجه من العوامل المساعدة ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ (طه: ١٣)، باعتبار أن مثل هذا التعيين والتنصيب ليس من حق أحد غيري، وهأنت الآن قد أصبحت نبياً، ولهذا ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه: ١٣)، وبلغه يا موسى إلى كافة الناس مبتدئاً بالأساس العقائدي الأول إليهم وهو التوحيد ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ (طه: ١٤)، ولم تقم حالة التوحيد هذه منحصرة على الإيمان القلبي والتوجه الفكري المجرد، وإنما تحتاج إلى العمل بمنهج التوحيد وذلك من خلال طاعة المكلفين بكل ما يصدر مني ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤)، وعليك بتأكيد الأصل العقائدي الآخر وهو المعاد ويوم القيامة ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (طه: ١٥-١٦).

وأما الأصل الثالث النبوة فأكد عليه من خلال شخصيتك لأنك أصبحت الآن نبياً، ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ (طه: ٣٧)، وأصبحت رسولاً كذلك ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ١٠)، ولهذا سوف أعطيك ما ينفعك في التصديق بنبوتك ورسوليتك بما هو مناسب للحاجة ونوع التحدي الذي سيواجهك وتواجهه ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ١٧)، نظر موسى ﷺ إلى عصاه التي تحملها يمينه، ما هي إلا نبات ميت يعرف الله حقيقتها أكثر منه، علم موسى أن ما يراد من السؤال أمّا اختبار لذكائه أو ليؤكد معرفة ما لديه له، أو أن هناك حكمة أخرى لم يطلع عليها موسى، أجابه بالتفصيل الإجمالي الذي يجمع بين حقيقة ما يحمله من أنها عصى ميتة جامدة وبين الفوائد المترتبة على حملها ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (طه: ١٨)، هو كما

تقول يا موسى، وهذا كل ما تعلمه عن العصا، ولكن سوف أعطيك ما أرب لم يكن تتصوره سابقاً، وليس بمقدور أحد غيري أن يصنعه ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ (طه: ١٩)، فألقاها على الأرض، نظر إليها موسى وهي تتحرك بل وتحولت إلى حية ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه: ٢٠)، ونمت سريعاً حتى تحولت إلى ثعبان عظيم ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ١٠٧)، وأنها تتحرك حركة هائجة في سرعة غير منتظمة على عكس حركة الأفعى الطبيعية إذا كانت كبيرة الحجم ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ (النمل: ١٠)، إنها حقيقة وليست من الخداع على العيون، هرب موسى خائفاً من هول ما رأى؛ ليحذر ويتجنب الوقوع بما هو مكروه كأبي حالة من ردود الفعل الطبيعية التكوينية التي تحصل لأي إنسان في مثل هذه المواقف التي يتفاجأ بأفعى حقيقية عظيمة بحركات سريعة وهي تحوم حوله، بل تحاول أن تلقمه ومن دون سابق إنذار وعلم، إلى أين ذاهب أنت يا موسى، تعال ولا تخف ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (التصوير: ٣١)، إنك في حضرتي وتحت مأمني، وأنت رسولي، قريب مني، وإن هذا الثعبان تحت قدرتي وإرادتي، ولذلك ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل: ١٠).

استقر موسى بعد أن اطمأنَّ ببدء الله ثم ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه: ٢١)، وضع موسى يديه عليها فإذا هي أفعى حقيقة، أخذ يعمق اللمس فيها وينظر إليها بكل عمق، وبعدما اطمأنَّ من أنها معجزة الله رأى عصاه قد أعيدت إلى حالتها الطبيعية.

يا موسى، خذ برهاناً وآية أخرى للناس لتعينك بالتصديق بنبوتك، أدخل يدك تحت إبطك وأخرجها سوف تخرج بيضاء كالشمس وهي صافية وبعد الانتهاء من

غرضك ترجع إلى حالتها الطبيعية ولم تترك أي حالة مرضية من احتراق أو بقع جلدية أبداً ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ (طه: ٢٢).

وهذان برهانان أن أجعلك تطمئن فحسب بآني أنا الله ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (طه: ٢٣)، بل هاتان الآيتان ستبقى معك حيث تتفعلك وأنت تؤدي واجبك أمام فرعون وقومه ﴿قَدْ أَنْكَرَ بَرَاهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (التصوير: ٣٢).

س: لماذا جعل الله قدرته الكلامية إلى موسى أن تتجسد من خلال نار الشجرة، فلو كان على شكل نور كما هو المناسب لذاته المقدسة، أليس ذلك من الأفضل والأنسب؟

ج: مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

أن الله أراد أن يتفرد بموسى بعامل له القوة على جذبه بصورة سريعة ومن دون تردد فيه، وموسى في تلك الحالة كان محتاجاً إلى عاملين، الأول: التدفئة لأهله لبرودة الجو القارصة، والثاني: إلى أهل وجماعة يدلونهم ويهدونهم إلى الطريق الرئيسي المؤدي إلى مصر، فكان أقوى عامل لجذبه هو النار التي توفر له هاذين العاملين من الحاجة، حيث أصل التدفئة من النار، وإن وجود النار في ذلك الوقت تدل على وجود الأهل الذين أوقدوها، أمّا النور لو حصل فليس له القابلية لجذب موسى؛ لأنه لا يعطي التدفئة ولا يعتقد في ذلك الزمان أن له أهلاً حوله، بل قد يعتقد أنه من حجر أو من حيوان أو نتيجة لظاهرة طبيعية أو من أي شيء آخر يحتمله موسى، وبالتالي فلا يكون جاذباً للتوجه إليه، فلذلك أنس موسى عند مشاهدته للنار، فلو كان نوراً لم يأنس إليه لعدم حاجته إليه في ذلك الوقت.

س: هل كلم الله موسى حقيقةً ومن دون واسطة أم هو نوع إظهار لقدرته سبحانه من خلال الشجرة في أن جعلها تنطق؟

ج:

الصحيح هو الجمع بين القولين؛ لأنه عندما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: ١٦٤)، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ (الأعراف: ١٤٤)، وكان لقب موسى ﷺ بأنه كليم الله، هذا يعني أن تكليم الله لموسى كان له ميزة تختلف عن الوحي وعن أي واسطة، أي أراد الله من خلال هذه الآيات أن يؤكد التكليم والإلقاء الحقيقي والمباشر يسمعه موسى من خلال الشجرة بقدر ما يتحمّله تكوين موسى من الإصغاء له، وقدرة الله مطلقة، فيمكن له سبحانه أن يستعمل أي نوع من الكلام بحيث يفهم موسى ﷺ.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «...وقد قال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل... ومن أين تأخذ الوحي؟ فقال جبرئيل: أخذه من إسرافيل، فقال: ومن أين يأخذه إسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوّه من الروحانيين، قال: فمن أين يأخذه الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفاً، فهذا وحي وهو كلام الله عز وجل، وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرسل، ومنه ما قذفه في قلوبهم، ومنه رؤيا يريها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يتلى ويقرأ فهو كلام الله، فاكتف بما وصفت لك من كلام الله، فإن معنى كلام الله ليس بنحو واحد»<sup>(١)</sup>.

ورد عن صفوان بن يحيى أنه قال: سأل أبو قرّة المحدث الإمام الرضا ﷺ فقال:



أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى؟ فقال ﷺ: «الله أعلم بأيّ لسان كلمه بالسريانيّة أم بالعبرانيّة». فأخذ أبو قرّة بلسانه فقال: إنّما أسألك عن هذا اللسان، فقال أبو الحسن ﷺ: «سبحان الله عمّا تقول، ومعاذ الله أن يشبه خلقه أو يتكلّم بمثل ما هم متكلمون، ولكنّه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولا كمثله قائل وفاعل».

قال: وكيف؟ قال ﷺ: «كلام الخالق مخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق، ولا يلفظ بشقّ فم ولسان، ولكن يقول له كن فكان بمشيئته، ما خاطب موسى من الأمر والنهي من غير تردّد في نفس...»<sup>(١)</sup>.

فالتكلّم كان من صفات فعله لا ذاته، وأنّه نوع من سعة قدرته في صنع أنواع الكلام وطرقه المختلفة.



س: قال تعالى: وهو ينقل كلام موسى: ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾، وآية أخرى ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾، وآية أخرى ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾، ما هو الفرق بين الجذوة والقبس والشهاب؟ ولماذا هذا الاختلاف في جواب موسى ﷺ؟

ج:

الطريق جبلي، والجوّ بارد، والفترة الزمنيّة لليوم كانت ليلاً، وقد رأى موسى ناراً من بعيد، فمن مجموع هذا كان موسى شاكاً في ثلاثة أشياء هي:  
١- قدرته على وصول النار إلى الأهل ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا﴾.

٢- كميّة النار التي يمكن وصولها إلى الأهل وهو يقطع هذا النوع من الطريق مع هذا النوع من الجوّ، فقد يمكن وصول النار إلى الأهل ولكن الذي يصل هو جمرة ممّا يتركه الحطب عند اشتعاله وهو معنى الجذوة ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ (التقصير: ٢٩)، وقد يمكن الحصول على النار لكن بما أنّ ما أتمكّن حمله هو جزء من الحطب الذي يحمل القليل من النار، وهذه الكميّة سرعان ما تنفذ وتنتفي أو قد يمكن وصولها ولكن لا تنفي بالفرض، وهذا معنى شهاب القبس ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ (النمل: ٧)، وقد يمكن الحصول على النار ووصول جزء منها بحيث لم يعلم كفايته للدفع وهو معنى القبس ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ (طه: ١٠٠).

فنستنتج من كلّ ذلك أنّ موسى ﷺ لم يعط لأهله الكلام الجازم للحالة الواحدة نتيجة الظروف الطبيعيّة الصعبة المحيطة بهما.

٣- الشكّ في إمكان حصول الدفع من تلك الكميّة من النار لو أمكن وصولها ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل: ٧) (التقصير: ٢٩).

نعلمنا هذا النوع من الجواب لموسى ﷺ ألا يكون لساننا سبّاقاً لإعطاء الوعد حتّى في الحالات المتيقّنة ظاهراً لأجل ألا نكون عرضة للتكذيب من قبل الآخرين، ورد عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال: «لا تعدنّ عدّة لا تنق من نفسك بإنجازها»<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الصادق ﷺ أنّه قال: «لا تعدنّ أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه»<sup>(٢)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٥٣١٦/٢٥٣.

(٢) تحف العقول: ٣٦٧.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تحويل الله عصا موسى إلى أفعى ولم يحولها إلى شيء آخر؟

ج:

- ١- ليستيقن موسى أكثر من أن النداء هو نداء إلهي، فزوده الله بشيء حسي سواء كان ذلك بأفعى أو بشيء آخر.
- ٢- أن الله يعلم أن التحدي الذي سيواجهه موسى ﷺ هو من نوع الأفعى الذي يستعمله فرعون لإضلال الناس وإظهار قدرته إليهم من قبل السحرة في وقته.
- ٣- أن الله يريد من موسى ﷺ أن يشاهد هذه الأفعى حتى إذا استعملها عند الحاجة لا يكون عليه شيء غريب وغير متوقع عنده.
- ٤- أن الله أراد من موسى ﷺ أن ينطلق في تحركه كشخصية أعلى من كل شخصية من حيث القوة والعزة، لا الشخصية التي تعيش الحرمان والضعف الذي ولده الرعي والغربة والوحدة والحاجة، حيث الآن وقد أصبح يمتلك سلاحاً يضاهي به نفس سلطة فرعون وسلاحه، لما للسلاح من دور مهم في حياة الإنسان في زرع الثقة في نفسه وعلو في روحه وشخصيته وهو يريد أن يجاهد أكبر قوة.

س: لماذا شارك الله موسى بأخذ الأفعى ليعيدها إلى سيرتها الأولى ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ ولم يباشر الله بإعادتها؟

ج:

- ١- كان بإمكان المولى سبحانه أن يخرج الأفعى من دون إلقاء العصا، فإلقاء العصا ليثبت من خلالها لموسى أن الذي يراه هو من تلك العصا الميتة التي كان يتوكأ

عليها، وهي نفس العصا التي ألقاها ليثبت المعجزة ويؤكد لها في نفس موسى، وأخذ الأفعى من قبل موسى لاسترجاعها إلى حالتها الأولى ليؤكد لموسى ولنا أنها حقيقية وليست من نوع سحر الساحرين حيث لمسها موسى بيده وأخذها بينما أفعى السحر ليست كذلك.

٢- أن الله يريد أن يُشرك الإنسان حتى بالمعجز ولو على مستوى اللمس ليشعر الإنسان بمساهمته بالعمل، وأن المعجز هو لأجل الإنسان لا شيء منفصل عنه فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ (مريم: ٢٥).

٣- أن مشاركة موسى ﷺ بالمعجز تزيد موسى عزّة وكرامة وثقة بنفسه وبربه الذي منحه هذا السلاح وعرفه عليه.

س: ما هي أول مهمة ألقيت إليّ موسى من قبل تكليم الله له من خلال الشجرة؟

ج:

عندما كان موسى في مصر وفي قصر فرعون يعمل بين وسط بني إسرائيل وضمن مرحلة التغيير السريّة، وبعد أن مرّت أكثر من عشرة سنوات على ترك تحرّكه وعمله حصلت تغييرات وتطوّرات قيّمها الله بتقييمه وتقديره أنها قد خطت خطوات يحتاج فيها إلى العمل العلني ودخول مرحلة الصراع السياسي ومواجهة السلطة ﴿أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه: ٢٤)، ومواجهة الأقباط الذين وصلوا بفسادهم إلى حدّ لا يمكن السكوت عليه ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُمُ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (التقصير: ٣٢).

س: ما هي الطلبات التي طلبها موسى من ربه لتساعده على نجاح أداء مهمته في التصدي والتبليغ؟

ج:

بعد أن أوكلت إلى موسى ﷺ مهمة التصدي ضد فرعون وملئه من قبل الله عن طريق التكليم، التفت موسى إلى نفسه وفكر بعلاقته مع فرعون والأقباط حيث يطلبونه حياً وميتاً؛ لأن قرار قتله صدر من القصر الفرعوني نفسه، وهذا يعني أن الكل يرغبون بالعثور عليه ليقدموه إلى سياط فرعون ومقصبته، وموسى لم يخف من سياطهم أو الموت على يديهم ولكنها المهمة الإلهية والرسالة الربانية التي أوكلت إليه يريد نجاحها على يديه بكل حرص، فكيف يتم الوصول إلى قصر فرعون مع أنه مطلوب من كل العيون؟ وهذا ما يحتاج إلى توكل وتضرع إلى الله بالدعاء الكاشف عن طلب موسى ﷺ ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي • وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي • وَاخْلُقْ عُنْدَهُ مِن لِّسَانِي • يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه: ٢٥-٢٨).

بالإضافة إلى حاجته التي عرضها عن طريق الدعاء فكر موسى في تنفيذ الخطة، وأنه عاش مع فرعون مدة ثمان عشرة سنة لم يلتفت فرعون من خلالها إلا أن كون موسى هو أحد أفراد عائلة القصر الذي احتضنه رضيعاً إلى أن أصبح شاباً، المنشغل بما ينشغل به أبناء القصر، وأن الحدث الأخير لموسى بقتله القبطي ما هي إلا إشارة على تمرّد موسى ﷺ على فرعون اكتشف من خلالها المحاولة منه لقلب نظام الحكم عليه ليس إلا ولو على المدى البعيد.

هذا هو فهم فرعون، وهكذا كان يفكر فرعون كما يفكر كل طاغية في مثل هذه

الأمر، فلو كان فرعون يعلم أن لموسى طريقة تخالفه وتضده لقتله وهو في عقر داره، فإذا كان هذا تفكير فرعون فمن الصعوبة على موسى أن يدعي النبوة أمامه لعلمه بعدم الاستجابة؛ لعدم وجود الترابط بين ما يفهمه فرعون من ظاهر شخصية موسى وبين واقع شخصية موسى النبوية، وبالتالي فشل المحاولة المؤدية إلى قتله رأساً ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القمص: ٣٣)، ولهذا طلب موسى ﷺ من الله أن يسند تحركه برجل آخر، خارجي عن القصر وداخل في البيت النبوي، فوقع نظر موسى على أخيه النبي هارون.

س: لماذا اختار موسى أخاه هارون ليشترك معه في تحركه الميداني؟

ج:

أولاً: أن هارون يمتلك السلوك العرفاني ونسكه العبادي الذي يقرب فكرة النبوة في قلب فرعون الذي لم يعرف عن موسى بتوجهه واتصاله بالله وما هي منزلته عند الله وارتباطه بالسماء وسلوكه العبادي، بل كل ما يعرفه أنه أحد أبناء القصر وقد تمرّد عليه بقتله للقبطي.

ثانياً: أن سرعة الأحداث التي يتوقّعها موسى ومخاطرها التي تنتج نتيجة المواجهة مع فرعون أن تؤدي به إلى دخوله السجن وتعذيبه على أقل التقادير، فهو يحتاج إلى من يواصل طريق المواجهة.

ثالثاً: سعة رقعة بلاد مصر وكثرة أهلها وتعقد تشكيلاتها الاجتماعية الذي يؤدي التحرك بينهم بمفرده إلى بطء مخلّ في النتيجة لو مرّت هذه الحركة بسلام.  
رابعاً: احتياج موسى الواضح إلى عنصر مبلّغ يشاركه في عملية التبليغ الرسالي، ويوضّح الكليات والجزئيات التي يدعو إليها موسى وينوب عنه عند

غيابه؛ لأنه يمتلك شريحة واسعة من المؤيدين له من بني إسرائيل، وخصوصاً إذا لاحظنا أن هارون له القابلية على تفهيم عامة الناس بالنزول إلى اللغة التي هم يفهمونها لعقولهم المتحجرة، ولهذا عبّر موسى عن أخيه بأنه أفصح مني لساناً، وهذا لا يعني أن موسى ليس له القابلية في ذلك، وإنما يحتاج به إلى صرف جهد بإمكانه أن يبذله بما هو أهم.

خامساً: أن موسى يعرف في شعبه ومؤيديه من بني إسرائيل من الصفات المعقدة من اللجاجة والتحجير الفكري مالا يطلع عليها ولا يعرفها غيره التي قد تسبب له ضيقاً في صدره منها لو بقي وحده المتصدّي لكل هذه الأمور، فيحتاج إلى من يمثله ليحوّل عليه بعض تولّي الأمور؛ ليحافظ على سعة صدره وانسراحه للآخرين، وبهذا يحافظ على خلقه النبوي الكريم.

سادساً: أن موسى يختلف في تحركه عن بقية الأنبياء؛ لأن الأنبياء قد جاؤوا وبعثوا إلى مجتمع تنعدم فيه عقيدة التوحيد، فالنبي يبدأ خطوة خطوة لزرع عقيدة التوحيد في أفكار الناس حسبما يتمكن عليه، وهذا النوع من التحرك يمكن أن يدار من قبل شخصه منفرداً، وإذا توسّعت عنده رقعة الموحّدين وكثر عدد المؤيدين بحيث لا يمكنه إدارة الأمور لوحده استعان بالثلة التي كوّنوها وبنائها أثناء عمله، بينما موسى ﷺ ليس كذلك فهو يمتلك ابتداءً القاعدة الواسعة من الموحّدين والمؤيدين له من بني إسرائيل، الذي يحتاج فيه ابتداءً إلى من يعينه في إدارة شؤونهم المعنوية العقائدية، والدفاع عنهم، وغيرها من الأمور التي يحتاجها القائد في قيادته.

سابعاً: أن مهمّة موسى ﷺ يجب أن تسير في اتجاهين مختلفين من حيث المطلوب من موسى في عمليّة التبليغ؛ لأنّ تبليغه العقائدي لم ينحصر على بني

إسرائيل، بل يشمل الأقباط كذلك، وما يحتاجه الموحدون في عملية التوجيه غير ما يحتاجه الوثنيون في عملية التبليغ، وتغطية هذا الكم الهائل بمفرده في الاتجاهين المختلفين مع الظروف الصعبة التي سيعيشها مع فرعون وجنوده أمر يحتاج إلى طرف آخر وشخصية أخرى كهارون بشكل حتمي.

ثامناً: أن موسى كان يفتقر إلى وجود ثلّة ولو قليلة يعتمد عليها في تحركه من بني إسرائيل، وأن تفهم تلك الثلّة أسس العقيدة والتحرك ضمن ما يريده موسى من فكر ومنهجية للعمل، وموسى كان يفتقر لمثل هذا العنصر في بني إسرائيل.

س: كيف تمّ اللقاء بين موسى وهارون، وما هو الحوار الذي دار بينهما؟

ج:

عندما بدأ موسى يطلب الإذن من الله في أن يشرك أخاه الكبير معه مع عرض بعض الأسباب التي يذكرها الله في كتابه ليتمّ توضيحها إلينا ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي • هَارُونَ أَخِي • اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي • وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه: ٢٩-٣٢). ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِذَاءً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (القمص: ٣٤). ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ • وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ (الشعراء: ١٢-١٣)، احترام الله تقييم موسى الدقيق من خلال تشخيصه لحاجة حركته إلى مثل أخيه التي يعي موسى عظيم حجمها وخطورتها، ولهذا استجاب الله لطلبه ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٣٦)، ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ (القمص: ٣٥).

هنا انتهى النداء الربّاني وانتهى لقاء موسى مع ربّه من خلال كلامه الذي تجلّى إليه من تلك الشجرة، ورجع موسى إلى أهله مع قبس من النار وهدى الطريق الذي



أخذ موسى وأهله يجتدون السير فيه، وبعد أن انتهى اللقاء بين موسى وربّه بلحظات ذهب موسى إلى بلاد مصر لينقل ما حمّله الله من الأمانة المتعلقة بهارون، وصل مدينة مصر ودخل إلى بيت أخيه سرّاً، مكث عنده مدّة يقصّ ما جرى عليه حتى وصل إلى عرض الطلب الإلهي عليه، استجاب هارون لموسى ولم يتوان في الاستجابة؛ لمعرفته بمنزلة موسى النبويّة وتصديقه بكلّ ما يدّعي كعرفة موسى به، وأخذاً يتباحثان طويلاً في كيفيّة تنفيذ الخطّة، ووجد هارون أنّ كلّ الصعوبة تكمن في الوصول إلى رأس السلطة كما رآها موسى سابقاً، نزل الوحي عليهما ليؤكد ما نقله موسى لأخيه، وطلب الله منهما سرعة التحرك ﴿أَذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ ﴿٤٣:٤٢﴾.

إنّهما مستعدّان للذهاب إلى فرعون، ولكنّ المشكلة حسب تقييمهم الواقعي المعاش لفرعون أنّه لا يعرف إلا لغة القتل لأيّ شخص يشمّ من خلاله رائحة الخدش لأنانيّته، وبالتالي الفشل المحقّق وعدم إمكان تجاوز الخطوة الأولى للمهمّة الملقاة على عاتقهما، موسى قد حصل على الأمن من ذلك مسبقاً من قبل الله؛ وبقي هارون يحتاج إلى مزيد من الأمن على نجاح أداء الرسالة، ومن حقّ هارون أن يسمع كلمات الأمن بنفسه من قبل الله لأنّ المسألة غير ملائمة جداً بين إعلان مهمّة الدعوة إلى الله الذي يعني التمرد العلني على فرعون وبين أن تكون المهمّة ناجحة على أيديهما، شارك موسى هارون في الهمّ ليحصل هارون على ما يريد من الله كما حصل هو عليه مسبقاً ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ ﴿٤٥﴾، أجايبهم الله: هو كما تقولان، وهذه الحقيقة من التقييم يقول بها كلّ من عاش في مرحلة فرعون وجرى ضمن أسباب المواجهة الطبيعيّة، ولكن أقول

لكما: إنَّ مواجَهتكم لفرعون وقومه سوف تجري في المسارين الطبيعي وغير الطبيعي من الأسباب:

أولاً: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦) ، فكلَّ تحرَّك يصدر من خلالكم أو من خلال عدوكم فهو واقع تحت مراقبتي ومرصود من قبلي أُمْنَع كلَّ ما يصدر ضدَّكم.

ثانياً: عليكم ألا تستعملوا الخشونة في الحديث أو تعلنون الحرب المباشرة معه انطلاقاً من تقييكم له، فإنَّه وإن كان طاغية شرساً مجرماً إلا أنَّها أخلاقه لا أخلاقكم التي أدعو إليها، فأخلاقكم تستدعي ابتداء الحوار الهادئ الذي يفتح للعقل آفاقه وللکلمة تأثيرها، ونحن نطمح في عمليَّة التغيير والهداية للناس أجمعين ولو كانت على مستوى فرعون، وهذه هي القاعدة الأساسيَّة التي يجب أن ينطلق من خلالها العاملون للرسالة والداعون إلى الله، رسالة الرِّحمة للعالمين، ولهذا المطلوب منكما في طرح الأسلوب عليه هو ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤)، ولا يعني استعمال القول اللين أن تتنازلا عن الثوابت التي أرسلتكم من أجلها، بل اطرحوها بكلِّ وضوح وعزَّة وثبات، فالقول اللين يتحقَّق بالإضافة إلى آليَّة طرحه فهو يتحقَّق بنوع الكلمة المطروحة التي تحمل فكر العقيدة الإلهية التي تذكَّر الإنسان بالله واليوم الآخر والتي لها الأثر الكبير على قلب الإنسان الجلد لتحوِّله إلى قلب لين ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ (طه: ٤٧).

ثالثاً: سوف أرفدكما بالعوامل المساعدة والتدخل بأسباب النصر الطبيعيَّة وغيرها عند الحاجة كما أخبر موسى أخاه هارون بذلك في ما يتعلَّق بمسألة العصا

﴿ وَتَجْعَلْ لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ (القصر: ٣٥)، ﴿ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ (الشعراء: ١٥).

رابعاً: أخبرهم الله بالنتيجة والنصر وأن الغلبة حاصلة لا محالة لا لكما فحسب، بل كتبت الغلبة والنصر لكما ولجميع من اتبعكما وسار على نهجكما لتطمئن نفوسكم بالنتيجة وأنتم تواجهون فرعون ﴿ أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَالِبُونَ ﴾ (القصر: ٣٥).

س: لماذا أرسل الله موسى إلى مواجهة فرعون ولم يترك له التحرك تصاعدياً؟



ج:

١- الهدف الرسالي العام

أولاً: استهانة فرعون بعالم الغيب، كان فرعون جبّاراً لم يصل أحد في صراحة شقاوته على حقيقة مطلق الغيب، فهو يستهين بكل قيمة سماوية، وهذه الشقاوة وتلك الاستهانة إما كانت وليدة فكرة ذاتية تربي عليها وأصبحت جزءاً من شخصيته، أو أنها كانت نتيجة تأثيرات خارجية كانت تصدر ممن حوله من المتملقين والجبّناء، ممّا ولدت عنده حالة الانتفاخ والطغيان التي جعلته يصدق بنفسه أنه صاحب السلطة العليا والملك العظيم الذي ليس فوقه سلطان ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (التقصير: ٣٨).

ثانياً: استهانة فرعون بالناس، حيث استطاع أن يمحو إرادة الناس من خلال القوة ويحوّلهم إلى عبيد لخدمة مملكته لا رأي إلا رأيه ولا إرادة إلا إرادته ولا

طاعة إله، ممّا جعله يصدّق بنفسه أنّه متميّز عن جميع الناس بصفات لا يمتلكها أحد غيره من الناس، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾ (الزخرف: ٥٤)، فمع هذا اللون الذي تطبّع عليه أكثر الناس يصبح من الصعوبة جدّاً أن يحصل موسى من خلاله على العناصر المؤيِّدة والمناصرة التي يراد منها الثبات والتحدّي.

ثالثاً: أنّه رأس الفساد الاجتماعي، فهو صاحب القرارات الجائرة بحق الأبرياء من استعباد الرجال واستحياء النساء وقتل الأطفال وإجحاف حقوقهم المالية وغيرها من أمور الإفساد الاجتماعي المختلفة ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ (النجم: ١٢).

رابعاً: أنّه رأس النظام القمعي، كان فرعون يمتلك نظام القهر والسيطرة بحيث أقلّ تحرّك مضاد كان بإمكانه أن يصيده وهو في عقر داره، من خلال مراقبة بعض الناس على بعض، وبتداخل بعضهم في بعض خوفاً ﴿وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأُوتَادِ﴾ (النجم: ١٠)، ممّا يصعب على موسى التحرك ولو لفترة قصيرة ابتداءً من القاعدة ثمّ الوصول إلى رأس السلطة، فالتحرّك التصاعدي المضاد والمعلن لا ينفع مع ما ربّبه فرعون من نظام المخابرات واستراق السمع وسرعة قمع التحرك المضاد.

خامساً: أنّه المنظر للمنهجيّة الفكرية المنحرفة للدولة والتي ينشرها بين الناس بين الحين والآخر ليؤكد من خلالها على نظرية العلمنة وعدم الاعتقاد بشيء غير شخصيّته ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (طه: ٧٩).

سادساً: وجود فرعون الذي أصبح رمزاً للخوف وشيخاً يلاحق الناس حتّى في مآمن بيوتهم وهاجراً يمنع الإنسان أن يحدث نفسه في معارضته بالعلن.

سابعاً: أن موسى كان قد أبتلي بشريعة اجتماعية تختلف عن الشرائع الاجتماعية التي أبتلي بها الأنبياء، حيث مصر كانت ذات مجتمعين من بني إسرائيل والأقباط، أمّا بنو إسرائيل فهم من الموحّدين، وأمّا الأقباط فهم يعرفون التوحيد كنظرية من خلال معاشتهم مع بني إسرائيل، أو من خلال الأنبياء السابقين، ولكنهم من المعاندين لنظرية التوحيد بسبب قانون الفراعنة الذي يمنع أي اعتقاد بغير الوثنية، فكان فرعون موسى يمثل الحجر الأساسي لمنع أي تحرّك مضاد، فالتوجّه لمقارعة فرعون ومحاولة التخلص منه هو المفتاح الوحيد الذي يفتح الباب أمام حركة موسى لتأخذ طريقها.

ثامناً: ليعرّفنا الله أن طريق استلام السلطة لهو أفضل وأسرع طريق لنشر الفكرة واستقرارها في النفوس وتطبيقها على أرض الواقع، وأن الحياة جعلت إدارتها بيد المؤمنين وهم ورثة الأرض.

٢- الهدف الخاص الشخصي: كاتبة علوم إسلامية

أولاً: أن الله أراد أن يوقع فرعون في مشكلة تشعره بوجود السلطة العليا فوقه والقاهرة له التي من خلالها يتذكّر أو يخشى، فما دام في محلّ الترف والسلطنة لا يمكن له التذكّر أو الخشية ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٩٠)، وهذا ما يعطي درساً لجميع الناس وتعرّفهم حقيقة حبّ السلطة لأجل السلطة أنّها تُعمي وتُصمّ وتُبكم عن سماع الحقيقة والنظر إلى نورها والنطق بها ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ (الإسراء: ٨٣).

ثانياً: أن الله أراد أن يتمم الحجة على فرعون ليزيده خسراناً وعذاباً على ما ارتكبه من الجرائم وعلى ما توصل إليه من الجرأة على الله ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ

مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ (الإسراء: ٨٢).

س: أن الله قد أشرك بين فرعون وقومه في النعت ببعض صفات الذم، وأشركهم بإرسال موسى إليهم جميعاً، مع أن السبب هو طغيان فرعون في انحراف قومه، السؤال: ما هو سبب هذا الإشراك؟

ج:

سبب الإشراك من قبل الله بين فرعون وقومه في الوعد والوعيد هو تركهم للدين والإيمان بالله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف: ٥٤)، ممَّا سبَّب هذا الخروج والابتعاد الأمور الخطيرة التالية:

١- ضعف الإرادة وعدم النهوض الواجب ضدَّ الحاكم الجائر الذي لا يشكُّ أحدٌ بظلمه وجوره عليهم ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾ (الزخرف: ٥٤).

٢- أصيبوا بمرض ظلم الآخرين العقائدي والاجتماعي كما أصاب فرعون ذلك ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ اثْبِتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٠).

٣- تحوّلوا إلى أعداء لكلِّ شيء له تعلق في الدين والغيب والسماء كما عليه فرعون ﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنٌ أَلَا يَتَّقُونَ﴾ (الشعراء: ١١١).

٤- تحوّلوا إلى آلة فساد وجريمة لا تعرف كرامة للإنسان ولا حقوق بشر، وتحوّلت قلوبهم كالحجارة من حيث القسوة وعدم الرحمة بالضعفاء، كما عليه فرعون ﴿آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (البقرة: ٤٩).

وبالتالي أصبح كلُّ واحد منهم هو فرعون على حجم المحيط الذي يعيش به ودائرة تحرّكه، وبالتالي هم يحتاجون للإنذار كما يحتاجه فرعون ﴿وَكَأُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأنفال: ٥٤).

س: أن المتتبع للسلوك اللفظي لعامة الأنبياء يراه في منتهى اللين أمام أعدائهم، وإن اللين هو الأسلوب الأولي للأنبياء، فلماذا هذه التوصية من قبل الله لموسى وهارون بأسلوب القول اللين مع فرعون؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

الأول: أن الذي نراه من الدرجة الأخلاقية العظيمة العليا للأنبياء يشترك في تكوينها ثلاثة عناصر هي:

١- ذات شخصية النبي في أنها تحمل مقومات الخلق العظيم، وهذه العظمة من الخلق على درجات في الأنبياء، وقد أحرز أعلاها نبينا نبي الرحمة حينما قال عنه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

٢- التسديد الإلهي بفعل الله له في بعض المواقف التي يرى الله ضرورة تزويدها للنبي للحفاظ على الصورة العليا من الأخلاق التي يريد الله من أنبيائه، وأمثله في القرآن كثيرة، وهذا ما كان يطلبه موسى من الله ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي • وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي • وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي • يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ (طه: ٢٥-٢٨)، فموسى يمتلك القوة الفعلية من انشراح الصدر وغيرها من الوحدات الأخلاقية، ولكن أراد من الله النصيب الأعظم الذي مقداره يكون على مستوى أولي العزم من الأنبياء، فلم يكن طلباً لأصل الشيء وإنما هو طلب للدرجة الأعلى منه.

٣- التعليم الإلهي للنبي من خلال القول، وهذا جار مع جميع الأنبياء، فإن تلك العظمة في الخلق التي اكتسبها الأنبياء قد اشترك تعليم الله بتصعيدها إلى هذا

العلو الذي نشاهده عند الأنبياء، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»<sup>(١)</sup>، فاستعمال اللين مع مثل هذا الطاغية مع القدرة على استعمال الأسلوب المضاد يمثل أعلى درجات الأخلاق.

الثاني: أن الله قد نظر إلى ما يحمله موسى من حبِّ الله وللحقِّ وما يحمله موسى من معرفة وتقييم لفرعون ممَّا يجعله أن يستعمل أسلوب الغضب معه الله، فأراد الله من موسى أن يستعمل أسلوب اللين مع فرعون الذي هو أقوى نفعاً من أسلوب الغضب، فنبه الله موسى ﷺ على ذلك بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ (طه: ٤٤)، حتى لا يتخذ الأسلوب الأقل نفعاً فتكون نتيجته أقل نفعاً، فتوصية الله موسى وهارون بالقول اللين هو لتعيين الاختيار الأفضل والأكثر نجاحاً.

الثالث: أن يكون النظر في إبراز القول اللين إلى رحمة الله وحبِّه للإنسان وطمعه في هدايته له حتى لو كان على مستوي فرعون من العصيان والظلم ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤)، ليزرع الله أعلى درجات الهمة والأمل في أذهان العاملين والرسالتين حتى ينطلقوا بأعلى درجة من انشراح الصدر مع الآخرين مهما كانت هويتهم غير يائسين في كسبهم إلى طريق الهداية وصف المؤمنين، جاء في الحديث: «أن فرعون لم يهلكه الله سريعاً، وأمهلته من ادعائه الربوبية؛ لأنه كتب (بسم الله) على بابه الخارج، وأوحى الله تعالى إلى موسى لما أراد سرعة هلاكه: أنت تنظر إلى كفره، وأنا أنظر إلى ما كتبه على بابه»<sup>(٢)</sup>.

الرابع: لم يكن في أمر الله لموسى بالقول اللين أمام فرعون شيء يثير

(١) البحار ٦: ١٧/٣٨٢.

(٢) مصباح الكفعمي: ٤٦٢.



الاستغراب والدهشة، بل هو الأمر الطبيعي مع كلّ الأنبياء أمام أعدائهم، فالسلام والكلمة الطيبة والحوار الهادئ والقول اللين هي السمة البارزة لمنهجية الله ودينه في جميع كتبه ورسالاته، فهو أمر شامل مستمرّ لكلّ من أراد أن يتحرّك وهو يمثل السماء في حركته قديماً وحديثاً، وما الأمر بالقول اللين لموسى وهارون إلا شاهد من بين مئات الشواهد الذي يطرحه الله على ذلك، ولهذا تجد المؤمنين اليوم يتحرّكون في صراعاتهم السياسيّة على أساس من هذا الفهم الذي خطّه الله لهم من خلال هذه الشواهد، فهم دعاة سلام وحوار يخاطبون العقول بالدليل والحجّة البالغة بلسان لينّ القول وبقلب متصل رحمته برحمة الله وبصدر يستوعب بانسراحه كلّ إنسان، وليس لهم نصيب من العنف والإرهاب إلا بقدر ما يقدم عليه الآخرون في ذلك على ما أعطى الله الفطرة الإنسانيّة من حقّ الدفاع عن النفس.

الخامس: أنّ القول اللين هو تعبير آخر عن عدم الخوض والانجرار إلى نبش الماضي من العلاقة التي كانت بين موسى وفرعون، بل لا بدّ أن يؤكّد موسى على كلمات العقائد من أصول الدين والتي لا بدّ أن تشغل الدائرة الأوسع في الحديث؛ لأنّ هذا النوع من الكلمات كفيّل في أن يلين القلوب ويطهّر الحقد ويخفّف الغضب الذي عليه فرعون، وعندها سيفتح آفاق التفاهم وطيب الحوار والاستماع إلى كلمات الرشاد.

السادس: القول اللين لا يلازم القلب اللين، فالقول اللين حالة جارية مع من تبغضه ومع من تحبّه، بينما القلب اللين والودّ والمحبة لا تكون إلا لمن يستحقّه من المؤمنين فقط، فعندما أمر الله موسى وهارون بالقول اللين لا يعني الحب والودّ لفرعون أبداً.

س: ما هو الحوار والمناظرات التي دارت بين موسى وفرعون عند أول لقاء بينهما؟

ج:

دخل موسى وهارون قصر فرعون، وهو محيط بزينة اعتادت عليه قصور جبايرة الأرض وزيادة عليها؛ لكونه قصر فرعون الذي لم يصل مثله جبّار في إسرافه، وموسى يعرف جيداً من خلال معيشته في القصر ماذا وراء هذه الزينة وما يجري من المظالم خلفها، إنها الزينة الممزوجة بالحقد والرغبة التي لا يصدر منها إلا الخوف والرعب والكثير من القرارات الجائرة بحق الإنسانية، دخل موسى وهارون على فرعون، أشار فرعون بجبروته لهما للإذن بالتحدّث، فبدأ موسى وهارون بعد الاتكال على الله بكلمتهما أو بالأحرى بدأ موسى بالحديث وهو يمثل نفسه وأخيه ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ (طه:٤٧)، ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾ (طه:٤٨)، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ (طه:٤٧)، ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (طه:٤٨).

إذن هما طلبا منه الإيمان بالله وبالوحي وبالنبوة وبفروع الهدى والدين، وإن الذي يلتزم بهذه المنهجية هو بسلام من الله ومناً في الدنيا والآخرة، والذي يكذب بهذه الحقائق ويذهب على غير طريق فهو لم يكن على هدى ولا أمان له من الله ولا منّا. فكلمة ﴿رَبِّكَ﴾ و﴿السَّلَامُ﴾ طرح فيه الشيء الكثير من الليونة كما أمرهم الله؛ لأنه قول ولأنّها دعوة إلى الإيمان بالله وهداه؛ ولأنّها دعوة إلى السلام الذي من مصاديقه بقاء ملكه ودوام عزّه، ليلين بهذا الأسلوب قلب فرعون لعلّه يذكر أو يخشى، وليكون مفتاحاً يفتح عقله ليتحدّث معهما من خلاله لا من خلال لغة السوط والصلب، ولكن فرعون هو فرعون، نظر إليهما بتأمل يضرر الحقّد بين مداخله حينما فهم من كلّمة ﴿السَّلَامُ﴾ نوعاً من التهديد له ولملكه وهو يرى أمامه رجلين ليس وراءهم إلا عصا وليس عليهم إلا ملابس التواضع التي تتمّ عن أنهم لا

يملكون غير ذلك.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي، فشرطا له - أن أسلم - بقاء ملكه ودوام عزه، فقال: ألا تعجبون من هذين، يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلاً ألقى عليهما أساور من ذهب»<sup>(١)</sup>.

وسكت فرعون قليلاً ثم سألهم عن طلبهم ليكتشف أكثر عمّا يرومون إليه، قالوا: مادام نحن أنبياء الله ورسله فنحن أولى منك في رقاب الناس وغيرها، ولكن لا نطلب منك الآن إلا أن ترفع يد التعذيب والاستعباد عن بني إسرائيل وتسلمهم إلينا فنحن أولى منك بهم ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ (طه: ٤٧)، شاهد فرعون أن العرض والطلب لم يكونا شخصيين، وأنه طرح كبير يستبطن الخطورة والمعارضة السياسيّة على جميع الأصعدة المتعلّقة بحكمه، فيحتاج إلى تأمل وإبداء نظر وقوّة في التحدي، امتلك فرعون أعصابه وبدأ ببداية باردة ليّنة وإنّ هذا النوع من البداية هو من تأثير تلك الكلمات التي أقيت عليه شعر فرعون بذلك أم لم يشعر، اكتشف فرعون من خلال الطرح أنّهما شريكان في الدعوة وأنّ المتصدّي الأوّل هو موسى من خلال تصديّه للحديث والجواب، وما هارون إلا مناصراً ووزيراً له ولا يبعد عليهما دعوة النبوة لما يعرفه من شخصيّة هارون العرفانيّة المتعصّبة لنظريّة التوحيد التي يطرحها الأنبياء وليس هارون يبيعد عن سلوكيّتهم، ولهذا طرح السؤال على موسى ليكشف تفصيل ما جاء به موسى وهارون فسأله

(١) نهج البلاغة ٢: ١٤٣/١٩٢.

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾ (طه: ٤٩)، إنه يحمل ذكاء الشيطان بسؤاله حين أنكر أن يكون له رباً بقوله: ﴿ رَبُّكُمْ ﴾ بعد قول موسى: ﴿ رَبِّكَ ﴾، فأجابه موسى بذكاء الأنبياء الأكبر وشجاعتهم بصيغة الجمع ﴿ رَبُّنَا ﴾.

وأخذ موسى يعرف له الرب الذي خلقه وخلق كل شيء وأعطى لكل شيء طريق هدايته في الحياة ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (طه: ٥٠)، تمنع فرعون بالجواب وشاهده أنه جواب الأنبياء، ولكن كيف أصبح نبياً ولم يعرف عنه ذلك من خلال وجوده للمدة الطويلة في القصر، وأنه ما من حدث صغير يقع في الخارج إلا وهو يعلم به كما يرى هو ذلك؟ فكيف فلتت أخبار موسى وهو في داخل قصره؟! وكيف كان غافلاً عن سلوكه خلال هذه المدة؟! ولكن في نفس الوقت فرعون يعرف أن الذي يمثل السماء بنهية أو برسالة لا يمكن له الكفر بنعمة الغير عليه وعدم شكرها بمواجهته والمخالفة له، وخصوصاً أن فرعون أنقذه من القتل وجعله ينمو ويعيش حياة الملوك بقصره الزاهر بكل أنواع الزينة والأسباب، وأن موسى قد ارتكب جريمة قتل لنفس بريئة ومع كل هذا وذاك يدعي أنه نبي! فهو إذن قد يكون كاذباً في دعواه هذه ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ (غافر: ٣٧)، رفع فرعون رأسه بعد أن أخذه التفكير بذلك قليلاً ليشرع بتشهيره بإظهار كذب موسى أمام الملأ الذين حوله من خلال الإثارات الثلاث التالية:

الأولى: أنقذه من حكم القتل عندما كان رضيعاً وأنعم عليه إلى أن كبر، ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ (الشعراء: ١٨)، بمعنى أنك لو كنت نبياً كما تدعي لكان أقل ما يصدر منك هو شكر المنعم لا الكفر به والتمرد عليه والخروج عن طاعته وهذه لم تكن من سمة الأنبياء.

الثانية: أبقاه في القصر كابن له لمدة ثمان عشرة سنة، ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا

وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿الشعراء: ١٨﴾، بمعنى أنك كنت في القصر تعيش حياة الملوك ولم يكن من سلوكك خلال هذه المدة ما يشير إلى كونك نبياً.

الثالثة: ذكره بجريمة القتل كما كان هو المتوقع عند موسى سابقاً، ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩)، بمعنى كيف تكون نبياً وقد ارتكبت جريمة قتل بحق بريء، وهنا لم يذكر فرعون اسم تلك الفعلة حتى لا تثير على قلبه ألم الانتقام مع أنها أصبحت معروفة عند الكل فلا داعي لذكر اسمها وتفصيلاتها.

بدأ موسى يجيب بصراحة وثبات على كل إشكال أشكله عليه وبكل صدق وعدم إنكار مبتدئاً بجواب الإشكال الثالث؛ لأنه أخطر إشكال يمس بطهارة شخصيته.

أما جواب الإشكال الثالث فهو: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء: ٢٠). نعم، إنني فعلتها، ولكن لم يكن قصدي القتل، ولم أعلم أن الوكزة التي أردتُ بها فضُّ النزاع أن تؤدي إلى القتل، ولم استعمل آلة قاتلة، واعلم أنكم تحسبون كلُّ صيحة عليكم ولا تركوا مجالاً للبيان والتفاهم لأحد، كما هي سياستكم الظالمة وطيقتكم بإصدار الحكم على الناس، فقررتم قتلي من دون مراجعة لي والسماع مني، واستسلام النفس لمثل هذا النوع من التعامل مع وجود طريق للخلاص بعد مسؤولية عقلية وشرعية يحاسب الله عليها، ومثلي لا يرتكب الخطأ الشرعي ﴿فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ﴾ (الشعراء: ٢١).

وأما جواب الإشكال الثاني، فهو أن سلوكي في القصر لم تعلم به أنت وكان خافياً عليك، وهذا لا يعني أن سلوكي كان خافياً على الله الذي يعلم بخفايا

سلوكي الذي قيمه الله بتقييمه العادل، وأما أمر تعيين الأنبياء فهذه المسألة مختصة بالله يهبها لمن يشاء على أساس هو أعرف به، ولا يخرج ذلك الأساس عن المؤهلات التي تمتلكها الشخصية لأن يكون أهلاً للنبوّة وتحمل مسؤولياتها، وقد رأني الله عند حسن ظنّه بي أن أكون من أولئك المؤهلين لمثل هذه المهمة ﴿قَوَّهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء: ٢١)، وها أنا ذا ﴿إِنِّي رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزخرف: ٤٦).

وأما جواب الإشكال الأول، فهو أنّ النعمة التي كنت أتعم فيها بقصرك والتي تريد أن تقرّني بها من خلال ذكرها في هذا الموقف، فأنا أقول لك: إنها نعمة كما تقول، ولكن كبرت بك لا بها؛ لأنك لا تستحقّ الشكر عليها؛ لأنك تبنيّني لا لأجلي أنا وأن أنتفع أنا، وإنما استغلّيت وجودي بالقصر لأنني من بني إسرائيل لتسدّ من خلاله أفواه المستضعفين من بني إسرائيل بإعلان ولاءك الكاذب لهم من خلال وجودي في قصرك، فهو تبنيّ سياسي إعلامي في الاتجاه المنحرف وأحد الطرق التي استخدمتها للبقاء والاستمرار على استعباد بني إسرائيل، فهي إن كانت نعمة كما ترى فهي قد درّت لك بالنفع الكثير ضمن حسابك السياسي الضال ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء: ٢٢).

استيقن فرعون بصدق جواب موسى ووعيه وشجاعته، وبعد لم يستيقن بما يحمله موسى من النبوّة، بل أخذه التعجب بعصبية عندما سمع موسى وهو يوسّع دائرة سلطة ربّه الذي يدعو إليه حيث جعله ربّ العالمين ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٢٣)، بدأ موسى بتفصيل تعريف دائرة سلطة الله الواسعة ويؤكدّها في نفس فرعون ومن حوله بكلّ شجاعة وثقة ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا

بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿ (الشعراء: ٢٤)، شاهد فرعون أن جميع من حوله قد تأثر بكلام موسى بالصمت الذي طغى عليهم والإصغاء إليه.

بدأ فرعون بأسلوب الاستهزاء ليكسر القيمة الكبرى للحدث الذي تأثر به الجميع ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٥)، هل تفهمون ما يقوله موسى، أكدّه موسى بكلام أكثر وضوحاً ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٦)، أجابه فرعون وهو يتحدث مع من حوله ليبين رفضه ﴿ قَالَ إِنْ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (الشعراء: ٢٧)، فهو مجنون حيث يتحدث بهذا النوع من الحديث أمامي وهو يعرف مصير المتحدث بهذا الحديث، أجابه موسى بأن الذي لا يقرب بهذه الحقيقة هو الناقص في عقله ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٨)، هنا وبعد أن تلقى فرعون التعريف الكامل عن إله موسى وأنه من الحقيقة الضخمة المهمة الواضحة التي لا بد أن يرجع إليها الناس جميعاً، فهل طرح موسى حالة جديدة يواجهها فرعون أم لها سابقة وهو غافل عنها؟ هذا إذا قلنا بأن فرعون لا يعلم بما جرى على القرون الأولى واقعاً ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ (طه: ٥١)، وأما إذا قلنا بأن فرعون كان يعلم بحركة التاريخ ولكن أراد بسؤاله هذا هو محاولة خبيثة منه لإرجاع الناس إلى الذهنية التقليدية التي هي صاحبة الأثر السلبي الكبير في سلوكية الناس العقائدية وغيرها، فأراد بسؤاله التمهيد لجلب نظر الناس إلى هذا المنحى الجامد الذي يرفض عملية التجديد والتغيير على المستوى الفكري والاجتماعي مهما كانت، وهذا هو الأرجح لما نشاهد من جواب موسى الذي لم يذكر فرعون بحركة الأنبياء السابقين من نوح وإبراهيم وغيرهم ﷺ ممن سبقوه، بل أرجعه إلى تدوين الله لكل ما حدث ويحدث، فإذا كنت أنت يا فرعون تنسى أو

تتناسى فإن الله لا ينسى، مع شيء من التنبيه والتحذير والتخويف عسى أن يكون رادعاً له فيتذكر أو يخشى ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى • الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى • كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النَّهْيِ • مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (طه: ٥٢-٥٥).

ولم تنفع هذه المواعظ وطرح الحقائق مع فرعون، بل حاول التركيز أكثر على مسألة التقليد الأعمى الذي يبيهم على حالة الاستعباد ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (القصص: ٣٦)، وفعلاً تركيز فرعون قد أثر أثره في نفوس الجاهلين إمعة فرعون ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمًّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ (يونس: ٧٨)، فأجابهم موسى بما يحمل الجواب الأول من المضمون وهو إرجاعهم إلى علم الله المكتوب عنده كل شيء والذي لا تخفي عليه خافية ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (القصص: ٣٧).

هنا أغلق موسى على فرعون الطريق الثاني لعدم قابلية فرعون في الأجوبة والحوار العقائدي، فحاول فرعون أن يفتح طريقاً ثالثاً وهو الطريق الحسي، فيلفت فرعون أنظار القوم إلى ما هو المحسوس لتأثرهم به ويطرحه بأسلوب الاستهزاء بالله ليؤكد ربوبيته المحسوسة وليصرف عنهم ما لا يقع تحت الحس ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (القصص: ٣٨)، وأردف قوله بشيء عملي وإن لم يعمله فعلاً ليؤكد من خلاله عدم الإيمان بالغيب وألا وجود للغيب لعدم رؤيته، وبالتالي يظهر كذب موسى أمام الملأ ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (القصص: ٣٨)،



﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ \* أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴿ (غافر: ٣٦-٣٧)، عرف الجميع مغزى فرعون من كلامه هذا، فلو فعل فرعون ما اقترحه على هامان سوف لا يرون شيئاً، فأخذوا يضحكون ويسخرون من موسى حيث لا يرون ربه ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٧)، وقطع فرعون ضحكهم بعد أن ظنَّ أن اقتراحه هذا قد وُلد جواً إلى جانبه عند أصحابه الذين تطبَّعوا على الخضوع والخنوع له بقوله: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ إلهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩).

س: لقد نقل القرآن كلام موسى وفرعون وآل فرعون وهم يصفون بني إسرائيل بأنهم قوم مستعبدون من قبل فرعون وآله، فهل معنى الاستعباد هنا هي العبودية والتملك بحيث كان لهم موالى يمتلكونهم؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

ليس معنى الاستعباد سواء الذي أطلقه موسى أو فرعون أو آل فرعون على بني إسرائيل هو بمعنى التملك، بل كان بمعنى الأجير، بحيث كان أغلب بني إسرائيل يعملون في مقابل أجر يتقاضونه، وإنَّ بعضهم كان يعدُّ من الأثرياء. نعم، كان التمييز والطبقة التي جعلها فرعون وآله بحيث كانوا يعتبرون من الطبقة الأخيرة ربّما، ولهذا تجد المعاملة السائدة ضدّهم هي الإذلال والاستحقار، بحيث يعملون بأشقّ الأعمال من حفر القنوات وحمل الصخور والنقش عليها والبناء، وتشغيلهم بالأشغال الحقيرة، وكلّ ذلك مقابل أجر زهيد، وكان يبعدهم عن أيّ

مصدر علمي، ويعذبون أشد التعذيب على أقل مخالفة... وهكذا.

س: هل استسلم موسى لتهديد فرعون له بالسجن؟

ج:

تهديد فرعون لموسى بالسجن معناه أنه لا مجال للكلمة بأن تأخذ مجراها، وقد أغلق فرعون الحوار معه بعد أن هدّد فرعون موسى بالسجن، وهذه هي لغة العاجزين من الجبابرة في مواجهة خصمهم بالحوار، اضطرّ موسى للجوء إلى الطريق الحسي الذي نادى فرعون به عندما أمر هامان ببناء الصرح، والذي سبّب إلى انصراف رأي من حوله إليه، فاستثمر موسى هذا الطلب والتحدّي والاستهزاء على الله من قبل فرعون، ﴿قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتَنَا بِبُرْهَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ٣٠)، أي بدليل حسي واضح لا غبار عليه أنه من الله فهل تدعن للحق والحقيقة وتؤدي إلى محو استعلائك وتطهير نفسك وتخشي ربك؟ ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّىٰ ۖ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (النازعات: ١٩)، ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٤)، القادر على كل شيء، وأنا رسوله فلو دعوته يستجيب لي.

وهل إذا جئتك بآية حسية من الله لا شك فيها فهل تسلّم لي بني إسرائيل؟ وهل إذا رأيت شيئاً محسوساً من الله تقف على موقفك هذا من التحدّي الصارخ ضدّ الله؟ ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ آلَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتَكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الأعراف: ١٠٥)، فأجابه فرعون سريعاً وهو غير مكترث لجهله بقدرة الله ونصرة أوليائه ﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٦)، ﴿قَالَ فَآتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ (الشعراء: ٣٦)، ألقى موسى عصاه على الأرض بكلّ اطمئنان، وصار الوجوم هو الصفة التي تمتلك

الجميع، وشاهد الجميع العصا وهي تتحرك وتحوّل إلى أفعى عظيمة الحجم حقيقية يفرع الأبطال منظرها، حتى صارت بحجم لا يتحمّل الوقف أمامها، فانهزم الجميع أمام هذه الآيّة و فرعون مع المنهزمين وهو يتوسل إلى جنوده بالدفاع عنه فلم يلتفت إليه أحد للفرع الذي سيطر عليهم، فالتجأ إلى زاوية من زوايا القصر وأعرض عن كلّ شيء ليخلص نفسه، كما أعرض عنه كلّ شيء ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ (الذاريات: ٣٩)، ورجعوا إلى أماكنهم بعد أن أرجع موسى العصا إلى حالتها الطبيعيّة بإذن الله، وبعد فترة استقرّ المجلس و فرعون وبعض من حاشيته يقولون: ساحر، والآخر يقول: مجنون، والآخر يقول: هما بشر وعبيد عندنا فلا يجوز على السيّد أن يخضع لعبده ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ (المؤمنون: ٤٧)، أردفهم بآية أخرى ليست لها علاقة بالسحر ولا بالجنون ﴿وَتَرَعَّ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾ (الشعراء: ٣٢).

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

س: كيف نشأت فكرة جمع السحرة وما هي علاقتها بالمناظرات التي جرت بين موسى و فرعون؟

ج:

عندما لا تكون حجّة بالغة للجبايرة يدافعون بها عن أنفسهم فلا مجال إلا توجيه التهم ضدّ معارضتهم؛ لأنّها أسهل طريق لدفعهم والتخلّص منهم أو إبعاد الناس عنهم حتى لا يتأثروا بهم، وما أبسط التهم وأسرعها نفوذاً بين الناس مادام الإعلام تحت سيطرتهم وأكثر الناس أميون وعلى دين ملوكهم، و فرعون يسلك نفس السلوك ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ (غافر: ٣٧)، التفت فرعون إلى من حوله فأقرّ بالإمكانات والقابليّات التي يمتلكها موسى بأنّه ساحر

متمرس بالسحر، وأما مسألة النبوة فلا قبول لها عنده ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الشعراء: ٣٤)، وردد الملاء نفس ما قاله فرعون خوفاً وطمعاً على مراكزهم وقربهم من القصر الملكي ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٠٩)، ولم يترك موسى الاتهام من دون جواب ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (يونس: ٧٧).

انتقل فرعون إلى حاشيته من أصحاب القرار ليجلس معهم الجلسة الخاصة حينما شاهد منهم بعض الاهتزاز والاضطراب في قلوبهم، فاستفزهم بشيء آخر بقوله: إن موسى لم يكن ساحراً جاء ليعرض سحره أمامنا فقط، بل جاء يريد قيادة بني إسرائيل عن طريق سحره هذا ليتحرك من خلاله ضدكم، وهذا معناه يريد السلطة والغلبة عليكم أنتم الأقباط وبالتالي تكونون أنتم الأذلاء المشردين خارج أرضكم ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الشعراء: ٣٥) (الأعراف: ١١٠)، إن فرعون لو سمع بقرار قتل موسى لاستجاب لهم وهذا ما يريده، ولكن استقرأ الرأي فشاهده ليس من صالحه، ولهذا أوكل الرأي والقرار إليهم ليتترع قرار القتل منهم، والوزراء كانوا يفهمون ما يريد فرعون منهم، وأخذوا برأيه ولكنهم أرادوا أن يكون قرار القتل ينبثق من قناعة أوسع وهو مشاركة الناس بقرار قتله، فطرحوا رأيهم بهذا الاتجاه وهو إذا كانت المسألة مسألة سحر فنحن نملك أشهر السحرة وأكثرهم تمرساً وهم أصحاب اختصاص بذلك، فلندعوهم إلى مبارزة هذا الشخص وليكن أمام جمهرة وتجمع غفير من الناس فعند فشله أمامهم سوف يكون مبرر قتله واضحاً، وأما الآن فأهل موسى وأخاه لمدة حتى يمكننا إعلام السحرة وجلبهم من مدنهم وجمعهم في هذا المكان، ولا يبعد أن يكون مؤمن آل فرعون هو

الذي جرّهم إلى هذا القرار البارد بالنسبة إلى أمر قتل موسى، ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ  
وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَا تُوك بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١١-١١٢)، ﴿قَالُوا  
أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَإِنِّعْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ • يَا تُوك بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٣٦-٣٧).  
استأنس فرعون بهذا الرأي ووافق عليه؛ لأنها فرصة التنكيل بموسى أمام  
الناس وفرصة إبراز قوّته وغلبته ونشوة النصر التي يطمح لها لتأكيد ربوبيته عليهم  
واستعبادهم له، فأمرهم بتنفيذ هذا الاقتراح، بل وجعله قراراً عليهم بأن يجمعوا له  
أفضل السحرة وأمههم بحضورهم ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ  
عَلِيمٍ﴾ (يونس: ٧٩)، خرج فرعون من قاعة المؤتمر وجلس في مجلسه واستقرّ على  
عرشه وحضر أمامه موسى وهارون، بدأ فرعون يعيد أسلوب التنكيل باتهامه الأوّل  
لموسى وهو السحر بصورة متعمّدة ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى  
مَسْحُورًا﴾ (الإسراء: ١٠١)، فأجابه موسى ﷺ بأنك يا فرعون لو اطلعت على داخلك  
لرأيتك تعلم أن هذه الآيات الواضحات لم تكن من صنع ساحر، وليس لها علاقة  
بالسحر وإنما هي حقيقة ومن الله، وإظهار عنادك الكاذب هذا سيؤدّي بك إلى الهلاك  
﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا  
فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (الإسراء: ١٠٢)، ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ •  
وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل: ١٤).

طرح فرعون القرار بصيغة ممزوجة بأسلوب الحقد والتشويش بإعادة الاتهام  
الأوّل والثاني على موسى ليؤكدّه في نفوس من حوله؛ ليحجز نفوسهم عن التأثير به،  
وليجرّ موسى للاستجابة إلى ما يرمي إليه فرعون من لقاء موسى مع السحرة ﴿قَالَ

أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِك يَا مُوسَى • فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ • فَاجْعَلْ  
 بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿طه: ٥٧-٥٩﴾، سمع موسى ﷺ  
 ما طرحه فرعون وعرف بصورة واضحة أنه قرار ليس له حق الاختيار فيه، وأن  
 مسألة اللقاء مع أشهر السحرة شيء مفرغ عنه من قبله ومن قبل من حوله، حيث  
 يتكلم فرعون بصيغة الجمع هذه المرة، فأجابه موسى بتحدّي أكبر وهو على ثقة  
 بنصر الله له ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه: ٥٩)، حيث  
 اختار موسى يوماً هو أكثر يوم تجتمع فيه الناس وفي وقت الضحى الذي تكون  
 الرؤيا فيها بأشدّ وضوحها.

س: كيف تمّ اللقاء بين موسى وسحرة فرعون؟



ج:

خرج موسى وهارون من القصر ليستثمروا الوقت بالتبليغ والعمل بين صفوف  
 بني إسرائيل حتى يأتي يوم الزينة الذي هو يوم في السنة تتزيّن فيه المدينة والناس  
 وهو يوم عطلة لهم قد جعله فرعون، وضلّ فرعون مهتماً كل الاهتمام في مسألة  
 التصدي لجمع السحرة ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ (طه: ٦٠)، حتى حصل على  
 النوعيّة الجيدة والعدد الكافي من السحرة وشاهدهم جميعاً مستعدّون كل الاستعداد  
 للمبارزة في ذلك اليوم المعلوم ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الشعراء: ٢٨)، ولم  
 يكن جمع السحرة باختيار ورضاء منهم، وإنما كان جمعهم بإكراه منه ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا  
 عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ (طه: ٧٣).

وأخذ يراقب تدريبات عرض السحرة بكلّ كئيب؛ لأنّه شاهد ثعبان عصا موسى  
 فيريد من السحرة مثل تلك الأفعى، أو أعظم ممّا شاهده من عصا موسى كما وعدوا

فرعون بذلك ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِخْرٍ مِّثْلِهِ ﴾ (طه: ٥٨)، أخذ الوقت يقترب ولم يبقَ أحد في المدينة إلا وقد عرف ما سيجري يوم الزينة، وبدأت الزينة تأخذ مكانها في الأسواق والشوارع لقرب يومها وهو يوم العيد ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ ﴿ لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾ (الشعراء: ٣٩٠-٤٠)، وعلم الناس بوجود الحضور من خلال رغبة فرعون وموسى في حشر الناس، إنه سيصبح موقفاً رهيباً على حلبة الصراع بين الحق والباطل التي سيشاهدها هذا الجمع الغفير من الناس، وفرصة تبليغ لا تحتاج إلى بذل جهد؛ لأنه موقف واحد سوف يشاهده الجميع ليكون حاسماً لأحد الطرفين.

وجاء يوم الزينة وجاء الناس من كل حدب وصوب وحداناً وزرافات، وقد أخذ كل مكانه المناسب قرب قصر يطل من خلاله فرعون على الناس، وجاء فرعون بهيبته الفرعونية بما يحيط حوله من الجنود والحرس وأصحاب المقامات ومراكز الدولة، وبما يرتدونه من لباس الجبروت المزينة، وبما يحملون من الأسلحة التي طالما أخذت رقاب أبناء المستضعفين ورجالهم وأدخلت الخوف والرهبه فاستحييت نساءهم، وقبل وصول فرعون لشرفة القصر نزل فرعون إلى مقر السحرة ليطمئن باستعدادهم، فعرض السحرة عليه الجائزة إن هم غلبوا ليجعلوه مطمئناً باستعدادهم ومواجهتهم لموسى ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ (الأعراف: ١١٣)، قال لهم فرعون: إنه ليوم التحدي الكبير ونصر ليس فوقه نصر عندما أراكم تغلبون منافساً ومتحدياً ليس موجود مثله في العظمة والتأثير على الناس، لم أجد صعوبة من قبل إلا في مثل هذا الموقف، ولهذا لا قيمة للمال والجائزة التي طلبتموها مني، بل أنا سأجعلكم من المقربين مني وأعينكم

كمساعدين لي على المستوى الوزاري أو ما يقرب من ذلك، وعندها سستنعمون بصورة دائمة ومدى العمر لا بجائزة منقطعة كما هو طلبكم ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الأعراف: ١١٤).

اطمأن فرعون بما شاهده بنفسه من الاستعداد، وتكامل بذلك غروره، صعد فرعون فرحاً إلى شرفته، وجلس بين رجاله جلسة المتبختر المطمئن بنجاحه في هذا الموقف وهو يعدّ اللحظات الأخيرة لحياة موسى وهارون، وحتى جاء دوره ليقف خطيباً ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (النازعات: ٢٣)، حيث يرى الناس بجمع لم يشاهد مثله قط لينتهاز الفرصة في تمجيد نفسه وإذلال وتصغير موسى ﷺ أمام أعين الناس، وموسى واقف بين صفوف الناس وأمامهم وإلى جانبه يقف أخوه بنفس العزة والهيبة يضيفها الله عليهم وتعكسها ملائكته من بين ملائمتها المتواضعة، بدأت خطبة فرعون باسمه على طبق المرسوم الفرعوني الذي أسسه ورسمه للناس ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (النازعات: ٢٤)، ثم أخذ يخاطبهم وهو يعرض عليهم نعمه الكاذبة من انتسابها وملكيته له ﴿وَتَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١)، وشرع بإهانة موسى أمام الناس ليقفل تأثير الناس به ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ (الزخرف: ٥٢-٥٣)، وإلى أن انتهى من خطبته التي ملؤها الاستعلاء لنفسه واستصغار الآخرين من غير حق في الاستعلاء منه ولا المهانة واستصغار الآخرين.

ولكن على الرغم من طول الخطبة وتفريعاتها وحماسها إلا أنها لم تؤثر أثرها بقدر ما أثرت تلك الكلمات القصار لموسى حينما شقّ الصفوف بقدمه وأخيه



المبارك بذلك اللباس المتواضع حيث تحيط بهما هيبة الله وكبرياؤه، وقف موسى ﷺ على خشبة التحدي موقف الواثق بالله ونصرته له، وقف موسى ولم ينسى هدفه الرسالي في ارتباط الناس بعالم الغيب في أي موقف يقفه فكانت كلمات الإيمان والعقيدة تتناثر من قلبه الطاهر لتنفذ إلى قلوب من له ذرة استعداد لقبول الإيمان ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَإِنَّكُمْ لَا تَفْقَهُوا كَلِمَاتِي إِلَّا كَذِبًا ۖ أَفَعَسَىٰ أَتَيْتُكُمْ بِعَذَابٍ ۙ لَّا تَشْعُرُونَ ۚ وَقَدْ خَابَ مَن فِيهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَن فِيهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَن فِيهَا ۖ﴾ (طه: ٦١). لقد هز موسى القوم هزاً بهذه الكلمات الإلهية النبوية، واضطربت القلوب خشوعاً لها بإيمانها الفطري الذي أثاره موسى فيهم، ممّا دعا إلى أن يتراجع بعض السحرة عن المبارزة أمام موسى بسحره وتضعفت عقيدة آخرين ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ﴾ (طه: ٦٢)، حتى أصبح أمر الاضطراب واضحاً أمام أعين السلطة، ممّا اضطّر إلى أن ينهض أحد رجال السلطة الذي قد يكون هامان أو عدّة من الرجال للتعطيم الإعلامي وهو يخفي حقه كما يحاول إخفاء ما حصل من أن يكون سببه تأثير تلك الكلمات الموسوية على السحرة والناس ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ﴾ (طه: ٦٢)، وأخذ ذلك الرجل يؤكد على إثارة الروح القومية ويزرع الثقة والهمة في نفوس السحرة والثبات على موقفهم من خلال التأكيد على منهجيتهم الوثنية التي هي مثال للعقيدة، وإنّ هذا هو الموقف الثابت الذي ينتظره الوطن منكم ﴿قَالُوا إِن هَٰذَا لَسَاحِرٌ ۙ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقِكُمُ الْمُغْلَىٰ ۗ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتُّوَا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَلْفَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ (طه: ٦٣-٦٤).

فاجتمع السحرة جميعهم خوفاً على خشبة التحدي ومسرح المصير وهم يحملون الحبال والعصي، ولم يكن بيد موسى إلا تلك العصا المعروفة التي يتوكأ

موسى عليها، فهي ليست ذات سمعة سحرية، اجتمعوا وقد تركوا الاختيار إلى موسى في من يلقي أولاً لثقتهم بأنفسهم وقوة عملهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (طه: ٦٥) فأجابهم موسى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ (طه: ٦٦)، وبدؤوا يلقون حبالهم وعصيهم وهم غير ناسين الابتداء بالاسم الرسمي الذي يستفتحون به كل عمل لهم كما هو المفروض عليهم ﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (الشعراء: ٤٤)، ثم دعا موسى بكل السحرة الذين كان عددهم أكثر من سبعين ساحراً أن يلقوا ما يمتلكون من أدوات السحر مرة واحدة بحيث لا يبقى أحد منهم إلا وقد ألقى ما في يده ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (الشعراء: ٤٣)، عندما ألقوا حبالهم وعصيهم خيل للناس أن الذي يتحرك أمامهم هو مجموعة من الأفاعي من أثر السحر، ولا يستهان بالعرض الذي قدّموه حيث إنهم بذلوا جهداً في عملية السحر وطاقته بحيث أخرجوا منها تخيلاً أفاعي ذات حجم كبير ورهيب جداً وهي تتحرك بحركات جنونية ممّا أدخل الخوف والرعب في قلوب كل المشاهدين ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزَهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦)، وموسى واقف لم تهزه تلك التي هزت الجميع وإن كان قد خيل إليه أنها أفاعي تتحرك أمامه كأبي إنسان ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (طه: ٦٦)، ولم يدخل موسى ما دخل للناس من رهبة ما شاهدوه، بل قال بصوت مطمئن بالله مملوء بروحانيته ونورانيته الخارقة إلى مسمع السحرة ليفتح قلوبهم وعقولهم إلى عالم لم تنفتح عقولهم ولا قلوبهم عليه من قبل ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلَ الْمُسْرِفِينَ ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس: ٨١-٨٢).

نعم، يطلعنا الله العالم بالسرائر على ما خطر ببال موسى وأثرت في نفسه مشاهدة تلك الأفاعي بشكل خفي وسريع بحيث لم تظهر عليه وهو يرى تلك الأفاعي وهي تصل إلى نفس الحجم للأفعى التي ظهرت من خلال عصاه عندما كان في القصر أمام فرعون ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه: ٦٧)، بأنه سوف لا يأتي بشيء جديد يضاهي ما يراه، بل حتى لو جاء بتلك الأفعى التي حدثت في الوادي أو في قصر فرعون ما قيمتها أمام هذه المئات من الأفاعي ذات الحجم الكبير حتى لو كانت أفعى عصاه أكبر حجماً، فأجابه الله على الخطور الذهني وعلى تلك اللحظة الداخلية التي خطفت نفس موسى بصورة لم يطلع عليها أحد إلا هو ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه: ٦٨)، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف: ١١٧).

هناك فرق كبير جداً بين الصدق والإفك وبين الحق والباطل وبين الحقيقة والخيال وبين صنع الله والبشر، هذا ما يميزه كل عاقل ويتأثر به كل صاحب وجدان، فما تقوم به يا موسى يمثل الصدق والحق والحقيقة وصنع الله، وأما ما يقومون به السحرة فعلى العكس فلا تأثير لسحرهم إلا في نفوس المعاندين والجاهلين بصنع الله وقدرته ونصرته لأوليائه ﴿وَأَلْقِي مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: ٦٩)، وقد شاهد الجميع نصر موسى عندما بلعت أفعى يمينه الحقيقية كل الأفاعي الخيالية وبسرعة هائلة، وأن إبراز حجم الأفعى وعظمتها ليس هو الطريق الوحيد إلى ظهور الغلبة، بل هناك طرق أخرى لها، ومنها أنها قد لقت ما صنعوا على الرغم من أن أفعى موسى في هذه المرة لم تكن بحجم كبير وغير مخوفة لمن يراها؛ لأنَّ عظمتها كمننت في عملها الذي قدّمته في أنها تلقف ما صنعوا، وهذا ما لم يكن بذهن أحد ولم

يحسب فرعون ولا غيره له حساب.

س: لقد ذكرت قوله تعالى: وهو ينقل نظرة فرعون السطحية: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾، ما هي الحكمة في أن يكون أغلب الأنبياء والأئمة عليهم السلام جميعاً ملبسهم التواضع وظاهرة البساطة في الحياة؟

ج:

يجيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن بعض الحكمة في إحدى خطبه قائلاً: «فإن الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم، ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون على فرعون، وعليهما مدارع من الصوف وبأيديهما العصي، فشرطاً له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه، فقال: ألا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام العزّ وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذلّ، فهلاً أُلقي عليهما أساور من ذهب؟ إعظاماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه ولو أراد الله سبحانه لأتبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان، ومعادن العقيان، ومفارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفضل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلت الأنبياء، ولما وجب للقابليين أجور المبتلين، ولا استحقّ المؤمنون ثواب المحسنين، ولا لزمّت الأسماء معانيها، ولكنّ الله سبحانه جعل رسله أُولي قوّة في عزائمهم، وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنىً، وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذىً.

ولو كانت الأنبياء أهل قوّة لا ترام، وعزّة لا تضام، وملك تمدّ نحوه أعناق

الرجال وتشدّ إليه عُقد الرجال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار، وأبعد لهم من الاستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو رغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة، والحسنات مقسمة، ولكنّ الله سبحانه أراد أن يكون الاتّباع لرسله، والتّصديق بكتبه، والخشوع لوجهه، والاستكانة لأمره، والاستسلام لطاعته، أموراً له خاصّة لا تشوبها من غيرها شائبة، وكلّما كانت البلوى والاختبار أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل...»<sup>(١)</sup>.

س: ما هو موقف السّحرة من معجزة موسى؟

ج:

هنا ينقل الله ما حصل من ردود الفعل بالاتجاهين المتعاكسين، السحرة وفرعون، أمّا السحرة باعتبارهم أصحاب اختصاص بالسحر فهم مطلعون على عملية السحر التي تصدر من أيّ ساحر كان وخصوصاً إنّ الذين أحضرهم فرعون لم يكونوا أناساً عاديين، بل هم من كبار السحرة وجاءوا بسحر عظيم، فهم بذلك يعرفون العمل إذا كان نتاجاً سحرياً، فأروا ما صدر من موسى أنّه لم يكن نتاج سحر ساحر كما ادّعى فرعون ذلك على موسى، بل هو حقيقة وإنه شيء عظيم حيث لم تبقى عصيتهم ولا حبالهم، بل أكلتها تلك الأفعى جميعاً ولا وجود لها وراء ذلك، وهذا ليس من السحر بشيء، ولم يكن بمقدور البشر أن يأتي بمثل هذا العمل الذي قهر فرعون وجعله صغيراً أمام أعين هذا الجمهور من الناس.

وفرعون الذي لم يعرف في حياته أن يكون مغلوباً في موقف من المواقف فكيف صار هذا التحوّل المفاجئ ﴿فَقَلَّبُوا هُنَالِكَ وَاتَّقَلَّبُوا صَاغِرِينَ﴾ (الأعراف: ١١٩)،

وقد ربط السحرة هذا الحدث بما قاله موسى ﷺ من كلامه الذي قدّمه في بداية إقائهم للحبال والعصي من أنه سحر وإن الله سيبطله، علموا أن ما حصل كان من عالم الغيب الذي يدعو إليه موسى ﷺ وإن ما وقع هو من عالم الحق والنور ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١١٨)، فهم بين أمرين إما أن يكذبوا بما جاء به الله وقد عرفهم موسى عاقبة تكذيبه من أنه يسحتهم بعذاب وأن نتيجة الخسران والخيبة، فهم إذن بين أمرين أمّا أن يكذبوا على الله خوفاً من فرعون وإرضاء له فتكون نتيجة عذاب الله الخالد، وإمّا أن يصدّقوه فتكون نتيجة عذاب فرعون المؤقت، كل ذلك مرّ بلحظات خطرات الهداية الذهنية والقلبية التي مرّت عليهم وهم يشاهدون الحق والنور من خلال مشاهدتهم لأفعى موسى الحق وهي تخطف أفاعيهم بنفس السرعة التي خطفت قلوبهم نحو الهداية، فبدؤوا يشاهدون أفعى موسى وهم بخشوع الجوانح والجوارح بانحناء وركوع وما أن انتهت عملية موسى وإذا هم ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٠)، أيها السحرة لمن سجدتم؟ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢١) وأي رب العالمين منهم؟ فإنه قد يختلط على القوم حيث يسمون فرعون كذلك ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه: ٧٠)، ﴿قَالِيَ السَّحَرَةُ سُجُوداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه: ٧٠)، فإن ربهما واحد سواء قدّمنا اسم موسى أو اسم هارون، وهو ربنا كذلك باعتبار رب العالمين.

س: ما هو موقف فرعون من موقف السحرة اتجاه موسى؟

ج:

موقف فرعون هو الموقف المضاد لموسى والسحرة الذين اتحدوا باتجاه عقائدي وإيماني واحد معاكس للاتجاه العقائدي الوثني للبلاد، ومخالفاً لما يراه

فرعون من نفسه رباً وإلهاً ومرجعاً في كل شيء، ومسألة انقلاب السحرة مسألة مرتبطة بالاعتقاد وقانون لا بد أن يرجع أمر العصيان بهما إلى فرعون، فليس من حق أحد أن يغير اعتقاده كما يشاء، وليس من حق أحد أن يفكر كما يشاء هكذا يفهم فرعون، وخصوصاً إذا لاحظنا أن أمر الانقلاب هذا هو أمر نوعي وأمام هذا الجمع الغفير من الناس فلا بد من موقف مضاد له من قبل فرعون حتى يسد سريان مفعوله وتأثيره إلى عامة الناس ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ ﴾ (طه: ٧١)، ثم أردفه بتضليل إعلامي ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣)، ليحرف الرأي العام ضدّهم، بأن مسألة الاستسلام لموسى من قبل السحرة ما هي إلا توطئة واتفاق قد حصل بين موسى والسحرة أن يتظاهروا بالفشل أمامه ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ (طه: ٧١).

وعليه سوف يصدر القرار بحقكم بالقتل بأبشع صور القتل وأشرها بأن أقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، ولأصلبكم بأشدّ حالة بعد تقطيع لأجسامكم؛ لتبقوا فترة طويلة أمام أعين المارة من الناس لتكونوا عبرة لكل من تسوّل له نفسه بالجريان على نهجكم وتمردكم والقرار الذي اتخذتموه من دون إذن مني ﴿ فَلَا تُقِطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلِّبَتْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ (طه: ٧١)، ﴿ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأعراف: ١٢٤)، ولم أرحم واحداً منكم أبداً، ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٢٣)، نتيجة ترجيحكم ترك عذاب الله الذي آمنتم به على تحمل عذابي، وعند ذلك سترون عذابي أشدّ وأبقى أم عذاب الذي آمنتم به؟ ﴿ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾ (طه: ٧١).

ولا يبعد من إرادة فرعون من هذا التهديد والوعيد واتهام الموقف بالمواطاة ونقل هذه الوحشية من أن يريد منهم الاعتذار و التنازل عن موقفهم حتى يكسب الموقف نسبياً إلى جانبه، وما كان موقف السحرة إلا الثبات على الإيمان بالله وبما جاء به موسى ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُتَّقِلُونَ﴾ ﴿الشعراء: ٥٠-٥١﴾.

الإرهاب والتعسف والقهر قد يحوّل الإنسان إلى آلة مطيعة، وقد يغيّر سلوكيّة الإنسان إلى ما يريده القاهر لكنّه لا يقدر أن يغيّر فطرة وعقل وقلب الإنسان إلا بمقدار ما يسلم الإنسان من تلك الفطرة والعقل والقلب إلى القاهر، والاستسلام إلى القاهر من الفطرة والقلب والعقل يتبع مقدار قوّة وضعف الإرادة، فبقدر ما تضعف إرادة الإنسان يسلم الإنسان فطرته وعقله وقلبه أمام القاهر، وهكذا حتى يصبح الإنسان طوع إرادة قاهره داخلياً بحيث لا يرى في الوجود إلا قاهره ولم يخلص إلا لقاهره، وخارجياً بحيث يتحوّل إلى آلة لقاهره يوجهه كيف ما يشاء، وقهر الإنسان ليس أن يوجه أدوات التعذيب على جسده فحسب، بل هناك طرق أخرى للقهر:

منها: حصر نعمة الإنسان بالقاهر.

ومنها: أن يزرع الخوف في النفوس من خلال تعذيب المعارضين له وقتلهم.

ومنها: حصر المورد الفكري وأخذه من القاهر فقط بحيث يجعل الإنسان لا

يقراً ولا يسمع ولا يأخذ إلا من قناة واحدة وهي قناة القاهر.

ومنها: التضليل الإعلامي على كلّ حدث مضاد وتوجيهه ضمن حركة القاهر

ومنهجه ممّا يجعل تحليل الموقف والتفكير بأسبابه ونتائجه ضمن اتجاه خطأ

القاهر.



ومنها: حجز الفكر المضاد ومنع وصوله إلى الأيدي ومنع الوصول إلى شخصياته والتعرف عليهم.

ومنها: لا حرية للرأي ولا للحوار ولا للاقتراح إلا ضمن الخط العام والخاص للقاهر.

هكذا كانت السحرة تعيش في هذا الوسط الذي يعيشه بقية الناس وهم تحت سلطة فرعون القاهرة، وهكذا فرعون كان برنامج مع شعبه وقومه ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾ (الزخرف: ٥٤)، والسحرة من خلال مقابلتهم مع موسى تعرفوا على الأمور الجديدة التالية:

أولاً: شخصية الحركة المضادة وهو موسى ﷺ حيث التواضع في الأسلوب والصدق في الحديث وأنه لم ينسب شيء إليه مما صدر منه من النجاح الباهر وعدم الطمع في دنيا فرعون؛ لأنه لم يطلب جائزة من إنسان، بل عرض نفسه للخطر والموت.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ثانياً: الفكر المضاد وهو الدعوة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر فهو فكر ينسجم مع فطرتهم وعقولهم من خلال ما أثاره موسى من البيّنات على مستوى الكلام الذي طرحه موسى أو على مستوى الفعل الذي اعتمده موسى من أفعى العصا، فهو فكر صادق منسجم الصدق بين القول والفعل والشخصية.

ومن هنا سلّم السحرة فطرتهم وعقولهم وقلوبهم إلى ربّ موسى وهارون الذي صنع هذا الفكر وهذا الفعل وهذه الشخصية بهذا الصدق وبهذه القوة، فاستمدوا قوة الإرادة من موسى وربّ موسى سبحانه في مواجهة الطاغية فرعون واعتمدوا عليه كما اعتمد موسى وهارون عليه سبحانه ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السُّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ٧٢-٧٣)، وانتهت حركة

السحرة بقتلهم على الصورة التي قرّرها فرعون.

س: لماذا لم يأمر فرعون بقتل موسى قبل أمره بقتل السحرة باعتباره هو  
السبب في التحرك المضاد؟

ج:

أولاً: أن السحرة من الأقباط الذين هم الأسياد فكيف يتأثرون بأحد هو من بني  
إسرائيل العبيد عندهم والذي يريد الفوز عليهم وقهرهم وإذلالهم كما هم يتصوّرون،  
فهذه مسألة لا يغفر عليها فرعون وأنها ستكون باباً للأقباط أن يدخلون مع صف  
موسى ﷺ ويتأثرون به.

ثانياً: أن موسى ﷺ من حيث الشخصية يختلف عن غيره من عدّة أمور من  
أهمّها أنه يمثل بني إسرائيل حيث الدولة قائمة على خدماتهم، فقتل موسى قد يولد  
حالة تدمريّة واسعة تؤدّي إلى ما لا يحمد عقبها على فرعون، وهذا لا يعني أن  
فرعون لا يريد قتله، بل كان يهدّد بقتله بين الحين والآخر ولكن لم يكن من  
صالحه، ولهذا يلقي المعارضة من قبل قومه عندما يريد أن يهّم بقتله ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ  
ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ (غانر، ٢٦)، وإنما يريد المبرّر المناسب الذي يقنع  
الأغلب بقتله، وقد قرّر فرعون قتل موسى بقرار لا يرجع عنه لو خرج موسى  
خاسراً في يوم الزينة؛ لأنه كان قراراً متفقاً عليه من قبل الجميع، ولكن شاء الله أن  
يكون هو الغالب ممّا زاد في فرعون القناعة بعدم جواز قتله وقد تأثرت الناس بفوز  
موسى الذي صار حديث الساعة آنذاك.

ثالثاً: أن المتتبع للأحداث من أوّل لقاء موسى مع فرعون يتيقن أن هناك يد  
غيب واضحة الوجود منعت من أن يقع القتل على موسى وهارون من قبلي فرعون.

س: ما هي السياسة التي اتخذها فرعون في مواجهته لحركة موسى الرسالية بعد غلبة موسى ﷺ على السحرة؟

ج:

حَجَّم فرعون حركة موسى من خلال سياسته الظالمة وهو يتبع الخطوات التالية:

أولاً: توجيه التهم الباطلة المتعلقة بشخصية موسى وما يقدمه من العمل، وأكد على نشرها بين الناس حتى لا يتأثروا به، من جملة تلك التهم:

١- التركيز على أن شخصية موسى لا تتعدى أكثر من كونها شخصية ساحرة، والساحر ليس له الارتباط مع الناس إلا بمقدار الحاجة إلى سحره عندما يبرزه إليهم والاستئناس بما يشاهدون منه فلا بقاء له أكثر من ذلك، وقد نجح فرعون في هذا النوع من التضليل، حيث أصبح الساحر هو العنوان الذي ينادي الناس به موسى، ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٤٩)، وأصبح كل ما يصدر منه أنه نوع من السحر ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَآتِنَا لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٢).

٢- التركيز على أن شخصية موسى تريد من خلال سحرها قيادة السلطة بنحو الإجرام والتشريد والنهب والتمزيق والوحشية، وبنحو روح وفكر ضدّ الوطنيّة ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ (الأعراف: ١١٠)، وضدّ الروح القوميّة التي أصبحت المثال الأعلى لجميع القوميّات، وأصبحت مصر المثال الأعلى كإمبراطوريّة لكلّ البلدان في العالم ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى ﴾ (طه: ٦٣)، ﴿ وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ٧٨)، وقد نجح

فرعون بنشر هذا التضليل وأثر أثره في ضعفاء القلوب والبصائر ممّا أثر على الأقباط بعدم التقرب منه والتأثر به.

ثانياً: التركيز على بقاء الأمة بالتمسك بما ورثوه من طرق العبادة والتفكير والحث على تقليد الآباء والأجداد حتى لا يدع فرعون مجالاً لأن تراجع الأمة نفسها فيما قطعته من السلوكية لتضع النقاط على الحروف على سيرتها لتكتشف الخطأ من الصحيح، وقد نجح فرعون في خطته هذه ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٧٨).

ثالثاً: القتل والتشريد لكل من يؤمن بموسى ويسير على نهجه ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس: ٨٣).

رابعاً: القتل والتشريد واستحياء النساء للذين لهم تعلق بالدرجة الأولى بالذين يؤمنون بموسى كالزوجة والأم والأخت والابن والأب صغيراً كان أم كبيراً، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ (غافر: ٢٥).

خامساً: تهديد فرعون موسى بالقتل بين الآونة والأخرى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر: ٢٦).

سادساً: محاولة فرعون محو بني إسرائيل من الوجود من خلال استعبادهم ومنع إنجاب نسايتهم، وقتلها وقتل أبنائهم وزج الكثير منهم في السجون والتعذيب على التهمة والظنّة وإجبارهم على دفع الضرائب الماليّة وتشغيلهم بالأعمال الشاقة التي يموت فيها الكثيرون منهم، وهكذا ممّا له دلالة على إرادة فرعون محو وجودهم، كمحاولة منه للتخلص من تهديداتهم التي يخاف أن تكون نهايته على

أيديهم، ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿وَمُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (التصوير، ٥٦).

س: من خلال ما مرَّ من آيات الله في هذه القصة، كم دعوى ادعاها فرعون في مقابل الله؟

ج:

الأولى: ادعاؤه الربوبية ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ﴾ (النازعات، ٢٤).

الثانية: ادعاؤه أنه أفضل من رب العالمين ﴿الْأَعْلَى﴾.

الثالثة: ادعاؤه أنه هو الله وانحصار الإلهية به ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ (التصوير، ٣٨)، ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِهْمًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء، ٢٩)، وعلى هذا الادعاء تكون مرجع عبادة العابدين إليه باعتباره إله الآلهة والرب الأعلى للأرباب.

الرابعة: ادعاؤه أن عذابه أشد من عذاب الله ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (طه، ٧١).

الخامسة: ادعاؤه بأنه هو الباقي ﴿وَأَبْقَى﴾ (طه، ٧١).

س: إذا كانت هذه ادعاءات فرعون في مقابل الله، فكيف كان يعبد الأوثان؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- أنه لم يدع الخلق والتكوين، وإنما ادعى أنه هو المرئي والمنعم الوحيد والمباشر لهم، ولهذا يجب على الجميع أن يطيعوه في أمره، وليس له شأن في الله عزَّ

وجلّ.

٢- أنه لم يعبد الأوثان ولكن جعل عبادة الأوثان على الناس، وبما أن الوثنيين يعتقدون أن لهذه الآلهة إلهاً، فهنا نصّب فرعون نفسه ربّ الأرباب وإله الآلهة التي يعبدونها، وعلى الكلّ أن يعبده كما يعبدون الأوثان.

٣- أن فرعون لا يؤمن بالغيب ولا يعترف بالله، ووصل إلى مرحلة من الطغيان والغرور بقوّته وفعله ما يدّعي أنه الربّ والإله في مقابل الله سبحانه، كما ينكر الماديّون والملحدون وجود الله إلا أن الفارق في أغلب إنكار الملحدين هو الشبهة في الفكر والجهل في النظرية وعند التنظير، وأمّا إنكار فرعون فكان نتيجة عتوّ وغرور واستخفاف بالغير وشقاوة واستكبار في نفسه.

والدليل على ذلك أنه بالإضافة إلى ما مرّ من كلماته ومواقفه فإنه لم يعترف بالله ولا يريد أن يعرفه إلا عندما رأى الموت، ولهذا تجد اعترافه بالله اعتراف فيه شائبة الإنكار ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُّ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (يونس: ٩٠).

وأما مسألة وجود الأوثان في بلاده وعبادة الأقباط لها فهي ذات وجود سياسي لمداهنة الأقباط ومرضاتهم والتماشي مع ما يعتقدون، كما نرى الآن في بعض الدول الإسلاميّة حيث حكّامها من الملحدين العلمانيين وفي بلادهم أمة مسلمة وتنتشر فيها المساجد وتلاوة القرآن، بل ولا عجب عندما نرى أحد هؤلاء الحكّام قد نسب إلى نفسه الأسماء الحسنى لله وزاد عليها اثنتين وهو لم يمتلك ربع ما امتلكه فرعون.

س: بعد نجاح موسى بموقفه أمام السحرة ما هي أهم الأحداث التي حدثت داخل القصر الفرعوني؟

ج:

الأول: مؤمن آل فرعون

هو من المقرّبين إلى فرعون نسباً وسبباً، فهو قد يكون ابن عم له أو ابن خال له أو أخاً لآسية امرأة فرعون أو من أقاربه، ومركزه الرسمي حيث كان وزيراً من وزراء القصر وممن يشتركون في صناعة القرار، وقبضي من الأقباط، اختلف في اسمه ولكن يقرب من أن يكون اسمه حزقيل على ما ورد في الروايات، كان مؤمناً بالله وبالأنبياء السابقين على موسى منذ اللحظات الأولى من حياته، وإنه كان من الذين يؤمنون بدين إبراهيم ويعملون به، ولم يعلن هذا المؤمن إيمانه، بل كان يكتبه ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (غافر: ٢٨)، تقيّة من سطوة فرعون وخوفاً من إنهاء حياته، لا على حياته بل خوف انقطاع حياته التي أراد من خلالها أن يحيي نفوس الكثيرين التي حاول فرعون إيماتها وقتلها ظلماً وعدواناً.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «التقيّة ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له، والتقيّة ترس الله في الأرض؛ لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل»<sup>(١)</sup>.

حضر ذلك المؤمن المناظرات التي أجراها موسى وهارون أمام فرعون وسمع عن سيرتهما و عرف ما يبغون إليه، وأطلع على مجمل الأحداث وشاهد صدق موسى وهارون، وقد عاش كذب فرعون وإجرامه من خلال معاشته للقصر، حكّم عقله وإرادته فرجّح من خلالهما الوقوف إلى جانب موسى والالتزام بما جاء به

موسى والتصديق به هو الأهم من كل موقف، ولم يعلن أمام أي أحد ما آمن به سابقاً ولا بتصديقه بموسى لاحقاً، ومزّت الأيام والسنون وهو يكتنم إيمانه وملترنم جانب التقيّة، يعبد الله ويخلو مع ربّه في ساحاته الواسعة وبين زواياه العديدة سرّاً، وكان سنداً لموسى في كثير من المواقف كما يكون قد خلّص الكثير من بني إسرائيل من حلبة الإعدام وسجون فرعون وتعذيبه الوحشي، وأخيراً سمع قرار قتل موسى والإصرار عليه من قبل آل فرعون وأنه قرار لا محيص عنه.

هنا وفي هذا الحال قرّر هذا المؤمن أن يقدم نفسه ضحية لموسى بإرباك فرعون وملاه عندما ينشغلون به وبموقفه، رفع موضوع التقيّة، وأعلن عن موقفه البطولي الشريف ليجهر بكلمة الحقّ أمام الظالمين التي كانت منذ سنين مجتمعة في قلبه الطاهر، وقد حان وقت الإجهار بها بصوته الجمهوري الصادع بكلمات الحقّ التي سجّلها الله بأحرف من نور، وقف موقفه أمام فرعون وأعضاء مجلسه حينما شاهد منهم الإصرار على قرار قتل موسى فبدأ بالكلمات التالية: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، هل فعلاً أنكم قرّرتم قتل موسى؟! وهل أنتم على قناعة تامّة بقراركم هذا؟! إني أستنكر قراركم الجائر هذا، لماذا تريدون أن تقتلوا هذا الرجل؟! هل في دعوته هذه عيب ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾؟! وهل هي دعوة جديدة لم تسمعوا مثلها من قبل؟ وهل إن وجود الله غريب على عقولكم؟ هل في دعوته دعوة إلى التخلف والتقهقر أم هي من أمّهات الدعوات وأكملها وأتمّها وأرقاها لكم ولغيركم؟ هل قرار قتله هذا ناتج عن اعتقادكم بأنه كاذب بدعوته لنبوّته؟ إذا كان قراركم ناتج عن تكذيب لنبوّته ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وشاهدنا كلنا معجزة العصا سواء الذي حدث في القصر أو أمام السحرة، ألم يكن ذلك كافياً في إثبات نبوّته؟ فلو



أجبتهم بعدم الكفاية في ذلك لإثبات نبوته، فهو عندكم لا يخرج من أحد احتمالين؛ إما أن يكون كاذباً أو صادقاً في دعوته، فإن كان كاذباً فلم يضرنا بشيء؛ لأنه لم يشهر سلاحاً ولا يريد سلطة فهو لم يشكل خطراً سياسياً يهدد من خلاله سلطة الحكومة، فإن كان هناك ضرر في دعوته للنبوة فلا ضرر في كذبه إلا عليه ﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه﴾؛ لأنه سوف يعرض نفسه للقانون وسوف يفتضح أمام كل الناس، وبعد ذلك نرجع ضرر الكذب عليه قتلاً أو سجنًا، فالنتيجة الضرورية لا ترجع بسوء إلا عليه.

﴿وإن يك صادقاً﴾ لم يجبركم على الإيمان بدعوته والتصديق به، بل عندما يكون صادقاً معناه أنه فعلاً نبي الله ووجود نبي الله، بيننا وفي بلدتنا لا يكون إلا خيراً ورحمة وبركة، وعند ذلك ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾، ولا نحتاج إلى انتظار طويل المدة في كشف كذب الرجل، فإن حبل الكذب قصير وسرعان ما ينكشف ﴿إن الله لا يهدي من هو مشرف كذاب﴾، ﴿يا قوم﴾ لو كانت بلادكم عزيزة عليكم وكنتم فعلاً تحبون قومكم فهذا يستدعي منكم المحافظة على بلادكم وقومكم من الدمار ﴿لكم الملك اليوم الظاهرين في الأرض﴾ (غانر: ٢٩)، فلو قررتم قتل موسى وبان صدقه فسوف تعرضون بلادكم وقومكم إلى غضب الله ﴿فمن ينصروننا من بأس الله إن جاءنا﴾ (غانر: ٢٩).

ثم أخذ يذكرهم بعلاقة دولة الفراعنة السابقين بحملة الدين من الأنبياء في أنهم كانوا يعرفونهم على حقيقتهم من أنهم رسل من الله ويكتمونها على شعوبهم، فكانوا يعرفون نبوة يوسف عليه السلام حقاً ولم يؤمنوا بها وحاربوها إلى أن مات النبي يوسف عليه السلام وقالوا حينها: قد تخلصنا منه ولم يبعث الله بعده نبياً، هكذا قالوا وهكذا ضلّوا

الناس بإعلامهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ (غافر: ٣٤).

هنا تدخل فرعون وقطع الجو العام الذي كاد أن يتأثر باتجاه الكلمات الربانية لمؤمن آل فرعون، وكانت كلمات فرعون منطلقة من غروره وذكائه الشيطاني وعنجهيته واحتكاره للقرار والأمر لنفسه ولا شيء غير نفسه ولا قرار لغير قراره ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩)، فأجابه المؤمن على عكس ما قاله فرعون بكل جرأة وشجاعة غير آبه بالنتيجة وإن كانت تعذيب بدنه وإزهاق روحه، أجابه وهو غير مكترث لجواب فرعون حينما وجه حديثه إلى القوم الذين يقفون إلى جانب فرعون؛ لأنه يأس من تغيير فرعون، إنه لا كما يقول فرعون، ليس في اتباع فرعون رشاد، بل اتبعوا قولي فإن فيه الرشاد ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٣٨)، واستمر هذا المؤمن بحديثه وهو يذكرهم ويدعوهم إلى الله بأسلوب الخوف والرجاء الذي يكشف عن عمق إيمانه بالله وارتباطه القديم به سبحانه ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ • مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ • وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ • تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ • لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ • فَسْتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (غافر: ٣٩-٤٤).

فراى هذا المؤمن أن الحديث مع هؤلاء غير كاف ولا يجدي أي منفعة وأمل

في التغيير مادام فرعون متواجداً بينهم، فاستثمر مؤمن آل فرعون كلَّ الفرص المواتية له ولهذا لم يجعل عملية وصول صوته الصادع بالحق والهداية محصوراً على أشرف القصر، بل خرج به إلى الجمهور لسمع صوته وهو يدعو إلى الله وإلى هدايتهم سبيل الرشاد سبيل موسى وهارون ومن سبقهما من الأنبياء يذكرهم بتأريخ الأديان السماوية وما حلَّ على المعاندين لها من سوء العاقبة ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْزَابِ ﴾ ﴿ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ ﴿ يَوْمَ تُولُونَ مُذِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (غانر، ٣٠-٣٣).

وصل خبر تحرّكه إلى فرعون وخطورة تأثير دعوته على الناس، وكما نعرف من سياسة فرعون وعقله لا يسمح لحياته أن تستمر، فكانت نتيجته متوقعة لكلِّ من اطَّلِع وعرف طبيعة قرارات فرعون، فكان القتل هو القرار الفرعوني الطبيعي بحق مؤمن آل فرعون، إلا أنَّ اختيار فرعون القرار السريع لقتله كان رحمة من الله على حزقيل حيث أنجاه من ضغوط فرعون ومكره الذي أحضره لتعذيب هذا المؤمن التي قد تؤدي في بعض الأحيان إلى الاعتراف أو التنازل ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا ﴾ (غانر، ٤٥).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في توضيح الآية ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا ﴾ أنه قال: «أما لقد سطوا عليه وقتلوه ولكن وقاه أن يفتنوه في دينه»<sup>(١)</sup>، أو إنَّ الله وقاه من ذلك الجوّ الفاسد الذي صنعه مكر فرعون والذي لا ينجو منه إلا من رحم،

(١) مشكاة الأنوار: ١٩٣.

وسياتي توضيح كلامه في آياتها المناسبة إن شاء الله.

الثاني: امرأة فرعون

هي آسية بنت مزاحم ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحریم: ١١)، وهذه هي الأخرى كتبت إيمانها التي حصلت عليه منذ اللحظات الأولى من حياتها، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل ياسين، وعلي بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون»<sup>(١)</sup>.

وتلقت عمق دروس الإيمان من موسى عندما قضى موسى وطراً من عمره الشريف الثماني عشرة سنة داخل القصر معلماً لها بكلماته وسلوكه، وتعمق أكثر عندما شاهدت تلك المواقف التي صدرت من احتضنته رضيعاً وأحبته ابناً واطلمت عليه ظاهراً وواقعاً، والآن تشاهده رجلاً قائداً لأعظم حركة إيمانية يقف بكل شجاعة أمام جبار الإنسانيّة وقاهرها، فهو - أي فرعون - وإن كان زوجاً لها إلا أن رابطة الإيمان عند المؤمنين أفضل الروابط وأحبها لقلوبهم وأقوى من كل رابطة، ولهذا هي لم تمتلك صبراً عند سماع إعلان الحرب ضد موسى والقرار بقتله من قبل فرعون، أظهرت إيمانها وأعلنته في وقت عندما بدأ فرعون بالتصفية الجسدية لكل معارض ومؤمن بما يدعو إليه موسى، كشفت آسية عن هويتها العقائدية في ليلة حينما كان فرعون يقص لها كيفية تعذيب معارضيّه من النساء والرجال، وكيف كانوا يموتون تحت يدي جلاديه، نهضت منتفضة لتقف موقفها البطولي الجريء غير مكترثة ممّا سيجري عليها، قالت: الويل لك يا فرعون، ما

(١) الخصال ١/١٧٤/٢٣٠.

أجراك على الله جلّ وعلا !!

التفت فرعون إليها مستغرباً من نهضة زوجته هذه التي لم يسبق لها مثيل أن وقفت بوجهه أو نظقت بهذا الاتجاه الإيماني، حسب فرعون للوهلة الأولى أنه نوع من المشاعر العاطفية التي تمتلكها النساء، ولكن نظراتها الحادة عليه وتوتر أعصابها بأن مسألة موقفها هذا يحمل الكثير من الجدّية، فقال لها: لعلك قد اعتراك الجنون؟ ليكتشف جدية موقفها أو ليجعلها تبدّل رأيها أو تتنازل عن موقفها، فقالت: ما اعتراني جنون، لكن آمنت بالله تعالى ربّي وربك ورب العالمين.

أيقن فرعون بوصول تأثير موسى إلى أقرب شخص إليه، أخذه التوتر العصبي ولكن هي زوجته المتعلق بها، فكّر بمن يؤثر عليها لعل أن يسمع منها كلمة الكفر، فدعا فرعون أمها فقال لها: إن ابنتك أخذها الجنون، فأقسم لتذوقن الموت أو لتكفرنّ بإله موسى، هذه هي لغة الجبايرة الذين تأخذهم العزة بالإثم، جاءت الأم إليها وخلت بها فسألتها: أموافقة فيما أراد؟ فأبت، وقالت: أما أن أكفر بالله فلا والله لا أفعل ذلك أبداً.

وجاء خبر إصرارها على موقفها العقائدي الرفيع إلى فرعون، أمر بها فرعون حتى مدّت بين أربعة أوتاد وألقاها في الشمس وعلى مرمى ومرأى الناس، ثمّ لا زالت تُعذب حتى قرب أجلها، وفي هذه اللحظات رفعت رأسها إلى السماء، طلبت من ربّها ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ (التحریم، ١١)، فهي لم تطلب بيتاً في الجنّة إذا كان بعيداً عن الله، بل طلبت أقرب بيت إليه سبحانه لما تدخر حبّاً لله ولها به لا تريد أن تفارقه حتى وهي في الجنّة، فهي ليست عندية مكانية، بل هي عندية العشق ومعايشة القرب ودوام الحضور في محضر الله الذي هو أحبّ إليها من البيت وما فيه وإن كان في الجنّة، وعندما رأى الله إخلاص وصدق طلبها

أشغلها الله برؤية بيتها في الجنة عن الشعور بألم التعذيب، وعندما فاضت روحها الطاهرة وهي لم تجد ألماً من تعذيب فرعون. ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «خير نساء الجنة مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»<sup>(١)</sup>.

س: كيف تستدل على أن مؤمن آل فرعون كان من الأقباط؟

ج:

- ١- وصفه الله (مؤمن آل فرعون) و(آل) تطلق على خاصة الأهل والبيت والقوم.
- ٢- كان مؤمن آل فرعون يكرر هذه العبارة (يا قومي) وهو يخاطب الأقباط ورؤساءهم ولم نجد اعتراضاً في ذلك.

س: لماذا التزم مؤمن آل فرعون جانب التقية ولم يعلن إيمانه؟

ج:

نحن تابعنا بعض ما عرضه القرآن لشخصية مؤمن آل فرعون وحركته الإيمانية وتحديه العظيم أمام أعتى جبابرة الأرض ويمكن أن نستخلص بسهولة وبصورة واضحة أن أزهده ما يكون عند مؤمن آل فرعون هو حياته أن يقدمها في سبيل الله، ولم يكن ما صدر منه من المواقف كان من باب هيجان المشاعر العاطفية والأحاسيس اللا مدروسة، فإن ما كان يطرحه يمثل موقف الداعية الواعي لموقفه وما يحيط به وما يصدر عنه، ومن هنا نعرف أن ما كان يخفيه مؤمن آل فرعون من التقية لم يكن خوفاً على حياة أو طمعاً في حطام؛ بل كان موقف التقية منه هو الموقف الذي يفرضه العقل والدين ذلك عندما يزاحم ظهور الإيمان وقتله من قبل

فرعون يقيناً ما هو أهمّ منه، ولعلّ المزاحم الأهمّ يتعيّن في أحد الأمور التالية أو بعض منها أو كلّها:

- ١- طمعاً في أن يؤدي دوره كداعية لله ليغيّر ما بإمكانه تغييره وتخليص ما يمكن تخليصه من عبادة الأوثان إلى عبادة الله، وخصوصاً إذا لاحظنا أن مجتمع الأقباط غريب من وجود الداعية منهم وبينهم.
- ٢- طمعاً في أن يغيّر تلك النفوس الذليلة التي تعودت على إمضاء كلّ ما يصدر من فرعون وخصوصاً إذا لاحظنا أنه يمتلك الموقع المؤثر والمركزيّة الحساسة.
- ٣- طمعاً في أن يخفّف القرارات التي توجّه ضدّ حركة التوحيد والموحدّين أو على الأقلّ يعرقل تنفيذها.

٤- طمعاً منه أو اتفاقاً مع موسى في أن يكون في حالة تقيّة ليكون عوناً لموسى في تحرّكه المعارض بصورة سرّية، خصوصاً إذا لاحظنا المواقف التالية التي من المحتمل القريب جداً أن تكون له، وهي:

١- مجيء مؤمن آل فرعون بخبر المؤامرة إلى موسى بقرار قتله عند قتل القبطي ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (النص: ٢٠).

٢- محاولة مؤمن آل فرعون الناجحة وذلك بتحويل قرار قتله وأخيه إلى تحدي السحرة بإقناع أعضاء مجلس فرعون ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الأعراف: ١١١).

٣- انتفاضة مؤمن آل فرعون المباركة بإعلان إيمانه وردّه الكبير الذي شغل آل فرعون عن قتل موسى ذلك عندما رأى الحتميّة في قرار قتله ﴿وَقَالَ رَجُلٌ

مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿غافر: ٢٨﴾.

س: ما هو العمل الذي كان يقوم به موسى بعد نهاية حياة السحرة؟

ج:

أخذ موسى يعمل بعمله النبوي بين الناس بصعوبة بالغة ومعاناة شديدة لما  
فرضه فرعون من القوانين التعسفية ضد حركة موسى ومؤيديه، ولما كان من الدور  
الخبيث لملأ فرعون من مراقبة تحركات موسى وقومه الذين آمنوا به من ضعفاء  
بني إسرائيل وفقرائهم ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ  
وَمَلَائِهِمْ أَنْ يُفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (يونس: ٨٣)، ولم  
يكن لموسى في مثل هذه الظروف إلا أن يصبر المؤمنين الضعفاء ويزرع في نفوسهم  
الثقة بالله ونيل العزة منه والتوكل عليه في مواجهة التحديات ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ  
إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤)، ولم يَزِ موسى منهم إلا  
الاستجابة والصبر معه وهم يتوكلون على الله ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا  
فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿(يونس: ٨٥-٨٦).

وبقي موسى صابراً وهو يرى فرعون والأقباط وبعض من أشرف بني إسرائيل  
كيف يعذبون أصحابه بتعذيبهم الوحشي، والمحاربة النفسية ضدَّهم وهم ضعفاء لا  
سكن لهم ولا ملجأ يجمعهم مع أهلهم نتيجة ضعف البعض مادياً، وتشريد الآخرين  
من ديارهم هروباً من إمساك جلاوزة فرعون بهم أو البحث عنهم، حتى جاء أمر الله  
لموسى وهارون أن يجمعهم في منطقة داخل مصر وفي قلب المدينة ومركز العذاب  
بيوت أحدها يقابل الآخر ويقرب أحدهم من الآخر لتسهل عليهما إيصال كلمات



الحق لهم، ويسند أحدهما الآخر وينظر أحدهما إلى الآخر بما يحتاجه، وحتى يفهموا جميعاً أحكام دينهم ويؤدوا من الفروض الشرعية وهم جماعة ومجتمعين، وليعكسوا دعوة موسى من خلال سلوكهم وأخلاقهم لتكون رسالة موجّهة لكل المشاهدين لهم وللراغبين للانضمام إلى دعوتهم التي يدعون إليها بصبرهم وصمودهم، ومن جهة أخرى هي رسالة تحدي إلى فرعون وملئه بالإصرار على التمسك بقيادتهم الشرعية قيادة موسى وهارون.

وجاء هذا الأمر باتخاذ البيوت في هذا المكان وبهذا النوع من التجمع المتقابل الذي يشكّل الخطورة، بل التعرّض إلى تهلكة أنفسهم لا محالة عندما يسير ضمن الحسابات الطبيعية والظروف التي تحيط بهم وبما نعرفه من فرعون، ولكن نرى الأمر قد أردفه الله بعدم الخوف وبُشري النصر ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَئُوتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧)، وكان كما أمر الله. وبدأت حركة موسى بالتوسع والتأثير، وتتخذ طريقها الإيجابي بحفظ الله ورعايته إليهم وحركة موسى التبليغية بين الناس ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِيَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١﴾ وَأَلَّا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ إِيَّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَإِنِّي عِدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٣﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِبُونِ﴾ (الدخان: ١٨-٢١)، وبدأ الواشون والعيون تنقل الأخبار إلى فرعون وهي تستنهضه على اتخاذ الموقف المضاد لهذه الحركة والمظهر الجديد ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٧)، هذه هي لغة الجبابة في كل زمان وأينما حلوا بمكان لا تفاهم ولا حوار، لا يفهمون إلا لغة واحدة اسمها التعذيب ضدّ معارضتهم ولو كانوا

يدعوهم إلى السلام والهداية إلى الجنان، ولكن يمكرون ويمكر الله.

بدأ فرعون بتنفيذ ما قرّره بالعذاب في الأمور الأربعة التي قرّرها، وبدأ موسى بسلاحه الأفقي الذي يدعو أصحابه بالثبات والصمود وعدم التزلزل والتفاؤل بنصر الله لهم ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، وبسلاحه العمودي وهو يدعو الله بتدمير زينة وأموال فرعون وملئه لأنه الطريق الذي يولد عند فرعون وملئه الشعور بالضعف ويكون سبباً في نزع الخوف من قلوب الناس، ممّا يفتح الطريق أمام الناس للإيمان بالله وبنبيه ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس: ٨٨).

وكان هارون ينظر إلى نفس ما ينظر إليه موسى من تقييم الحالة والخروج من مأزق عدم إيمان الناس بهم، فكان موسى وهارون يدعوان الله بطمس أموالهم وزرع الخوف في قلوب فرعون وملئه، وقد استجاب الله لدعوتهما بشرط الصبر على ذلك وعدم الالتفات إلى ما يقوله أو ما يثيره ممّن حوله من الذين لا يعلمون بنتائج التسرع وحكمة الله في جريان أسباب الأمور ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: ٨٩)، والمؤمنون من بني إسرائيل قد ظهر منهم الملل من الحالة المأساوية التي هم عليها من العذاب بالاستضعاف والمطاردة والقتل التي أصبحت الحالة الثابتة التي لم تتغير سواء قبل مجيء موسى أو بعد مجيئه، تصوراً منهم أنّ وجود النبي والتفافهم حوله أن يكون النصر الفوري هو حليفهم فأخذوا يبتغون الشكوى إلى موسى ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ

بَعْدِ مَا جِئْنَا ﴿الأعراف: ١٢٩﴾، ولكن النصر عن طريق المعجز والتدخل المباشر من قبل الله له ظروفه الخاصة التي هي بيد الله وقد يطلع عليها النبي دون غيره، أمّا في غير ذلك فالنصر يجري ضمن أسبابه الطبيعيّة، وهذا ما يجب على العاملين معرفته، والذي ينظر إلى حالة استضعاف بني إسرائيل وقوّة فرعون بنظرة سريعة يجد النصر عندما يكون حليفهم لا بدّ أن يجري ضمن الحسابات غير الطبيعيّة، وأنّه لا بدّ من التدخل المباشر من الله لإيقاد بني إسرائيل، وقد أخبر الله موسى وهارون بذلك من خلال استجابة دعائهما ولكن من دون تحديد الوقت، ولهذا أنبأهم موسى بهلاك فرعون واستخلافهم الأرض ليضع الله بني إسرائيل تحت تجربة الالتزام وعدم المخالفة لله ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩).

وقد بانّت لوائح النصر تلوح في الأفق من خلال التدخل المباشر من الله، وذلك بنزول البلاء على مدينة مضر وعلى شكل مراحل على أمل أن يستجيب البعض من آل فرعون عندما يرى إنذار الله لهم بالعذاب ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾ (القم: ٤١)، وبدأ الله بتدمير العامل الاقتصادي للبلاد الذي لم يكن فرعون ولا آل فرعون قد حسبوا له حساباً ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠)، وذلك من خلال استخدام بعض الظواهر الطبيعيّة وإرسال بعض الحشرات والحيوانات عليهم وعلى مزارعهم التي يعتمد عليها اقتصاد البلاد من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم الذي هو (الرّعاف) على ما ورد في الحديث، ولم يرسل الله كلّ ذلك بصورة دفعيّة، بل بينهما فواصل من الزمن الكثير من السنوات ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ

وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴿١٣٣﴾ (الأعراف: ١٣٣)، ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَا مِنْهُمُ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: ٤٨)، ولم ترسل بصورة مفاجئة عليهم، بل أرسلت هذه الأمور بعد إنذار موسى إليهم وإخباره لهم بها قبل حدوثها، ثم بعد حدوثها يأتون إلى موسى ليرفع عنهم عذاب تلك الظاهرة التي أخبرهم بحدوثها من خلال دعائه لله بنجاتهم، وفعلاً يرفع الله العذاب بدعاء موسى بعد أن يعطوا العهد لموسى بالإيمان به وتسليم بني إسرائيل له، وعند رفع العذاب ينقضون ذلك العهد ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ • فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُورَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٤-١٣٥)، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ • فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ (الزخرف: ٤٩-٥٠)، وبعد نقضهم للعهد واستقرار كفرهم يخبرهم موسى بما سيحل عليهم مرة أخرى من عذاب جديد فيتشاءمون من موسى وينسبون سبب البلاء على موسى وعلى المؤمنين به لا على أنفسهم وكفرهم وظلمهم ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١)، وكلما رفع العذاب بسبب دعاء موسى ﷺ يدعون أن رفع العذاب هذا هو بسبب استحقاقهم لذلك، وأن رفع العذاب واستبداله بهذه النعم هو من جهودهم وفضلهم لا من أثر موسى ودعائه لله برفع العذاب عنهم ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ (الأعراف: ١٣١).

هكذا كان موقفهم مع آيات الله ومع الرسول موسى ﷺ حتى أعلنوا موقفهم الأخير بالرفض القاطع والإنكار الكلي لكل ما تأتيهم من بينات وآيات ومواقف

واضحة الدلالة على أنهما من عالم الغيب ﴿ وَقَالُوا مَهِيَ تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٣٢)، هذا هو الموقف الأخير لهم والذي أعلنه فرعون وآل فرعون والأقباط جميعاً ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ﴾ (القم: ٤٢)، لا عن قناعة تقودهم بل جحود واستكبار ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل: ١٤).

هنا وصلت عند النبي موسى مرحلة اليأس منهم ولم يبق أمام هلاكهم إلا أن يرسل موسى تقريره إلى الله عن طريق الدعاء الذي يتضمن يأس موسى من قوم فرعون كما هو طريق هلاك الأمم الظالمة السابقة، وفعلاً رفع موسى يديه إلى السماء ﴿ قَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَئِنْ هُوَ لَإِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ (الدخان: ٢٢).



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ

تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٠)

س: ما معنى: ﴿فَرَقْنَا﴾؟

ج:

الفرق: الانفصال.

س: أكمل قصة موسى وأنت تذكر وقوع الحدث الذي تذكره هذه الآية ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.

ج:

عندما انتهى موسى من دعائه على قومه وتقديم تقريره الأخير إلى الله اليأس منهم ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَا هَوْلَ لِقَوْمِهِ يُجْرِمُونَ﴾ (الدخان: ٢٢) أمر الله موسى بعد مرور أربعين سنة على ما ورد في بعض الروايات، وهي المدة ما بين دعاء موسى على آل فرعون وبين استجابة الله لدعائه، بأن يجمع جميع قومه من بني إسرائيل الذين آمنوا به، ويسري بهم ليلاً باتجاه البحر بعيداً عن عيون السلطة وبشكل سرّي حتى لا يعثر عليهم فرعون وجنوده فيصدّوهم ويمنعوهم من الخروج ﴿فَأَسْرِبْ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (الدخان: ٢٣)، والقائد موسى هو الآخر يجب أن يخرج معهم وأمامهم بشكل سرّي بعيداً عن عيون السلطة ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (طه: ٧٧)، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ (الشعراء: ٥٢).

بدأ موسى يأمر أتباعه بالذهاب إلى نقطة تجمّع خارج المدينة بصورة سرّيّة،

وأمرهم بأن يأخذوا معهم كل ما يملكون، واستجاب له في هذا الطلب كل الفقراء والأغنياء من بني إسرائيل وهم يحملون كل أمتعتهم وما يمتلكون من الذهب والفضة، وبهذا النوع من النقل والتنقل الذي أمر به موسى يكشف أن ذهابهم بهذا الشكل أنهم سوف يذهبون من دون رجعة إلى بلاد مصر، وهذا له هدفه كما ستري إن شاء الله تعالى من خلال تتبع القصة.

وبعد تجمعهم هناك نظم موسى صفوف بني إسرائيل وقسمهم إلى قبائلهم وكان عدد القبائل اثنتي عشرة قبيلة كما هو أصلهم من بني يعقوب ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ (الأعراف: ١٦٠)، وكل قبيلة جعل عليها والياً منهم يدير الأمور الشرعية والطبيعية من تنظيم الأمور لهم بعنوان نقيب ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (المائدة: ١٢)، وهؤلاء النقباء كانوا على مستوى إيماني جيد وكان تعيينهم بأمر الله قد نفذه موسى (بعثنا منهم).

ويقال: كان عدد بني إسرائيل جميعاً في هذا المكان قد بلغ الستمائة ألف نسمة. وأخذ موسى يتعاهد قومه بما ينقله الله إليه ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ١٢).

وبعد أن انتهى موسى بما أمره الله أن يوصي به قومه من شروط الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، بدأ موسى يسري بهم باتجاه البحر وهم يسرعون الخطى حتى لا يلحق بهم فرعون، ولم يخرج موسى لا على التعيين، بل كان قاصداً بهم إلى الشام حيث الأرض المقدسة ومدينة القدس التي أمر الله موسى أن يسري بقومه

إِلَيْهَا ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٢١)، وعند صباح اليوم الثاني عرف فرعون خبرهم، نهض فزعاً ولبس ملابس الحرب وهو مسرع إلى ثكناته العسكرية، وهامان ورجال البلاط يتبعونه ليجمعوا الجيوش من جميع الأماكن والمدائن التابعة له حتى المدنتين من قومه ﴿ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ (هود: ٩٧)، وأخذ يحشدهم ويحثهم على مقاتلة موسى وقومه، وتشم رائحة الخوف من كلماته على الرغم من أن جيشه يمتلك من القوة واللياقة العسكرية ما لا يملكه موسى وقومه ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ خَاسِرِينَ ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾ (الشعراء: ٥٢-٥٦)، جمع الجميع من العدة والعتاد ﴿ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنَ بِجُنُودِهِ ﴾ (طه: ٧٨)، إنها فرصته الوحيدة التي يجب عليه استغلالها والتي كان ينتظرها بين الحين والآخر، فقد قرّر فرعون في هذه الطلعة أن يفنيهم عن آخرهم وألا يبقى أحد منهم على الأرض ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَقِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ ﴾ (الإسراء: ١٠٣).

ولحق فرعون بموسى وقومه وهم قرييون من البحر تماماً عند شروق الشمس بعد مرور يومين أو أيام قليلة من خروج موسى وقومه من مدينة مصر ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ (الشعراء: ٦٠-٦١)، وعندما شاهد أصحاب موسى فرعون وجنوده قد لحقوا بهم وشاهد أحدهما الآخر قال بنو إسرائيل لموسى وهم فرعون: إذا لحق بنا فقد انتهينا بقتلنا من قبلهم لكثرتهم وما يمتلكون من القوة، فأجابهم القائد موسى بكلّ اطمئنان بنصر الله له ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء: ٦٢)، وعندما تقاربا الجيشان وشعر موسى بالخطر المحقق، رفع رأسه ويديه إلى السماء قائلاً: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ



المشتكى، وأنت المستعان، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣)، اضرب بعصاك البحر ليشاهدوا أن قدرتي هي تحت طلبك يا موسى حتى يوقن بنو إسرائيل أنك رسول رب العالمين، وشارك المعجز بضرب العصا حتى تشعر الآخرين بأن حركتهم متصلة بالله من خلال حركتك، واضرب البحر بعصاك لينفتح لك إثنا عشر طريقاً من جهتك التي أنت عليها إلى الجهة الأخرى من اليم، إثنا عشر طريقاً لتسلك كل قبيلة من خلال نقيبها طريقاً مستقلاً عن الآخر لتسرع عملية العبور بكم بأمان إلى الجهة الأخرى، ولا تخافون من طمس الأرض الرخوة بكم لإشباعها بماء البحر، كلا لأنكم سوف تسرون على أرض صلبة يابسة كلازم للمعجزة ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ (طه: ٧٧).

ودخلوا وكل يعرف طريقه بوضوح وهم يرون ذلك الماء الهائج السائل قد تحوّل إلى أعمدة عريضة عظيمة يسدّ ويمنع بعضه بعضاً عن النفوذ والانهبان حتى وصل آخر شخص من بني إسرائيل إلى جهة الأمان، هنا أوقف هامان فرعون وجنوده وتقرّب هامان من فرعون ليقدم له النصيحة بالألا يستمرّ في المطاردة والهجوم، فقال له: إني قد أتيت هذا الموضع مراراً ومالي عهد بهذه الطرق، وإني لا آمن أن يكون هذا مكرأ من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا، وفرعون على غروره وقوته وهيجانه وسرعته الجنونية لم يطع هامان ولم يستمع إلى نصيحته فأمر جنوده بالزحف واللحوق، وقال لهم: إن كان قد فلق البحر فلهييتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا، ادخلوا البحر.

واتبعهم فرعون يريد السطو والهجوم عليهم من دون تروّي ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ (يونس: ٩٠)، وقد نجا كل من كان

مع موسى ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٥٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الدخان: ٣٠-٣١)، وبمجرد أن وصل آخر جندي من جنود فرعون إلى الجهة الأولى من البحر ووضع قدمه على الطريق البحري الجديد انتهت المعجزة لتكمل حاجتها من غرق فرعون وقومه فانهار الماء وأخذت الأمواج تتلاطم عليهم ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ (طه: ٢٧٩)، ولم ينبج منهم أحداً، وفي الجانب الآخر يقف موسى وقومه من بني إسرائيل ينظرون هذا المنظر بأعينهم ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٠).

ولا يبعد أن تكون المنطقة التي حصل فيها المعجز هي رأس البحر الأحمر شمالاً في القسم الذي باتجاه صحراء سيناء.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في سبب أمر الله في أن ينتقل بنو إسرائيل إلى الأرض المقدسة (القدس)؟

مركز تحقيقات كاتوليتر علوم إسلامي

ج:

أولاً: أن يكون بقاؤهم في مصر لا يغير من وضعهم الأمني والاجتماعي والسياسي شيئاً؛ لأنهم سوف ينتقلون من فرعون إلى فرعون ومن ظالم إلى ظالم آخر.

ثانياً: أن يفرز موسى الموحدين عن غيرهم من الوثنيين، لكي تتم عملية فهم الرسالة السماوية والأمور العقائدية والأحكام الإلهية بصورة مستقرة هادئة مطمئنة بعيدة عن ملاحقة الظالمين وأذى عامة المخالفين، وبالتالي يمكن للفرد أن ينمو فكرياً وأخلاقياً ضمن ما يطلبه ويفرضه دينه عليه.

ثالثاً: أن بني إسرائيل الموحدون قد وصلوا إلى مرحلة كبيرة من تحجير العقول وضيق الأفق الفكري نتيجة استعبادهم وضعفهم لمدة طويلة، وهذا لا ينسجم مع

عقيدة التوحيد التي يريدنا الله من الفرد المؤمن أن يكون مثلاً أعلى في الشخصية من جميع جوانبها، فهم ما بين علو المبدأ ودنو الشخصية، وهذا التفاوت مرفوض من قبل الله وما لا تدعو إليه رسالاته، وعلى هذا فهم يحتاجون إلى عملية غسيل من جهة وتعبئة فكرية وسلوكية من جهة أخرى على مستوى ما يحملونه من عقيدة التوحيد، فلا بد من أن يمرروا في هذا المسير البرزخي ما بين مصر وبلاد الشام بقيادة موسى ومن معه وبصورة مستقلة وإنزال التوراة عليهم ليتم الغرض المذكور من جميع جهاته.

رابعاً: أن يكون عمر موسى غير كافٍ في حصول التحوّل نحو الأحسن إليهم، وقد نقلهم الله إلى بلاد الشام التي ستكون مركزاً للأنبياء الآتين ومركزاً للوعي الديني يعملون بالتوراة غير خارجين عنها، وهذا النوع من الاختلاط سيؤثر أثره الإيجابي الواضح في مستقبل شخصية بني إسرائيل.

خامساً: أن يكشف الله حالة التمرد والتعنت التي يمتلكها بنو إسرائيل ونقضهم الطبيعي للمواثيق على الرغم ممّا أغدقه الله عليهم من النعم من خلال هذا المسير ليجعلهم منعزلين عن العالمين بحالتهم المنبوذة فلا يتأثر بهم أحد على طول مستقبل التاريخ، فهم دروس عبرة لكل الأجيال التي تأخذ من تجربة حركتهم العقائدية السياسية بقيادة موسى ﷺ.

س: يقف القرآن على غرق فرعون وقومه لينقل بعض الصور والأحداث، اذكر ذلك.

ج:

وفي لحظات الغرق هذه يطلعنا الله على ما يدور في قلب فرعون وما يجري على لسانه الذي كان قبل لحظات من العالين والمستكبرين والجبارين والمعاندين

لكلمة الحق، وإذا به وفي لحظات الموت اليائسة يعلن فرعون إيمانه بالله وإسلامه  
 بنبوّة موسى ودينه ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ  
 بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٩٠)، ولكن ما الفائدة، فقد جاء إسلام فرعون  
 متأخراً حيث لا مجال لقبول إسلامه ولا توبته بعد أن شاهد علامات الموت  
 وانقطاع الاختيار ﴿الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٩١).

ورد عن إبراهيم بن محمد الهمداني عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: قلت  
 للرضا عليه السلام: لأي علة أغرق الله فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال عليه السلام: «لأنه  
 آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول...»<sup>(١)</sup>.

غرق وهو في حالة لوم لنفسه حيث لا نفع للومه نفسه ولم يكن في محله  
 ﴿فَبَدَّلْنَا فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الذاريات: ٤٠)، وموسى وقومه واقفون على الجانب  
 الآخر وهم ينظرون إلى ذلك المنظر الرهيب وإلى عزة النصر الإلهي لهم وذل ونكال  
 الله لأعدائهم ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (النازعات: ٢٥).

وغرقت حركة الظلم والاستعباد والقتل والاستحياء بغرق فرعون وهامان ومن  
 اتبعهما من الأقباط ﴿فَاتَّكَمْنَا مِنْهُمُ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا  
 عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٣٦)، غرقوا ولم تجد أي أثر لهم أبداً ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ  
 جَمِيعاً﴾ (الإسراء: ١٠٣)، إلا جسماً صغيراً لا حراك فيه ضائعاً تتقاذفه أمواج البحر، ذلك  
 هو بدن فرعون من أكبر فراغته مصر ولا أحد يمدّ يد العون على بدنه لينتشله من  
 الماء حتى ينقذه من الغرق أو ينقله إلى مئواه الأخير ليدفنه، لا جنود ولا أروقة  
 ولا سلاح ولا قصور إلا يد الباري سبحانه لا حباً به ولكن ليجعله عبرة للآخرين

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يس:٩٢)، وليكون فرعون وما كان يمتلك عبرة ومثلاً لكل الناس ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ (الزخرف:٥٦)، وبدن فرعون لازال موجوداً في مقبرة الفراعنة (الأهرام) في المتحف المصري، ولكن ما أكثر العبر وأقلّ المعبر، والقليلون من المعبرين هم المؤمنون الذين يزدادون خشية من الله عندما يشاهدون مثل هذه الأحداث أو يسمعون مثل هذه القصص من خلال مطالعتهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ (النازعات:٢٦).

غرقوا وهم قد تركوا وراءهم تلك النعمة التي لم يشكروا منعها، ﴿كَمْ تَرَكَوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ • وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (الدخان:٢٥-٢٧)، ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ • وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء:٥٧-٥٨)، ولم يكن هذا الترك من الجنّات والعيون اختياراً منهم، بل إخراجاً وانتقاماً لما وقع منهم من العصيان لله ولرسوله ﴿قُلْ إِنَّمَا أَسْأَلُنَا أَنْتَقِنَّا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف:٥٥)، ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ (الزمل:١٦)، غرقوا ولم يتأسف ويحزن عليهم أحد لا في السماوات ولا في الأرض ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان:٢٩)، غرقوا وبغرقهم قد دخل عليهم أول يوم من أيام عذاب القبر والبرزخ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (سافر:٤٦)، يتبع عذاب القبر لا ذكر طيب ولا ترحم يخفف عذاب البرزخ عليهم، بل تلاحقهم لعنة اللاعنين عليهم أينما ذكروا ﴿وَأْتِبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَسِ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ (هود:٩٩)، ﴿وَأْتِبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمُقْبُوحِينَ﴾ (القصر:٤٢)، غرقوا حيث ينتظرهم يوم القيامة ليقود فرعون قومه إلى

الجحيم ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِزْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (هود: ٩٨)،  
 ذلك بما كان إماماً وقائداً للضلال وقد اتبعه قومه على علمٍ بضلاله ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً  
 يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (التصم: ٤١)، ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ  
 الْعَذَابِ﴾ (غانر: ٤٦)، غرقوا وقد خليت الأرض لبني إسرائيل ﴿وَأَوْزَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ  
 كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ  
 الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا  
 يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٧).

وورث بنو إسرائيل الأرض، فلننظر ماذا فعلت بنو إسرائيل بهذه الوراثة وبهذه  
 الأمانة وبهذه النعمة العظيمة التي مَنَّها الله عليهم؟ ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرْ  
 كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩).



س: ما هو سبب عدم قبول الله إسلام فرعون وإيمانه وهو في حالة الغرق  
 ولم ينجيه؟

ج:

ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وهو يجيب عن هذا السؤال أنه  
 قال عليه السلام: «لأنه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول،  
 وذلك حكم الله تعالى ذكره في السلف والخلف، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا  
 قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَعَهُمْ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا  
 بَأْسَنَا﴾، وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ

آمَنْتُ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبْتُ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا» (١).

وهكذا فرعون عندما أدركه الفرق، وهذه هي سنة الله في قبول توبة المذنبين، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (النساء: ١٨)، وقد مرَّ الحديث عن التوبة بصورة مفصلة فراجع تعرف.

س: بعد أن أنجى الله بني إسرائيل من فرعون، ما هي أول ظاهرة لهم قد ذكرها الله في كتابه؟

ج:

بعد أن غرق فرعون وقومه ووهب الله لبني إسرائيل حرّية الحركة والتفكير، سار موسى بقومه إلى الشام قاصداً الأرض المقدّسة التي أمر الله نبيّه أن يسري ببني إسرائيل إليها، وسار موسى بقومه حتى مرّوا على قرية وقد شاهدوا فيها أناساً وهم يلازمون أصناماً لهم يعبدونها من دون الله، أعجبهم هذا المنظر واستأنسوا به ورغبوا أن تكون طريقتهم لعبادة الله كطريقة أصحاب هذه القرية، واشتدّ بهم الطلب حتى عرضوا الطلب على موسى ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ (الأعراف: ١٣٨)، ورد في جواب للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: «...بلى ولكن ما جفّ أقدامكم من البحر حتى قلت: ﴿يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾» (٢).

(١) عيون الأخبار ١: ٧/٨٣.

(٢) القصص للجزائري: ٢٩٨.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد على سبب طلب بني إسرائيل أصناماً يتخذونها آلهة على الرغم من أنهم من الموحدين لله الذاكرين بما دعا إليه الأنبياء السابقين أمثال إسحاق ويعقوب ويوسف؟

ج:

أولاً: التأثير الحسي والمادي الذي يغلب على غيره في نفوسهم.  
ثانياً: معايشتهم السنين المتطاولة بين الوثنيين من الأقباط ممّا أثر في طريقة تفكيرهم.

ثالثاً: معايشتهم السنين الطويلة تحت سياط الاستعباد ولّد عندهم الضيق في التفكير واستحقار أنفسهم، فانتقلهم إلى الحرية والغيب المطلق حيث أصبحوا ورثة الأرض، هذا الانقلاب والتحوّل لو كان في غير مجال الإيمان بالله لخضع لمرحلة التغيير، ولكن كما ترى أنّ الله هو الذي ليس كمثل شيء فالدعوة إليه دعوة بما هو عليه من الذات والصفات ممّا لا تقبل المرحلة، فكان بنو إسرائيل يواجهون الصعوبة في هذا التحوّل في هضمه والبقاء عليه.

رابعاً: ابتعادهم عن كلمة الهداية وعناصر التبليغ بمنع وصولها إليهم من قبل فرعون قد أثر أثره بحيث لم يعرفوا عن عقيدتهم بالله إلا العصبية أمام الأقباط تدفعهم على البقاء والاستمرار عليها دون فهم لحقها وحقيقتها.

س: عندما طلب بنو إسرائيل من موسى بأن يجعل لهم أصناماً كآلهة، ما هو جواب موسى لهم وردّه عليهم؟

ج:

راعى موسى جهلهم وما هم عليه وما يعرفه منهم فأجابهم بجواب يراعى كلّ الظروف غير الطبيعية التي أحاطت بتفكيرهم ونفوسهم وسجيّتهم، وجواب موسى



هو: نسب إليهم الجهل الذي هو مصدر الآفات ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾  
(الأعراف: ١٣٨)، والجهل ناتج عن عدم التفاتهم إلى الأمور التالية:

١- أن طريقة اتخاذ الأصنام للعبادة طريقة ليس لها البقاء والاستمرار فهي في  
طريقها إلى الاضمحلال والهلاك، وأمّا عبادة الله المباشرة بما رسمها الله لعباده  
أن تكون فهي الباقية، والإنسان العاقل لا يلجأ إلى ما هو زائل وهالك ﴿إِنَّ  
هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفِيهِ﴾ (الأعراف: ١٣٩).

٢- أن طريقة اتخاذ الأصنام باطلة من الأصل حيث لا يحتاج الله إلى من يعينه على  
تدبير الأمر وخصوصاً مثل الأصنام التي لا تدفع ضرراً ولا تجلب خيراً، والعاقل  
لا يتخذ مثل الأصنام وسائط لله ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٩).

٣- أنكم وإن لم تشاهدوا الله، ولكن تحسّون به من خلال آثاره التي شاهدتموها من  
غرق فرعون وأورثكم الأرض وهو الذي فضلكم على العالمين، فأيهما أحق  
أن يعبد هذه الأصنام التي لم تترك أي أثر إيجابي لكم أم الله الذي فضلكم بهذه  
النعم على العالمين؟! ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى  
الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٠).

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ (البقرة: ٥١-٥٤)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات ؟



ج:

١- الوعد: التزام بخير متعلق بالزمان أو المكان أو هما.

٢- العجل: ولد البقرة. *مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي*

٣- العفو: القصد إلى إزالة الذنب والصرف عنه، أو هو التجافي عن الذنب.

٤- الفرقان: ما يفرق بين الحق والباطل.

٥- البارئ: ١- الفاصل. ٢- موجد الشيء من العدم.

س: اشرح محتمل ما تعرفه عن وعد الله موسى بالأربعين ليلة وما هي الأحداث التي مرّت بها من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

ج:

وعد الله موسى بنزول منهجه ورسالته وهي التوراة التي فيها تبيان لكل شيء يحتاجه بنو إسرائيل من أمور دينهم وهم في حركتهم إلى الشام ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ

الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿البقرة: ٥٢﴾ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٤٥)، ولم يختص هذا الكتاب باليهود بل يشمل اليهود ومرحلة من النصارى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤)، وكان الموعد من حيث المكان هو إلى جانب الطور الأيمن المعروف ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ (طه: ٨٠)، الذي كان يبعد مسير عدة ليالٍ من محط واستقرار بني إسرائيل، وكان الموعد من حيث طول المكث الزمني في الميقات مركباً من موعدين: الأوّل: كان قد واعده بثلاثين ليلة أن يبقى في الميقات وهذا هو الذي أخبر موسى قومه به ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: ١٤٢)، والثاني: كان مقداره عشرة ليالٍ وهو الوعد العرضي الذي جاء امتحاناً لقوم موسى، فكان مجموع الوعدين أربعين ليلة، ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَمَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: ١٤٢).

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ أنه قال: «كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة ثم بدا لله فزاد عشراً، فتمّ ميقات ربّه الأوّل والآخر أربعين ليلة»<sup>(١)</sup>.

وموسى قد أخبرهم بالثلاثين ليلة أولاً ثمّ بالعشرة ثانياً فكان مجموع المواعدين الذي عرفه الكلّ هو أربعين ليلة، والهدف من المكث في الميقات بهذا المجموع من الليالي هو تعريف الله موسى ملكوت السماوات واستلهاام العلم الخاصّ من الله ليتأهلّ لقيادة القوم وليكون أهلاً لأن يكون من أولي العزم وأحد سادة الخلق.

(١) القصص للجزائري: ٣١١.

أخبر موسى قومه بذلك الموعد ومكانه وزمانه والهدف منه، وهو استلام موسى الرسالة الإلهية، ولما كان الزمن الفعلي للموعد لم يقترب اثبرت عند شخص من أشخاص بني إسرائيل بضرورة رؤية الله جهرة، ثم تحولت الرغبة الشخصية إلى موقف جدي يمثل أكثر بني إسرائيل وضرورة يعتقدون بها، طلب قوم موسى منه أن يروا الله جهرة، ويروا بأمر أعينهم كيف يسلم الله موسى الرسالة حتى يصدقوا بها على أنها من عند الله، وكان الطلب شديد اللهجة ومن أكثر القوم بحيث لا يمكن رده بالدليل ولا بالكلمات، موقف يهدد القيادة السماوية بعدم التصديق بها وما تجيء به عندما لا تستجيب لطلبهم ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥)، ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (النساء: ١٥٣)، وموسى يعلم علم اليقين أن الله لا تدركه الأبصار ولكن ماذا يفعل أمام هذا الضغط والتهديد من الحشد الكبير، فهو إما أن يسكت حيث لا تنفع الكلمة وقد قرب نزول التوراة، وإذا جاء بها إليهم من دون استجابة لطلبهم فهم مصممون على عدم التصديق والإيمان به ورسالته أبداً ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾، وإما أن يستجيب لهم وهو يعلم أن الله لا تدركه الأبصار، إنه لموقف يهز وتنهار أمامه أكبر القادة التي لا تؤمن بالله ولم تجده ناصرأ لأوليائه.

هنا بدأ تفكير القائد موسى وكانت نتيجة تفكيره أن يستجيب لهم بطريقة هادئة تخلص الجميع من فوضى الاشكاليات وضياع فهم الحقيقة بين الجدليات ويحافظ من خلالها على وحدة الصف والكلمة، على الرغم من أن استجابته كانت مخالفة لقناعته و يقينه، وهذه إحدى الضرائب التي يتحملها القائد في بعض المواقف تاركاً معرفتهم الحقيقة والصواب للزمن، متكللاً على الله في أن ينصره ويستجيب له في حل مشكلته، فبدأ بتنفيذ الطريقة بشكلها المنظم ذلك عندما اختار موسى العناصر

التي تمثل النموذج الأعلى من كل جهة لرؤية الله، اختار موسى مجموعة لا يشك بوثاقته من قبل بني إسرائيل، ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمَّنْ أَحْبَبُوا﴾ (الأعراف: ١٥٥).

وهذا النوع من الاختيار يعطي درساً آخر لجميع القادة المؤمنين الذين يريدون أن يختاروا عناصر كمثليين عن آراء شعوبهم، يجب عليهم أن يختاروا العناصر التي تمثل النموذج الأعلى من حيث الإيمان والكفاءة وأنهم يكسبون الثقة العالية لدى شعوبهم، ولهذا لم تجد أي معارضة لما اختاره موسى من العناصر على الرغم مما يمتلكون من اللجاجة والعناد؛ لأن هذا النوع من الاختيار يقطع كل شك يصدر من المشككين وكل عنادٍ من المعاندين.

وعند قرب الرحيل رأى من الضرورة العقلية والشرعية أن يجعل خليفة على القوم في حالة غيابه، وأن هذا الخليفة لا بد أن يمثل السماء، وأكثر القوم فهماً لشرعة السماء، وأكثر القوم عملاً بمنهجية السماء، وأكثر قرباً لله، وأكثر كفاءة في تدبير أمر الخلافة، فكان الاختيار العادل أن عين موسى خليفته ووزيره وأخاه هارون على القوم، هكذا يجب أن تختار القادة من يخلفها أثناء غيابها، اختار موسى هارون وهو ينهيه ويحذره ويوصيه ببعض الأمور، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٢)، إنها وصية مختصة بهارون كخليفة لا كأخ له، وإنها وصية ناظرة إلى المصلحة النوعية للرعية وهي أن يبذل كل ما بوسعه في كل ما فيه الخير والصلاح لقومه، فهي لم تكن وصية لمال يريد موسى من هارون أن يحافظ عليه، ولا وصية هدفها السلطة لأن يحافظ هارون عليها، وإنما النظر كل النظر هو مصلحة القوم؛ لأن السلطة في الدين هي

وسيلة لذلك وليس غاية بنفسها. وهذا درس آخر للذين يجعلون السلطة هماً لمصالحهم الشخصية وهدفاً يحاولون الحفاظ عليه بكل الوسائل.

وينبئ موسى هارون على نقطة مهمة وهي: أنه صحيح أن بني إسرائيل من الموحدين وأنهم في حالة حركة جهادية عقائدية سائرون لهدف عظيم فيه عزهم وهو فتح بيت المقدس، لكن هذا لا يعني أنهم جميعاً متدينون، بل أريد أن تعرف حتى في هذه الحالة المصيرية العالية والهدف العظيم فإن فيهم الصالح وفيهم الفاسد كأبي مجتمع فلا تتبع آراءهم ولا مشترياتهم ولا طريقتهم في رسمهم للمسير.

وهذه الوصايا هي دروس وقوانين يجب أن يتبناها كل المتصددين لهذا الموقع

المهم والخطر في حياة الأمة، ولم تكن دروساً لهارون النبي المعصوم عن الزلل.

وعند قرب الموعد استلم هارون القيادة الثابتة وذهب موسى مع السبعين رجلاً إلى الميقات وهم يجدون السير إليه ليلاً وأياماً، وعلى مسافة بعيدة من الميقات ترك موسى الرجال ليلحقوا به بعد أن عرفهم مكان الميقات وعرفوه بالدقة، ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾، انطلق موسى منفرداً أمامهم مسرعاً إلى الميقات ليصل على رأس مواعده الذي لو بقي يسير معهم لتخلف عنه، ووصل موسى قبل القوم إلى الميقات، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ (الأعراف: ١٤٣)، دخل موسى بكل خشوع وتذلل في ذلك المكان بين ظلمات الطور ونور اللقاء، بين الجدران الضيقة للكهف وبين سعة الفكر الذي سيحصل عليه موسى وهو يخترق جدار الزمن البعيد ويمتد إلى عدة أجيال، وبدأ الحديث بين الخليين، ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، لعدة ليالي والله يرفد بما ينمي ويقوي شخصية موسى في جميع جوانبها نحو الكمال والإتمام حتى يكون من أولي العزم من الرسل وليملك

الاستعداد الكامل لاستيعاب هذه الحركة بكل نجاح وهو يقود بني إسرائيل، وموسى القائد لا ينسى طلب القوم ولم يتغافل عنه وليس من شأنه ذلك.

ولكن كيف يطرح طلب القوم على الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، هل يطرح على لسانهم بأن يقول القوم طلبوا؟ لا يمكنه ذلك لأنه قائدهم ورأيهم رأيه، هل يطرح طلب الرؤيا ليمثل فيه عن نفسه؟ فهنا سيكون الطلب كاذباً لأنه يعلم أن الله لا تدركه الأبصار فهو ليس طلباً للفهم من قبله، لم يكن هيناً على موسى أن يطلب من الله هذا النوع من الطلب الذي ترى فيه الحرج الكبير على موسى، ففي كثير من الأحيان عند قيادة المسيرة تحدث فجوات كثيرة وخصوصاً بين القيادة والمقودين، وعلى القائد أن يسد تلك الفجوات والشغرات بأسلوب يتناسب مع الحدث وبأقل عدد من الخسارة، فكّر موسى في علاج هذا الموقف بأن يجعل نوعاً من التوافق بين وجهة نظره الصحيحة ووجهة نظر القاعدة الخاطئة من أجل الحفاظ على ما يراه الأهم، فكّر موسى بأن يجعل حالة التوافق بين طلبه وطلب قومه المتحد في الصيغة اللفظية المختلف في جوهر الطلب - وسيأتي إن شاء الله في قصة عيسى الذي أتلى بموقف مشابه إلى هذا الموقف عندما طلب الحواريون من عيسى ﷺ مائدة من السماء - أمّا طلب القوم فمعروف فهو الرؤيا الحسيّة الجهرية لله، وأمّا طلب موسى فهو الرؤيا والتجليّ القلبي التي هي فوق العلم والإذعان القلبي بالشيء التي لم يصل إلى معرفتها موسى فعلاً، فقدّم الطلب إلى الله المتحد في الصيغة اللفظية الجامع بين طلبه وطلب القوم وصار الطلب صادقاً عندما جعل الطلب طلبه؛ لأنه كان يطلب الرؤية القلبية والتجليّ القلبي، فاستجمع موسى كلّ ذلك حتّى مدّ يديه إلى السماء بكلّ صدق وإخلاص الذي

يصعب صدوره وتحققه من غير المعصوم ، ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف: ١٤٣) ، والله العالم بخفايا الأشياء وما يحيط بموسى استجاب الله لطلبه بحيث كان جواب الله جواباً توافقياً يجيب من خلاله على طلب موسى وعلى طلب قومه المختلفين ﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾ (الأعراف: ١٤٣) ، لا بالرؤيا البصرية ولا القلبية ولا في الدنيا ولا في الآخرة ، وإذا أردت بيان السبب في عدم إمكان الرؤية ﴿ وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ (الأعراف: ١٤٣) .

خرج موسى على رجاله وأخبرهم باستجابة الله لطلب رؤيتهم إليه من خلال أن ينظروا إليه من خلال نظرهم إلى الجبل ، وموسى ﷺ معهم داخل في نفس الأمر يدعو الله بأن يريه نفسه ، وهم ينتظرون الرؤية واللقاء مع الله ونظر الجميع إلى الجبل ينتظرون خروج الله منه ، وما هي إلا لحظات ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ (الأعراف: ١٤٣) ، وأول سوء ينصيب القوم قد وقع بموسى ﴿ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ (الأعراف: ١٤٣) ، الذي يدل على أن موسى كان يتقدم القوم ، فهو لم يصدر الأوامر من خلال استقراره بالكهف ليكون موقفه موقف المتفرج وإنما تقدمهم وهو مستعد لتحمل كل ما يصدر من مكروه ، وهنا تظهر قيمة القيادة وإخلاصها وهي تتقدم القوم في السراء والضراء ، ولم يشاهد الجميع إلا ومضة نور قد أخذتهم ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥) ، ولم يحسوا إلا برجفة أجسامهم من الصاعقة التي زلزلت الأرض من تحت أرجلهم ودكت الجبال من فوق رؤوسهم ، ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ (الأعراف: ١٥٥) ، ليعرفوا بكل يقين أن الله لا يمكن رؤيته لعدم رؤية القليل من نوره ، لقد ماتوا جميعاً وسكن منهم كل شيء .

وأما جواب القوم من هذه العملية فهو واضح حيث نور قليل من أنوار ذاته أدى



إلى موتهم وإلى انهيار الجبل العظيم سريعاً فكيف برؤيته؟! وأما جواب موسى فهو  
إمكان تجلي الله لكن تجليه يؤدي إلى الموت وصعقة النفوس وآفاق الطبيعة لعدم  
تحملها ذلك لقابليتها المحدودة.

ورد عن الرسول محمد ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل يا موسى إنه لا يراني حي  
إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق، وإنما يراني أهل الجنة الذين لا  
تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم»<sup>(١)</sup>.

ورد عن الرسول ﷺ عندما قرأ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾، أنه قال ﷺ:  
«هكذا» وأشار بإصبعه، ووضع طرف إبهامه على أنملة الخنصر<sup>(٢)</sup>.

وأول من أعاد الله له الشعور بعد الإغماء هو موسى ﷺ الذي لم يكن قد ارتكب  
شيئاً لم يرض الله، وكان مؤمناً منذ اللحظات الأولى أنه لا يمكن رؤية الله بالبصر،  
﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، عندما  
نهض موسى من إغمائه شاهد الرجال وهم صرعى أموات لا حراك فيهم، فهم لم  
يغم عليهم مثله بل أموات بالموت الحقيقي ، فهنا فكر موسى إذا بقوا أمواتاً سوف  
يخسر شيئين: هدف مجيئهم وهو الإدلاء بشهادتهم بعدم إمكان الرؤية، وبالتالي  
عدم إيمان القوم برسالته إن لم يتهموه بقتله إياهم، والشيء الآخر أنهم أقرب الناس  
إليه من حيث إيمانهم وفهمهم الرسالي ومعونتهم إليه بقيادتهم لمجاميع بني إسرائيل  
في حركته الرسالية، وبهذا سيكون بموتهم هذا ضحية طلب السفهاء، إنه إذا كان  
التجلي إلى الجبل درساً فقد فهمه موسى، وأنه لم يكن بعقوبة؛ لأنه لو كان عقوبة

(١) كنز العمال ١٤: ٣٩٢١٤/٤٤٩.

(٢) الدر المنثور ٣: ١١٩.

لكان السفهاء الذين سببوا هذا الموقف لهم أولى به منّا.

وفي جميع الأحوال لا بدّ من رفع موسى يديه إلى السماء ليطلب رحمته وغفرانه في استرجاع الحالة الطبيعيّة لهم ليصل إلى هدفه الذي جاء بهم لأجله، ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ • وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٥٥-١٥٦)، وقد استجاب الله لدعوة موسى بإحيائهم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٦).

ولكن بقي شيء يجب أن يفهمه قومك والآخرين من العالمين، وهو أنّه صحيح أنّ رحمتي وسعت كلّ شيء وإني خير الغافرين وإني أرحم الراحمين، ولكن في نفس الوقت إني شديد العقاب والعذاب في الدنيا والآخرة، فليس من الحكمة والعدل أن تكون سيرتي وتعاملتي على وتيرة واحدة لمختلف ما يصدر من الفرد أو الجماعة صالحاً أو طالحاً، وليس من الحكمة والعدل أن أصبّ رحمتي للناجح وللفاشل عند الفتنة والامتحان على حدّ سواء، فليس من العامل التربوي للناس أن يفهموا الله من وجه واحد، بل في بعض المواقف يكون العذاب هو السابق لرحمته، والتشخيص متروك لحكمة الله سبحانه وتعالى وعدله ورحمته، ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

واختار الله ممّا أحبّه من دعاء موسى (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) وجعله أهمّ الدعاء الذي يدعو به المؤمنون في عامّة صلاتهم

وقيامهم وجعله أمّ الدعاء في مناسك الحجّ الذي يلهج به حجاج بيت الله في كلّ منسك يؤدّون به أعمالهم، ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ • أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (البقرة: ٢٠٠-٢٠٢).

ورجع موسى يكمل ما بقي من الأربعين ليلة في الميقات بين الصلاة والصوم والمناجاة والتكلم مع الله وهو ينتظر نزول الرسالة، وحتى نزلت التوراة وهي مدوّنة على الألواح الخشبية، ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ • وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٤-١٤٥).

انتهت المهمة التي جاء من أجلها موسى من قناعة الشهود قناعة تامّة واستلام رسالة التوراة، هنا أراد الله أن يرجع موسى إلى قومه بسرعة لحلّ مشكلة عظيمة خطرة قد أصيب بها قوم موسى لم يعلم موسى بها وهي فتنة السامري، فأمر الله موسى بالذهاب سريعاً من خلال الالتفات إلى مجيئه بسرعة وهو يقدم قومه فسأله الله ﴿وَمَا أَغْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٨٣)، عندما سمع موسى السؤال المتعلق بالعجلة ظنّ حصول التقصير في تقدّمه على قومه وهو في طريقه إلى الميقات، ولكنّ التقصير في العجلة إن كان حادثاً فعلاً فهو إمّا أن يكون قد حصل بقدم القوم إلى الميقات ولكن قد عرّف موسى الرجال المكان وقد وصلوا على موعدهم، وقد أقاموا هذه المدّة بالقرب من الطور وحصل ما حصل لهم من الصعق والبعث

ولا أحد قد اشتكى شيئاً من قبيل التخلف أو التأخير وغير ذلك من هذا القبيل، وإما قد حدث التقصير في الدافع الداخلي لموسى في السبق إلى الميقات من قبله ولكن رأى أن نية خالصة وهدفه خالص كذلك في العجلة وهو الوصول على رأس الموعد الذي يريده الله منه، فأجاب موسى وهو على وجل من حدوث تقصير من هاتين الناحيتين أو في غيرها وهو لا يعلم بها وإن لم يَرَ هو التقصير فيهما ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه: ٨٥)، من هاتين الناحيتين لا تقصير يا موسى، ولكن هناك هدفاً آخر أريد أن أقوله لك وهو أريد ذهابك إلى القوم والرجوع إليهم بنفس السرعة وب نفس الصورة التي أتيت بها إلى الميقات بترك الرجال يرجعون بعدك لتعجل الوصول إلى قومك فقد حدث أمر خطير عليهم ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه: ٨٥).

س: اذكر المحتمل في كيفية اتخاذ العجل من قبل قوم موسى والأحداث التي مرّوا بها من خلال قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

ج:

السامري من قوم موسى المتميّز بما لم يصل إليه القوم بذكائه وعلمه الصناعي ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ (طه: ٩٦)، مرّت الليالي والأيام ولم يكن على القوم من الأشراف والنقباء إلا هارون، دخل الشيطان بفكرة إلى السامري فسوّلت له نفسه أن يصنع لهؤلاء القوم صنماً له صوت ما بحيث يخدع الآخرين في أنه كالمعجزة فيعبدونه من دون الله، واستغلّ السامري جهل القوم وبدأ بنشر الفكرة بين القوم، فلقى لها رواجاً وقبولاً بينهم، شرع السامري بعمله من خلال جمع الحلّي والقوم

يقدمون له ما يريد من الحلبي سواء كان ذهباً أو فضة أو غير ذلك من معدن الحلبي، يقدمونه بكل حماس وتأييد لفكرته وما يدعو إليه، أضرم القوم النار الشديدة لصهر معدن الحلبي، هذا هو العلم عندما يكون بأيد غير أمينة عليه، فهو بدلاً من أن يكون سبباً لتطور الأمة ورفع مستواها الثقافي بإمكانه أن يحول الأمة ويصل بها إلى أدنى مستويات الجهل والانحطاط، وبدلاً من أن يكون سبباً لوحدة الصف وحل مشاكل الأمة يكون سبباً في فرقتها وتشيتها، عارضت القيادة النائية من قبل النبي هارون هذا التوجه والعمل غير العقلي والشرعي معارضة شديدة وذكرهم بالله المؤمنين به، وهذا الإيمان يستدعي طاعة نبيه هارون والالتزام بأوامره لا طاعة السامري صاحب هذه الفتنة ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه: ٩٠)، في البداية كان جواب القوم هادئاً بأن عملية اتخاذ هذا الصنم لم يكن بصورة دائمة وإنما ينتهي بمجيء موسى ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ (طه: ٩١)، وقد تشتم في ردهم هذا بوجود المكر لاعتقادهم وظنهم بتأخير موسى عن مواعده وعدم رجوعه لإشاعة مسبقة قد تأثروا بها، وتصاعد الموقف بين هارون وقومه وزادت حدة التوتر بينهما حتى هدّد القوم هارون بالقتل ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَكْفُلُونَنِي﴾ (الأعراف: ١٥٠)، فإن النظرة والفكرة قد بدأت بشخص اسمه السامري وصار موقفاً يتبعه قوم كثيرون، حتى وصل بهم الأمر من التمرد على الله وعلى نبيه هارون أن احتاجوا في عملهم زيادة من المعدن لإكمال صنمهم العجل، دخل القوم بأمر السامري إلى مقرّ المخزن الداخلي المختصّ بموسى وكان فيه كل ما يتعلق به وبحركته من الأسرار، فأخذوا منه الحلبي التي كان يذخرها موسى الرسول لتمويل قومه وحركته الرسالية عند

الحاجة، وأخذوا منه بعض ما يختص به من الأسرار التي تركها موسى والتي يعتبر أخذها تجرأً كبيراً وربما خسارة كبيرة لهم بالإضافة إلى نفس دخولهم هذا غير المأذون به ﴿فَقَبِضْتُ قَبِضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ (طه: ٩٦)، وأراد السامري من تلك القبضة القليلة من أثر الرسول ليكمل السامري تمام التمويه على بني إسرائيل، وهو مشاركة موسى ورضاه بفعله من خلال مشاركة أثره من المعين الذي يمتلكه والذي عرضه السامري على مرأى من الناس ليجلب عدداً أكثر من المقتنعين بفكرته.

وبعد أن قذف كل ما يحتاجه السامري من المعين في النار، وانصهر المعين وما فيه من غير المعدن انصهاراً تاماً، تجهزت المادة للصنع، وتعاون المؤيدون مع السامري حتى تم صناعة العجل، وسمع الكل صوت خوار العجل من خلال عملية علمية قد استفاد السامري من دخول الهواء من خلال الثقوب الداخلية الفنية لجسد العجل ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى قَنَسِي﴾ (طه: ٨٨)، فهو لم يكن إلها بل هو إله موسى كذلك؛ لما رأيتم من مشاركته لنا في معدنه الذي رأيتموه.

اتخذ قوم السامري العجل المصنوع بأيديهم إلهاً ولم يلتفتوا إلى أبسط الأمور وأقواها وأظهرها دلالة على بطلان عملهم وطريقتهم العبادية التي اختاروها لأنفسهم، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (طه: ٨٩)، صحيح أن البادئ بالفكرة هو واحد وأن الصانع للعجل هو السامري فقط إلا أنهم عندما دعوا تحركه واشتركوا في عملية جمع الحلي وصنع العجل معه ودعوا إلى ما دعا إليه واتبعوه في كل ما دعا إليه أصبحوا كلهم سامريين بذلك، ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمٌ

مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿الأعراف: ١٤٨﴾، فالكل أصبح ظالماً والكل أصبح سامرياً، ولو نظرنا إلى الصنم وهو يحمل صورتين فنيّتين رائعتين: الأولى من الناحية الفنيّة: أنّه يشبه حيوان العجل بالدقّة من حيث مظهره الخارجي، والثانية الناحية العلميّة الدقيقة التي أخرج السامري منه خواراً وهو صوت العجل لا مطلق الصوت.

انقسم القوم إلى ثلاثة أقسام اتّجاه هذا العمل ما بين رافض له وساكت عليه وعابد إليه، وبقيت هذه الحالة من الانقسام والاضطراب العقائدي حتّى رجع موسى وهو مسرع غضبان حزينا ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ (الأعراف: ١٥٠)، شاهد حالة القوم كما أخبره الله، تأسّف أسفاً شديداً وغضب غضباً شديداً فإنّه وإن كان مخبراً من قبل الله إلا أنّ المشاهدة بالعين لها أثرها الأكبر ومشاعرها الخاصّة بها.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا أَخْبَرَ مُوسَى أَنَّ قَوْمَهُ اتَّخَذُوا عِجْلًا لَهُ خُورٌ فَلَمْ يَقْعِ مِنْهُ مَوْقِعَ الْعِيَانِ فَلَمَّا رَأَاهُمْ اشْتَدَّ غَضَبُهُ فَالَقَى الْأَلْوَابَ مِنْ يَدَيْهِ»، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «وَلِلرُّؤْيَا فَضْلٌ عَلَى الْخَبَرِ»<sup>(١)</sup>.

دخل موسى وهو في هذه الحالة على أخيه هارون ألقى موسى الألواح من يده جانباً ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ﴾ (الأعراف: ١٥٠)، حيث لا فائدة للقوم فيها بعد أن تحطّم في قلوبهم أهمّ ركن وأصل من أصول الدين وهو التوحيد، وأخذ بلحية أخيه ورأسه يجرّه إليه جرّاً شديداً ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ (الأعراف: ١٥٠)، وموسى يصرخ

بوجهه بلهجة السؤال الشديدة ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٥١﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (طه: ٩٢-٩٣)، فأجابه هارون بكل احترام واستعطف واسترحام ﴿أَبْنِ أُمَّ﴾.

وبيان أسباب سكوته منها: أنني عارضت ولم يكن معي ممن عارض وصار لي نصيراً إلا القليل ممّا جعل موقعي ضعيفاً أمام أعينهم حتى وصل الأمر لو كنت مصرّاً أكثر من ذلك لأدّى ذلك إلى قتلي فرأيت السكوت أولى ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي﴾ (الأعراف: ١٥٠)، وكان بالإمكان أن أشكل مجموعة من المؤيدين وأعتزل بهم فرأيت أن مثل هذا العمل لا ينتج إلا فرقة وتمزيقاً لوحدة الصف، وبهذا سوف أحصل على اللوم منك؛ لأنك أوصيتني أن أصلح وليس في الفرقة صلاح ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه: ٩٤)، ثم قال هارون لموسى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٠)، أن يتهموني بالضعف أو بمخالفة أوامرك، أو أن أكون سبباً في حصول اختلاف بيني وبينك على ما يفهمه العامة من الناس، وكلّ هذا وغيره يؤدّي إلى شماتة الأعداء بنا، وعلى ما قدّمت من المبررات فأنا بريء من كلّ ما حصل فلا تحسبني أنني قد خالفتك فأكن بذلك من الظالمين ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٠).

عندما سمع موسى هذه المبررات من أخيه النبي الصادق تركه بعدما كان مقتنعاً بها تماماً، بدأ يبرّئ ساحه أخيه أمام كلّ من يشكل على قيادة أخيه وكفائه من خلال الدعاء له ولنفسه على ما صدر منه من التوبيخ لأخيه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٥١)، ولمّا سكت عن



موسى الغضب من أخيه تناول الألواح التي رماها ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٤)، ذهب موسى متجهاً إلى قومه وهو في حالته التي لازالت غاضبة عليهم وعلى فعلهم الذي كاد أن يطيح بكل الجهود التي بُذلت بالفشل مخاطباً إياهم: إنكم بعملكم هذا ليس له دافع إلا أحد احتمالات ثلاث، أمّا الأول تريدون أن تسبقوا التوراة في رسم منهجية طريقة العبادة ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ (الأعراف: ١٥٠)، وأمّا الثاني أن يكون قد طالت الفترة الزمنية عليكم بذهابي إلى الميقات فصار موضع شك لكم ألجأكم إلى مثل هذا العمل الشنيع ولكن هذا الاحتمال باطل حيث أخبرتكم بالموعد وعدد لياليه والهدف منه الذي كالأجل لكم وهو نزول الرسالة وهاهي ألواح الرسالة وقد ذهبت ورجعت ولم يحصل أي اختلاف في الموعد، وأمّا الثالث أنكم قد اخترتم غضب الله وغضبي عليكم من خلال عملكم هذا ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي﴾ (طه: ٨٦)، فأجابه القوم بالتصديق على الاحتمال الثاني وهو أننا لم نر تخلفاً في الموعد من قبلك ولكن نحن الذين أخلفنا موعدك ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ (طه: ٨٧)، من أجل وجود هذه الآية قلنا سابقاً إن موسى قد يكون أخبرهم بجميع الأربعين ليلة وهي مجموع المواعدين.

وعندما شاهد القوم الجديدة والصرامة من موسى من خلال غضبه على أخيه وعليهم بدؤوا يبررون مخالفتهم ويبعدون التهمة عن أنفسهم بقذف اللوم على السامري بأنهم كانوا لا يملكون من الأمر شيئاً، وإنما هو السامري الذي جمع ما عندنا من الحلبي ونحن قدّمناه إليه، وإنما قدّمنا الحلبي إليه لا لأجل أن يصنع لنا

صنماً وإنما كانت هذه الكميّة من الحلبي أوزاراً وتقلّاً علينا ونحن في حالة حركة وسفر، واستغلّ السامري هذه الكميّة من الحلبي وصنع ما صنع ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (طه: ٨٧)، وكان تبريراً كاذباً وضعيفاً، أمّا أنّه كاذب لكونهم قد اشتركوا معه مشاركة فعّالة حتى كادوا أن يقتلوا النبي هارون، وأمّا أنّه ضعيف فقد ألقوا اللوم على السامري وهم يرون أنّ هذا إله جماد من صنع أيديهم وقد عبدوه ﴿أَمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٨)، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (طه: ٨٩).

والسامري هو الآخر جُلِبَ وأوقفه موسى أمام القوم جميعاً ليعترف بخطئه العظيم الذي اقترفه من استغلال مهارته الفنيّة والعلميّة في الإضلال والاعتداء على أثر الرسول من دون إذن منه وبكلّ ما سوّلت له نفسه في ذلك، ﴿قَالَ فَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ قال بصُرتُ بما لم يَبصُرُوا بِهِ فَبَصُرْتُ بِذُنُوبِ مَنْ أَرَى الرَّسُولَ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طه: ٩٥-٩٦)، هنا اعترف بأنّ الذي أخذه من الرسول لم يكن من تقديم هارون إليه، بل كان سرقة واعتداءً من قبله.

وبعد أن سمع الجميع اعترافاته أصدر موسى الحكم عليه بعد إقراره الكامل الذي صدر منه على ما اقترفه من الجرائم، واستلم السامري الحكم الفوري من الحاكم والنبي والرسول موسى بالنفي والعيش المنفرد والتضييق عليه بحيث لا يقرب منه أحد وأن يتولّى بنفسه طرد من يحاول أن يمسه ﴿قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلِقَهُ﴾ (طه: ٩٧)، ولم تذهب يا سامري إلا بعدما تشاهد إلهك الذي دعوت إليه كيف يرجع إلى حالته الطبيعيّة بمعدنه الأولي

عن طريق ذوبانه بالنار، وكيف تنسفه ونجعله رذاذاً على ماء البحر ليعلم الجميع بطلان ما كنت تدعو إلى عبادته ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه: ٩٧).

وبعد أن انتهت عملية النسف التفت موسى إلى قومه وهو يعرفهم الله ليعتق إيمانهم به ويعتق في نفوس البعض ما اترفوه من الجريمة والذنب العظيم ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (طه: ٩٨)، حس القوم الذين اغتروا بما صنعوا حجم الخطورة والذنب العظيم الذي اترفوه من غضب الله ورسوله، واعتراف السامري وما حلَّ به، وبما سمعوه من مواعظ موسى، سقطت من أيديهم كل الحجج والأعذار ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ (الأعراف: ١٤٩)، فلم يبق لهم طريق إلا اللجوء إلى الله بالندم والتوبة ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٩).

مركز بحوث كالمبيوتر علوم إسلامي

س: كيف نجح السامري في أن يجعل أكثر بني إسرائيل يتبعون نظريته الواضحة في الجهل والانحراف؟

ج:

أولاً: أن السامري عالم من العلماء، لا يخلو من الأمراض النفسية كالحسد والاستكبار والتي دفعته لأن يتجه بعلمه إلى الاتجاه المنحرف.

ثانياً: أن السامري استقرأ الحالة القلبية والنفسية المترهلة للمجتمع ورآها تمتلك الأرضية لقبول نظريته من الجهل وغلبة إحساسهم المادي في الأمر العقائدي.

ثالثاً: لم يطرح نظريته إلا من بعدما رأى لها قبولاً من قبل البعض عندما طرحها

عليهم فكانت بداية ناجحة بالنسبة إليه.

رابعاً: دعم نظريته بطرح البديل الحسي الذي خدع من خلاله الكثيرين، وهو صناعة العجل الذي لم يتمكن على صنعه أحد من بني إسرائيل.

خامساً: لم يعلن بعمله هذا إلا من بعدما غطاه بلباس الشرعية، ذلك عندما قبض قبضة من أثر الرسول ونبذها مع ما نبذه الكل من المعدين ليقول للناس: إن هذه الدعوة والعمل هي دعوة الرسول لا بدعة مني، ولهذا نسبه إليه عندما قالوا: هذا إلهكم وإله موسى، وما أخطر سلاح الشرع عندما يستعمل في الاتجاه المعاكس بأن يستعمل سيفاً ضد المؤمنين به لا حامياً لهم، ويسقط العلماء العاملين والدعاة إلى الله بدلاً من أن يكون رافعاً لهم، ويفرق الأمة ويجعلها شيعاً وجماعات إحداهما تحارب الأخرى بدلاً من أن يجمع الصف ويجعل الأمة أمة واحدة.

سادساً: كان هو المتحرك الفعّال في هذه العملية ولم يقف عند حد صدور الأوامر فقط، فهو الذي دخل على المخزن الرئيسي للرسول وقبض قبضة منه.

سابعاً: أعدّ القوة لكلّ الاحتمالات حتى تفرد بالساحة وكان له الاستعداد أن يقتل هارون ومن معه لولا حكمة هارون التي جسدها في موقفه الهادي الذي سكن جميع الهيجان الذي يصدر من الطرفين المؤيد وغيره.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد على فعل موسى وهو غضبان بجري رأس أخيه وأخذ لحيته؟

ج:

أن موسى من أولي العزم وكان رسولاً نبياً له ثقة بأخيه ثقة عالية ويقدّسه كنيي لله معصوم عن الزلل، وأن موسى مخبر من قبل الله أن السامري هو سبب الفتنة،

وجاء لأخيه وفعل به هذه الفعلة لبيان الأمور التالية:

١- ليعرف الجميع أن القيادة ليست عملية تشریف وإنما هي مسؤولية يتحمل القائد من خلالها كل التبعات، وأن سهام الاتهام أول ما تصب على رأس القائد الموجّه لا على القاعدة الموجّهة، وهذا هو الأمر الطبيعي الذي يفهمه الإنسان من خارج دائرة أيّ تحرّك لأيّ مجموعة كانت، وموسى قد سار على هذا النهج الطبيعي.

٢- أن فعل موسى بأخيه كان لبيان عدم تساهله في مثل هذا الأمر العقائدي حتى لو كان القائد هو أخاه من أمّه وأبيه، فكيف لمن سوّلت له نفسه ذلك ممّن هو أقلّ من أخيه مركزاً وشخصيّة وقرباً؟.

٣- أن موسى يعلم بعدم تقصير أخيه مسبقاً في هذا الأمر لشقته بقيادته النبويّة المعصومة، ولكن أراد أن يكشف موقف هارون البطولي البريء أمام كلّ سائل عن موقفه في تلك اللحظات التمردية لبني إسرائيل.

٤- أن فعل موسى بهارون لبيان قمّة الغضب ليعكس عظمة الشرك عند الله الذي استسهله الآخرون من بني إسرائيل.

٥- أن فعل موسى بهارون ليعرف الجميع أن المحاسبة يجب أن تكون فعلية وتجري في محكمة العدل لا أنها تقف عند وسائل الإعلام فقط.

٦- أن استعطاف هارون لموسى وسرد مبرراته لعلمه بعظمة الجريمة وخطورتها، وأن وحدانيّة الله وعدم الشرك به هي أساس العقيدة، وأن أيّ تساهل في عقيدة التوحيد ولو على مستوى الكلمة الواحدة يعدّ تخلفاً عن حكم شرعي مولوي وخصوصاً إذا لاحظنا مهمّة الأنبياء في مسألة عقيدة التوحيد بصورة عامّة وطريقة توبة الله على القوم بصورة خاصّة.

س: ما هي صورة الأمر الإلهي لقبول توبة الله على بني إسرائيل من عبادتهم العجل؟ وضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؟

ج:

عندما حصل الندم الخالص من بني إسرائيل وتضرعوا إلى الله لاستجلاب رحمته وعطفه عليهم ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٩)، رأى الله منهم صدق العزم والطلب، أمر الله موسى بأن يخبرهم بنزول العقوبة عليهم وفيها توبتهم ورضا الله عنهم، هنا سمع موسى من ربه عظمة العقوبة وشرط قبول التوبة ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾. إنه لامتحان صعب وأمر يحتاج إلى هضمه نوعاً من التمهيد الفكري والنفسي لهم كما يحتاجه أي إنسان عندما يمرّ بمثل هكذا امتحان صعب للغاية، أن يقتل الإنسان نفسه أو أباه أو أمه أو أخاه أو ابنه أو أخته أو صديقه وغيرهم ممّا يرتبط بهم نسيباً أو سببياً.

بدأ موسى بصياغة الأمر صياغة جميلة حول من خلالها الصورة البشعة للقتل بهذه الصورة إلى عنصر حبّ وأمل، ذكّرهم بأن الظلم كان من سببكم واختياركم، وكان شرط التوبة أن تقتلوا أنفسكم ولا تعتبروا هذه حالة كراهية من الله لكم، بل هي حالة محبة منه سبحانه؛ لأنه هو الذي خلقكم وفصلكم من العدم، فهو بارئكم، ولو لم يحببكم لما خلقكم، وهو سبحانه قد اختار لكم القتل لما فيه خير لكم؛ لأنه بارئكم والرحيم بكم، فالمحبوب هو الذي أمركم بقتل أنفسكم لجلب الخير لكم

لأنه فيه طاعة لله، وقبول توبتكم، وتطهير لكم، ودخولكم جنّاته، وتوبوا توبة نصوحة بحيث لا يخالطها شيء من الرياء؛ لأنه بارئكم فهو مطلع عليكم.

س: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لماذا توجه الحكم إلى قتل النفس؟  
اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

لأنّ الحكم على النفس جاء مطابقاً لما اقترفوه، وذلك لملاحظتين:  
الأولى: ﴿ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ لأنّ الظلم صدر من أنفسهم وإرادتهم على أنفسهم، فإنّ كلّ معصية تصدر من الإنسان فهي ظلم للنفس؛ لأنّ اعتراف المعصية هو سير للنفس والروح الطاهرة على خلاف طبيعتها ورضاها، وظلم النفس يتناسب طردياً مع نوع المعصية حيث كلّما كانت المعصية أكبر كان ظلماً للنفس أكثر، ولمّا كان الشرك أعظم المعاصي حيث يؤدي إلى أعلى مراحل ظلم النفس وهو قتلها؛ لأنّ إنسانيّة الإنسان تعرف من خلال عقله وروحه وقلبه، فإذا وضع الإنسان كلّ هذه القنوات في غير موضعها الحقيقي وفي غير عملها كلياً معناه أنّه قد جعل وجودها وعدمها في داخله على حدّ سواء، وهو معنى انسلاخ الإنسان عن إنسانيّته، وهو معنى أنّه قد قتل نفسه وإنسانيّته، فجاء الحكم خارجاً بما يناسب ويطابق ما اقترفوه من الجريمة، فهم بالشرك وعبادة العجل قد قتلوا إنسانية شخصيتهم وبقوا أبداناً من دون عقول، فهم الذين قتلوا أنفسهم قبل نزول الحكم بقتل أنفسهم.

الثانية: أنّ كلّ تقرب لله فهو علوٌّ للإنسان وتكامل ورفعة، والعكس صحيح، بمعنى أنّ بني إسرائيل بعبادتهم للعجل قد وصلوا إلى نقطة النهاية في سحق فكرهم وإنسانيّتهم عندما حولوها لأن تكون عبداً للعجل مع وجود مصدر الهداية والإرشاد

وهم الأنبياء مثل هارون وموسى، وهذا يعني أنهم هم حكموا على أنفسهم بالإعدام.

س: إذا كانوا هم قد ظلموا أنفسهم بوصولها إلى مرحلة القتل فلماذا حكم الله عليها بقتلها ثانية ألم يعد ذلك ظلماً على ظلم؟

ج:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي أن إجراء الحدود الشرعية في الدنيا فيها حياة تعود على نفس العاصي وعلى غيره من المجتمع، أمّا التي ترجع إليه وهو محلّ البحث تلك الحدود التي تكون رادعة إليه بمعنى موجهة لعقله ولروحه ولمشاعره إلى الله وطاعته وفي ذلك معنى الحياة، وهذا لم يجر في الحدود فقط، بل إن قهر النفس ومنعها وعقوبتها في كثير من الأحيان يكون سبباً في إحياء كثير من ملكات الإنسان ومكنوناته كما هو في الصوم والصبر *بومرسي*

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «موتوا قبل أن تموتوا»<sup>(١)</sup>.

إذا عرفنا هذه المقدمة نعرف أن الحكم الشرعي بقتل النفس الذي نزل عليهم ليس ظلماً وإنما هو حياة لهم؛ لأنّ الحكم الشرعي إمّا أنه كان حكماً إنشائياً إمتحائياً فكان دوره دور الصعقة لأدمغتهم التي قد أرجعتهم إلى طاعة الله، وحرّكت عقولهم نحو التفكير بالله، وتقلت عبادتهم من العجل إلى الله وهو منتهى الحياة في الدنيا، وإما أن يكون الحكم الشرعي فعلياً فإنّ تنفيذهم للحكم الشرعي فيه طاعة لله، وقبول توبتهم بمعنى أن الصبر على تنفيذ الحكم في هذه اللحظات سوف تنقلهم

(١) بحار الأنوار ٦٩: ١/٥٩.



إلى رضا الله ونعيم الآخرة الخالد، وهو منتهى حياة الآخرة، فالظلم ليس له وجود لا في نفس الحكم ولا في الدنيا ولا في الآخرة.

س: ما هي الاحتمالات في كيفية تنفيذ موسى حكم القتل؟

ج:

١- أن موسى جمع الذين عبدوا العجل والذين سكتوا على ظلم السامري في مكان واحد وأخذ كل واحد بيده سلاح ثم بدأ أحدهما يطعن الآخر، ورد عن علي أنه قال: «قالوا لموسى ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضاً، فأخذوا السكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه، والله لا يبالي من قتل حتى قتل منهم سبعون ألفاً، فأوحى الله إلى موسى فليرفعوا أيديهم وقد غفر لمن قتل وتاب على من بقي»<sup>(١)</sup>.

٢- أن موسى قد جمع الراضين لعبادة العجل والذين عبدوا العجل، وأمر الراضين بأن يقتلوا العابدين للعجل.

٣- لم يحصل القتل أبداً لكون الأمر كان أمراً إمتحانياً ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٢)، فكان دور موسى في هذه الحالة أن أبلغهم الحكم في أجمل صورة بحيث جعلهم يقبلونه على الرغم من صعوبته على أنفسهم، فعندما قبلوا تنفيذ الحكم عليهم بكل إخلاص لنيل رضا الله عنهم رفع الله الحكم عنهم، وهذا هو الأرجح.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ • ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥-٥٦)

س: ما معنى (جهرة)؟

ج:

الجهر: الإظهار.

س: لقد مرّ تفسير هذا الموقف التي تعكسه هذه الآية عند سرد قصة حدثها، وهنا نريد أن نسأل ماهي الاحتمالات التي ترد في السبب الذي جعل بني إسرائيل يصرون على رؤية الله جهره؟

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

ج:

١- تعتبر حالة انتقالية نحو التكامل بمعرفة الله؛ لأنهم كانوا قبل هذا الطلب قد طلبوا أصناماً ثم عبدوا العجل، فهم وإن كانوا من الموحدين ولكن لا يعرفون صفات الواحد ولا يستوعبون أنه لا يُرى بالعين المجردة؛ لقربهم بالفكر الحسي وتحجير أفكارهم وبساطة معلوماتهم، فأرادوا الاطمئنان بذلك ولو عن طريق التواتر الخبري الذي ينقله إليهم السبعون رجلاً من أشرافهم الذين انتخبوهم لذلك. فطلب الرؤيا حالة في طريقها إلى التكامل العقائدي بالله.

٢- وجود الضالين من قوم موسى يحاولون عرقلة حركة موسى انطلاقاً من لجابجهم المنحرفة، فيحرّكون القوم من خلال تثقيف البعض على فكرتهم التي

يرومون إليها ومن خلال نشر الشائعات التي تؤثر أثرها فيهم وبعدها يتحوّل إلى موقف جدّي موحد يتحدّون به موسى ويصرّون عليه، فطلب الرؤيا وإن كان صحيحاً في نفسه إلاّ أنّه نتاج الحركة المضادّة والمعرّقة لحركة موسى العقائدية.

٣- أنّ طلب الرؤيا نابع من طبيعتهم المعاندة واللجاجة التي استورثوها من الآباء واكتسبوها من استضعافهم هذه المدّة الطويلة.

٤- أنّهم يعيشون تجربة أولى مع النبوة التي يمثلها موسى فلا يعرفون متطلّباتها وحكمها والتسليم لها مطلقاً ومن غير شرط وأنّه أولى من أنفسهم، ولهذا تجد معارضتهم لموسى على الرغم من إيمانهم بنبوّته، فطلب الرؤيا نتاج جهلهم بالنبوة.



س: إذا كان طلب الرؤيا يعدّ حالة تطوريّة في العقيدة فلماذا يوبّخ الله الطالبين لها في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا قَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٢١)، ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ؟

ج:

لو نظرنا إلى الآية لعرفنا أنّ التوبيخ لم يكن على نفس الطلب وإنّما على الدوافع التي دعتهم يلجؤون إلى مثل هذا الطلب ﴿اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾، ونحن قد ذكرنا الأسلوب والدوافع السلبية لهم فراجع.

س: (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ) قد ذكرتم في أثناء القصة أن موسى لم يموت وإنما أُغمي عليه. اذكر الأدلة على ذلك.

ج:

١- في سورة الأعراف آية ١٤٣ تحكي عن نوع نهوض موسى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾، وأفاق تستعمل في مقابل فقدان الشعور والإحساس لا من الموت.

٢- لو قرأنا نهاية هذه الآية التي بين أيدينا نراها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وموسى من أولئك القلة من الشاكرين الذين لا يحتاجون إلى (لعل) حتى لو أماته الله في ذلك الحدث ولم يبعثه منه.

٣- لو قرأنا الآية ١٥٥ من سورة الأعراف ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا...﴾ لرأينا أن موسى أفرذ نفسه عن الهلاك الماضي ﴿وَإِنِّي﴾ الذي وقع عليهم دونه، فأما لو تعلقت فرضاً مشيئة الله عند طلب الرؤية في الجميع حتى موسى قال: ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾، إلا أن مشيئته سبحانه تعلقت بهلاكهم دونه واقعاً.

ومن هذه النقاط التي ذكرناها نعرف أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ مختص بالسبعين رجلاً فقط.

س: هل تكشف هذه الحادثة - أي موت السبعين رجلاً وإغماء موسى - على استحالة الرؤيا وأن طلبهم كان طلباً للمستحيل؟

ج:

١- لو كان طلباً للمستحيل لما أستجاب الله لطلبهم، فاستجابة الله لطلبهم مع كونه مستحيلاً يعدّ استهزاء، والله لا يستهزئ بأمثال موسى ولا بغيره الذي يطلب منه طلباً جدياً.

٢- لو كان طلباً للمستحيل لكان الجواب لفظياً كقول: لا تدركه الأبصار أو عملاً آخر غير عملية التجلي التي جاءت مناسبة لطلبهم ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ (الأعراف: ١٤٣).

٣- التجلي الفعلي الذي حصل ﴿وَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ أعطى درساً واضحاً للبشرية جميعاً أن تجلي الله بنفسه ممكن، ولكن عدم وجود المقتضي الذي يتحمل التجلي في أي مخلوق في الدنيا. نعم، قد يوجد المقتضي ويرتفع المانع في عالم الجنان ﴿وَجُودُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «... وإنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم»<sup>(١)</sup>.

٤- أن التجلي الذي تقصده لم يكن هو التجلي الذاتي لله سبحانه سواء كان الذي حصل في الدنيا أو الذي سوف يحصل في الجنة؛ لأن ذلك مستحيل. نعم، يتجلى بمظهر من مظاهر ذاته سبحانه وتعالى عمّا يصفون.

﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمْ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة: ٥٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الظل: الستر عن الضياء.

٢- المن: الإحسان والخير.

٣- السلوى: ما يتسلى به الإنسان.

٤- الطيب: ما تستطيبه النفس.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا

عَلَيْكُمُ المَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾؟

ج:

في أثناء مسير القوم وهم يعبرون صحراء سيناء باتجاههم إلى بلاد الشام، استصعبوا حالة الحر الشديد وقلة الأكل، وكان ذلك قد أثر على نفوسهم بالاتجاه السليبي لضعف إيمانهم ووعي حركتهم وهجرتهم التي هي أكبر من أن تقاس بنعيم مصر وعمارتها، أخذ شريط التخيل يعرض في أذهانهم صور مدنية مصر وعماراتها وراحة الناس فيها وجلساتهم التي كانوا يعتقدونها ونزغات الشيطان ترين لهم هذا الاتجاه من التفكير بحيث تنسيهم الذل والهوان وحرمانهم الحرية، وهم يرون أنفسهم في تلك الصحراء القاحلة لا أشجار باسقات ولا حدائق خضر ولا بيوت تجمعهم مع أهلهم إنه العراء الكامل، مرتع ما أحلاه وما أوسع له ليسترية فيه

الشیطان لیزین لهم ما یحلمون به، جاؤوا إلى موسى وشکوا حالتهم إليه، فدعا موسى ربّه واستجاب له ربّه بتكوين الغمام نهاراً تظلل علیهم لتمنع حرّ الشمس عنهم، وینزل الأكل السماوي الذي دبرته ملائكة السماء بأمر الله لهم، والأكل مكوّن من نوعین: المنّ والسلوی عسل وطيور مشواة أو غير ذلك، يتناولوه من دون بذل جهد وفي أيّ وقت شاؤوا ليلاً ونهاراً وبأيّ كمية يريدون یسدّ الرمق وما یحتاجه الجسم من الطاقة، فكان حقاً رزقاً مناسباً طیباً مادياً ومعنوياً؛ لأنّهم شعروا بالسلوی النفسیة التي أنستهم غربة الطريق وحدائق مصر، وكان کلّ ذلك لا لشيء استحقّوه ولكن منّة وتفضلاً منه سبحانه.

ورد في تفسیر القمي في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَلَىٰ كُمُ الْغَمَامَ﴾: «لما عبر بهم موسى البحر نزلوا في مفازة، فقالوا: يا موسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظلّ فيها، ولا شجر، ولا ماء وكانت تجيء بالنهار غمامة تظلمهم من الشمس، وینزل علیهم باللیل المنّ فیقع علی النبات والشجر والحجر فيأكلونه، وبالعشي یجیء طائر مشوي فیقع علی مواثدھم فإذا أكلوا وشبعوا طار»<sup>(١)</sup>.

س: ما هي المحتملات في تفسیر قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؟

ج:

- ١- أنّ الله سبحانه وتعالى أكبر من أن یظلمه أحد أو أن یظلم أحداً.
- ٢- لا ینسب أحد المظلومیة إلى الله؛ لأنّها من صفات الممكن وتعالى الله عنه.

(١) تفسیر القمي ٤٧:١.

٣- لا ينسب أحد إلى الله الظلم؛ لأنه لا يصدر إلا من محتاج وتعالى الله عن ذلك.  
 ٤- انسبوا الظلم إلى أنفسكم عندما تكفرون بأنعم الله التي ينزلها عليكم بمعاصيكم  
 وعدم طاعتكم وشكركم، فعندما ترفع النعم منكم نتيجة أعمالكم المبعوضة  
 للمنعم فأنتم الذين منعمت أنفسكم منها وظلمتموها بحرمانها منها؛ لأنه أنزلها  
 لكم لعلكم تشكرون وتهتدون وتستقيمون وتبصرون ولكنكم تفعلون العكس  
 من ذلك.

ورد عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ أنه قال: «إن الله أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم، ولكنه خلطنا  
 بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته حيث يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: الأئمة منا» (١).

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي



﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا  
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ  
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٨-٥٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- القرية: كل مكان يعيش فيه جمع من الناس، وتشمل المدن الصغيرة والكبيرة.

٢- الحطة: إنزال الشيء من العلو.

٣- الرجز: الاضطراب في الحركة والكلام.

س: اذكر موقف بني إسرائيل مع موسى وهو يأمرهم بدخول الأرض

المقدسة الموعودة لهم من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ

الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً

نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

ج:

هذا الموقف من المواقف الأخيرة وقبل عقاب التيه، الذي يكشف أن حركة

موسى كانت بدايتها ونهايتها مزيجة بين العقيدة والسياسة وبناء الشخصية الإيمانية

ومقارعة الظلم، فكان الموقف السياسي واضحاً حينما وصل ببني إسرائيل السير

إلى أريحا الشام التي هي باب المدينة، أو على أبواب مدينة فلسطين والأرض

المقدسة وبيت المقدس التي أمر الله أن يستقر بها بنو إسرائيل، ولم يكن دخول

المدينة شيئاً بسيطاً باعتبار أن لها أهلاً ومواطنين إلا أنهم استحقوا الخروج منها لعصيانهم وتمردهم المستمر على الله الذي أوجب مقاتلتهم وإخراجهم، ولكن لا بصورة مباشرة ومن دون إنذار، بل يسبق كل شيء العرض لمبدأ السماء وأخلاق الرسالة التي يعكسها بنو إسرائيل، وإذا لم يستجيبوا لمطالبهم فعند ذلك يبدأ القتال، أخبر موسى عن نتيجته وهو الفوز المحتم لهم بإخبار الله له، على الرغم من هذا التساهل والوضوح الذي بإمكان جريانه بصورة مباشرة لهم باعتبارهم موحدنين مؤمنين إلا أن موسى أجرى أموراً تمهيدية له ليهضموا عملية التضحية.

وكان أول ما قدمه موسى أن ذكرهم بتأريخهم الماضي وبشخصياتهم الذين تخرج منهم من الأنبياء والأوصياء وأخبرهم ما سيكون لهم من تأريخ المستقبل القريب الزاهر لهم من أنهم سيملكون الأرض وذكّرهم بالنعيم التي شاهدوها وعاشوها بأنفسهم والتي لم يكن قد نزلت على مجتمع من مجتمعات العالم بمثلها ونفسها قبلاً ولا بعداً، كل ذلك من أجل رفع الهمم في نفوسهم، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة: ٢٠) ثم جاء بالأمر ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٢١).

ثم أخذ موسى يتحدث معهم ويعرض لهم ما يحصلون عليه بعد الأمر لو أنهم امتثلوا الأمر، فكان يقول لهم: عندما تدخلوها سيكون كل شيء ممّا أنبته الله من ثمار نباته مباحاً لكم ليس فيه ما ينقص عيشكم وسكناكم فيها، ولا يكون دخولكم دخول كبرياء وتجبر واستعلاء، بل دخول تذلّ وخشوع لله وأنتم تطلبون منه أن يمحو خطاياكم وذنوبكم، وهذه هي التربية الإلهية والأدب الربّاني التي يربي الله

عليها المقاتلين على طول خط النصر والفوز، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿وَرَأَيْتَ  
النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾  
(النصر: ١-٣)، وإذا فعلتم ذلك فإن الله سيزيدكم علواً وعزّةً في الدنيا والآخرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا  
ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ  
نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٥٨)، ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ  
وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ  
سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٦٦).

إنّ هذا الأمر ليس جديداً عليهم، بل عرفهم بذلك منذ خروجهم من مصر أنّهم  
سائرون بهدف الوصول إلى الأرض المقدّسة، وأنّها موعدهم ومحلّ خلافتهم  
الأرض، ولهذا تعتبر حالة المخالفة والهزيمة في مثل هذا الموضع والمكان وهم  
على الأبواب جريمة يستحقّ مخالفتها أشدّ الرجز والعذاب ﴿وَلَا تَسْرَتُوا عَلَى  
أَذْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٢١)، فكان الردّ كما هو شأنهم من التمرد على الله  
وعلى رسوله بتبدّل الموقف والقول الذي تعاهدوا عليه منذ خروجهم من مصر،  
﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (البقرة: ٥٩)، بدّلوه بعذر بعيد عن  
الإيمان بالله وغلبته التي شاهدوا بما هو أصعب منه عليهم كغرق فرعون وجنوده،  
﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا  
مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢٢)، قرار لا يرجعون منه وعناد لا ينمّ عن جهل فقط، بل  
عن وقاحة ليس لها مثيل في تأريخ الرسالات ﴿لَنْ نَدْخُلَهَا﴾، فقد سدّوا الطريق  
على موسى ابتداءً بالنفي المؤبّد.

هنا تدخل رجلان من قوم موسى - يقال: إنهما يوشع بن نون وكالب بن يافنا -

في إقناعهم، وهما من المؤمنين الذين رزقهما الله نعمة الخوف منه سبحانه، عسى أن يلينا موقفهم المخزي هذا الذي يتوقف عليه استخلافهم الأرض بأنفسهم دون غيرهم، وأخبروهم بسهولة النصر والغلبة بحيث لا يحتاج منهم إلا الدخول بالتوكل على الله، فليس هناك حرب طاحنة ضارية يطول أمدها وتكثر فيها القتلى وما إلى ذلك، بل سوف يحصلون على النصر الإلهي بمجرد أن يدخلوا بشهر السيوف واسم القتال ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣).

وجاء الرفض بعدم مشاركتهم بالقتال ولو بهذه الطريقة البسيطة، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤)، يالها من شقاوة ووقاحة وتحذُّ لمن شاهدوا منه هذه النعم والمعجز والكرامة بعد الحقارة، والعزّة بعد الذلّ، إنه رفض على علم مؤكد بستة أمور: (لم يوجهوا الخطاب إلى الرجلين؛ لأنه شيء مفرغ منه فلا تنفع معهم موعظة الواعظين) (إننا) (لن) (أبدًا) (اذهب أنت وربك فقاتلا) (إننا هاهنا قاعدون)، إنه رفض لا تشمّ فيه رائحة الشكر أو نيّة في ردّ جميل أو حياء قليل من أحد، ولا تجد فيه نظرة خاطفة واعية على الرغم من أنه نفع راجع إليهم وكرامة ورفعة لهم، لا يوجد أمامنا إلا أن نقول: هذا هو تاريخ الإسرائيليين، لقد تركوا موسى وهارون وحدهما في الميدان، وفتح مدينة مهما كانت لا يقدر عليها اثنان أو أكثر من ذلك مهما كان تصميمهم على الصبر والثبات والمقاومة، وخصوصاً أن قوم المدينة من الذين يجبرون الناس على ما يريدون فلا ينفع معهم الحوار ولا الكلمة الهادئة الهادفة حتى يدخل لهم موسى وأخوه ليجري معهم الحوار على الأساس الديني، ولهذا لم

يبق أمام موسى إلا أن يعرض حاله على الله ليوجهه لأمر ما. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥)، مع معرفة موسى أنه لا يمر هذا النوع من التمرد بدون عقاب وبلاء من الله.

س: لقد تمرد بنو إسرائيل على الله ورسوله بعدم دخولهم إلى الأرض المقدسة بقتال بسيط فما هو العذاب الذي أنزله الله عليهم الذي تشير إليه هذه الآية ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾؟ اذكر الأحداث في ذلك.

ج:

عندما رفض بنو إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة وأخلفوا العهد والوعود، جاء الرد الإلهي على فعلهم بتأجيل استخلافهم ومنع دخولهم مدة أربعين سنة وهم في حالة تيه وخيرة في الأرض ﴿قَالَ فَإِنهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٦)، على الرغم مما حصل لموسى من قومه فإنه حزن وتأسى على قومه مما سيحصلون عليه من عذاب الدنيا والآخرة، ولم يكن هذا العذاب إلا نتيجة تتناسب مع ما كسبت أيديهم وخروجهم المستمر عن إرادة السماء ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩)، ولم يكن الرجز أو التيه حكماً على كل بني إسرائيل بل ﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وهم المشمولون بالتكليف للقتال ودخول المدينة ولم يقاتلوا وهم أقل عدداً من مجموع بني إسرائيل وإن كانوا ألوفاً، نسبة لما هو موجود من النساء والأطفال والعجزة والمرضى وغيرهم من أصحاب الأعذار.

س: كان العذاب الذي أنزله الله على بني إسرائيل نتيجة رفضهم الدخول إلى الأرض المقدسة هو أن يتيهوا في الأرض مدة أربعين سنة، اعرض بعض ما ورد من الروايات التي تحكي عن حقيقة التيه.

ج:

١- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لما انتهى بهم موسى إلى الأرض المقدسة قال لهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَزِدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَقْتُلُوا خَاسِرِينَ﴾، وقد كتبها الله لهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ • قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَائِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَتَوَكُلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ • قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ • قَالَ رَبُّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ • قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، فلما أبوا أن يدخلوها حرّمها الله عليهم فتاهوا في أربع فراسخ أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين»<sup>(١)</sup>.

٢- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كانوا إذا أمسوا نادى منادهم: الرحيل فیرتحلون بالهدا والزجر حتى إذا أسحروا أمر الله الأرض فدارت بهم فيصبحوا في منزلهم الذي ارتحلوا منه، فيقولون: قد أخطأتم الطريق فكثوا بهذا أربعين سنة...»<sup>(٢)</sup>.

(١) الاختصاص: ٢٦٥.

(٢) البحار ١٣: ١٧٧.

فإذن قد قضى الله عليهم ألا يدخلوها أربعين سنة وهم بنو إسرائيل الذين لم يشملهم العذاب من النساء والأطفال والشيوخ وبعض من الرجال، وقد قضى الله على البقية ممن شملهم العذاب، وحُكِّمَ التيه أن يسيروا في الأرض متحيرين لا هم مدتيون يستريحون إلى بلد ولا هم بدويون يعيشون عيشة القبائل البدوية حيث لم يستقرّوا على حال ولا على مكان، وهذا النوع من العذاب لا يتحمّل البقاء عليه المدة المذكورة، ولهذا هم قد انتهوا جميعاً، وكان دخول بني إسرائيل قد حصل وتحقّق على أيدي أبنائهم أو أبناء أبنائهم ممن ذهب بهم موسى وهارون بعيداً عن مركز الشام.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال: «كتبها لهم ثمّ محاهها، ثمّ كتبها لأبنائهم فدخلوها، والله يحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»<sup>(١)</sup>. والمقصود من أبنائهم هم أبناء الذين أخذهم موسى من الصالحين والمستضعفين بعيداً عن بلاد الشام.

س: قالوا: حُشِرَ موسى وهارون مع بني إسرائيل في التيه، ما هو جوابكم على ذلك؟

ج:

كلّاً لم يحشروا معهم في التيه؛ لأنّ التيه عبارة عن تنكيل وإذلال في المعاملة وهلاك للعاصين من بني إسرائيل الذين لا رجاء من أن يولد منهم مولود يحمل طريقة نحو الأحسن والأفضل، ففرّق الله بينهم وبين أولئك الأنبياء كموسى وهارون

(١) تفسير العياشي ١: ٣٠٤/٧٢.

ويوشع بن نون وغيرهم من المؤمنين والضعفاء من بني إسرائيل ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَا لَهُمُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٨)، فأجرى الله التيه على أولئك المتمردين من بني إسرائيل الفاسقين حتى هلكوا جميعهم، ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، وأخذ موسى القسم الآخر منهم من المؤمنين الصالحين من أصحاب الأعدار والمستضعفين المختلفين في درجات إيمانهم ليعيشوا وهم بعيدون عن بلاد الشام ويستمرّوا في حياتهم الطبيعية والعمل في سبيل الله، ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ (الأعراف: ١٦٩).

س: قلتم: إن موسى قد أخذ يوشع بن نون والمؤمنين والصالحين من أصحاب الأعدار وغيرهم، فإذا كان أمثال هؤلاء موجودين مع موسى عند الأمر بالدخول إلى الأرض المقدّسة فلماذا قال الله عن موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ (السائدة: ٢٥)، مع أن موسى كما يملك أخاه يملك غيره من أهله وأهل هارون ويوشع بن نون وجميع المؤمنين باعتباره نبياً لهم جميعاً وأنه أولى من أنفسهم؟

ج:

هنا عدّة احتمالات منها:

- ١- (لا أملك) أي لا أملك من العناصر المسؤولة التي تأخذ منك التعليمات والتبليغ إلا نفسي وأخي باعتبارنا نبيين لا ثالث لنا.
- ٢- (لا أملك) أي لا أملك القدرة على مواصلة التبليغ وأخي كذلك ليأسنا من استجابة هؤلاء وطاعتهم لنا، ويأس الأنبياء من قومهم يعني نزول العذاب عليهم



كما هي طريقة جميع الأنبياء مع أقوامهم، ولا نبيٍّ موجود مع بني إسرائيل إلا موسى وهارون أخاه.

٣- (لا أملك إلا نفسي وأخي) باعتبار أن قيادة بني إسرائيل بيد هؤلاء فقط فهم المسؤولون عن كل ما يتعلق بحركة بني إسرائيل العقائدية وبالتالي هم المسؤولون فقط عن التقييم، وتكشف هذه العبارة من الآية أن الاثنين كانا على مستوى واحد من التقييم وليس موسى متفرداً به وإن كان من حقه ذلك.

س: ما هو المانع في قول: إن موسى كان معهم في التيه كما هو وارد في بعض الروايات وكما هو قول بعض المفسرين؟

ج:

أولاً: أن التيه عبارة عن عملية تشكيل ونوع من العقاب والعذاب على مجموعة خاصة من بني إسرائيل. ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩).

ثانياً: أن الصورة التفصيلية لمعاملة الله لأصحاب التيه كلها معاملة استهزاء وسخرية بما كفروا وعصوا وقد مر ذكر الأحاديث في ذلك، وحاشا لله أن يضع موسى وهارون في مثل هذه المواضع التي كلها نكال.

ثالثاً: أن موسى قال: فرّق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴿فَأَفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥)، فلو كان موسى معهم في التيه معناه لم يحصل الفرق والتفريق بين موسى والفاسقين من بني إسرائيل.

رابعاً: أن قول الله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ عند نزول التيه عليهم معناه: أننا يا موسى قد قضينا بنزول العذاب على الفاسقين من قومك الذين خرجوا

عن أمر ربهم بعدم الاستجابة لك بدخول المدينة فلا تحزن عليهم؛ لأنهم استحقوا ذلك بعصيانهم وكفرهم، فلو كان موسى معهم فهو ممن يحتاج إلى من يتأسى عليه قبل أن يتأسى هو على الآخرين، وهو واضح البطلان.

خامساً: أن التيه بنص الآية على القوم الفاسقين، ﴿فَأَنبَأَهَا مُحَرَّمَةً عَلَيْهِمْ﴾، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾، وحاشا لله أن يحشر موسى وهارون ومن معهم من الصالحين مع الفاسقين والظالمين؛ لأنه معناه شمول الحكم بالعقاب على المذنب والبريء على حدٍ سواء فضلاً عن كونهما موسى وهارون، وهو مستحيل على الله.

سادساً: أننا نسمع أن بعض الأنبياء قد ابتلاهم الله ببعض العذاب لكن لا تتكياً بهم وإنما هو استكمال لشخصيتهم النبوية والترقي لدرجات القرب لله، والتهيه ليس كذلك، بل هو تنكيل وهوان حتى الموت.

سابعاً: لم يحصل تقصير من موسى في كل خطواته، وكان موسى وهارون مستعدين إلى الموقف الأخير ودخولهم البيت المقدس لو أن الله أمرهم بذلك، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾، فعلى أي سبب يدخله الله في التيه؟!

ثامناً: أن التيه ما هو إلا بلوى مباشرة من الله قد استحقها الفاسقون من بني إسرائيل ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: ٥٩)، ومن جملة قانون البلوى أن يشمل العصاة فقط دون غيرهم ﴿فَأَنبَأَهَا مُحَرَّمَةً عَلَيْهِمْ﴾ ولم يقل (عليكم)، فقد حصلت البلوى واستحقت على قوم نوح ولوط ويونس وغيرهم من الأنبياء فعند حدوث البلوى فإن الله أنجاهم ثم نزلت البلوى على أقوامهم.

نعم، إنَّ أثر العمل السيِّئ يشمل الفاسقين والخيرين، والتية ليس من أثر العمل السيِّئ؛ لأنَّ أحد قوانين أثر العمل السيِّئ أن يكون من الله لا بالمباشرة وإنَّما بواسطة تسليط الأشرار من الناس على الأخيار ضمن القانون الطبيعي، مثال لأثر العمل السيِّئ ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا لم يأمرُوا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، ولم ينتخبوا الأخيار من أهل بيتي، سلَّط الله عليهم شرارهم فتدعو خيارهم فلا يستجاب لهم»<sup>(١)</sup>.

ولا تقول: إنَّ البلوى تشمل الكافرين فقط كما هم قوم لوط ونوح وغيرهم، وبني إسرائيل من الفاسقين لا الكافرين فكيف تشملهم البلوى؟ قلت: إنَّ البلوى تشمل الفاسقين والكافرين وغيرهم إلا المؤمنين المتديِّنين الملتزمين، وقد رفع قانون البلوى في صدر الإسلام ببركة وجود نبي الرحمة محمد ﷺ حياً وميتاً كما هو لسان بعض الروايات.

س: قلت: إنَّ دخول الأرض المقدسة من قبل بني إسرائيل قد حصل لأبنائهم أو أبناء أبنائهم، ولكن الله قال: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي أنَّ دخولكم محقق؛ لأنَّ الله قرَّره وكتبه، ألم يكن عدم دخول البعض ووضع البعض الآخر في التيه خلافاً لما كتبه؟ اذكر المحتملات من الجواب.

ج:

١- لا منافاة، حيث كتبها الله لبني إسرائيل وقد دخلها بنو إسرائيل، فإنَّ ﴿لَكُمْ﴾ صادق سواء عليهم أو على أبنائهم أو أبناء أبنائهم؛ لعدم خروج الجميع عن بني إسرائيل.

٢- أن يكون التعليق عند الله، أي أن أصل الحكم معلق على عدم تخلفهم للأمر، ولا مانع من أن يعطي الله الحكم المطلق إلى النبي ويخفي عنه التعليق لحكمة هو يعلمها سبحانه.

٣- أن يكون الحكم الذي أخبر الله به موسى إنشائياً وأما فعليته فهي تتحقق عند توفر موضوعات الحكم ومتعلقاته، فليس من الضروري أن يكون كل حكم إنشائي تساوقه الفعلية والتنجز.

ورد عن محمد بن أبي طلحة، أنه قال: «قلت للإمام الرضا عليه السلام: أتأتي الرسل عن الله بشيء ثم تأتي بخلافه؟ قال: «نعم، إن شئت حدثتك، وإن شئت أتيتك به من كتاب الله تعالى جلّت عظمته: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية، فما دخلوها ودخل أبناء أبنائهم، وقال عمران: إن الله وعدني أن يهب لي غلاماً نبياً في سنتي هذه وشهري هذا، ثم غاب وولدت امرأته مريم وكفلها زكريا، فقالت طائفة: صدق نبي الله، وقالت الآخرون: كذب، فلما ولدت عيسى عليه السلام قالت الطائفة التي أقامت على صدق عمران: هذا الذي وعدنا الله»<sup>(١)</sup>.

س: قالوا: إنَّ جُلَّ الأحداث التي مرّت ببني إسرائيل كانت في التيه من نزول المنّ والسلوى والاستسقاء وقارون والبقرة وغيرها ممّا ذكر، فما هي إجابتكم على هذا القول؟

ج:

من المتفق عليه أن سبب التيه هو عدم دخول بني إسرائيل الأرض المقدّسة

(١) القصص للراوندي: ٢٨١/٢١٦.

بنصّ وصريح القرآن، فهنا توجد احتمالات ثلاثة: أن حدث الأرض المقدسة الذي صار سبباً للتيه إما متقدماً كلياً على الأحداث، أو أن بعضاً منها متقدّم عليه، أو متأخراً كلياً، فنجيب على الاحتمال الأوّل والثاني ونقول:

١- أن موسى لم ينفصل عنهم في كلّ هذه الأحداث بل هو موجود بينهم، فهنا يعود

الإشكال الذي أشكلناه في جواب السؤال السابق المتكوّن من ثمان نقاط.

٢- لو أغمضنا النظر عن كلّ ما أشكلناه وقلنا بأن موسى وهارون والصالحين كانوا

معهم، أليس من الحري على هؤلاء من موسى وهارون والصالحين أن يُذكروا

بني إسرائيل في حدث من الأحداث التي مرّت عليهم ولو لمرة واحدة بسبب

التيه الذي هم عليه ليأخذوا العبرة من ذلك؟ مع أنّه لو ذكّرهم أحد بالتيه في كلّ

حدث عشرات المرّات لكان قليلاً؛ لأنّه حدث عظيم كان هو السبب في تحوّلهم

إلى هذا النكال والحيرة، ولم نجد أثراً لذكره في هذا المجال لا في كتاب ولا في

سنة ولا في غير ذلك.

٣- لو كان التيه فيه هذه الأحداث فإنه ليس تيهاً وعقوبة، بل هو رغد وعذوبة

لوجود أعظم النعم فيه، منها وجود نبّيين بينهم يدعوهم إلى الإيمان ويحلّون

مشاكلهم الاجتماعيّة عند الاختلاف فيما يصدر من هنا وهناك، وفيه نزول المنّ

والسلوى، والاستسقاء بالماء العذب، وفيه التجوال من مدينة إلى أخرى،

وتضليل الغمام عليهم، وفيه الأمان بحيث إذا حصل تمرد وعصيان فإنّ الحكم

يصدر فوراً على المتمرّدين فقط كما حصل في عمليّة عبادة العجل وما حصل

لقارون ومن معه وغيرها من الأمور التي تنفي كون هذه الأحداث في التيه

والعقوبة.

٤- أن الذي يعرف بني إسرائيل يعرف أن مرور حدث أو حدثين عليهم ثم امتحانهم بدخول الأرض المقدسة بقتال غير كافٍ لهم أبداً، وبالتالي تكون عقوبة التيه في غير محلها.

٥- قد يكون الدافع في قول هؤلاء هو دراسة المسافة ما بين مصر والشام التي لا تتناسب زمنياً مع حجم هذه الأحداث وعددها.

أقول: من قال: إن موسى قد سار بهم بأقصر الطرق الموصلة إلى الشام؟ فإن بعض الروايات تقول بأن بعض الأحداث قد وقعت في العراق وأن موسى قد مرَّ بهم بكربلاء وبكى على الحسين بن علي عليه السلام وسئل عن سبب بكائه فأجابهم بالحدث المخبر عنه، ممَّا قد يدلُّ على أن موسى قد سار بهم الطريق البعيد من أجل أن يمرَّ بهم بتجربة الحركة العقائدية وأن يعمق فيهم روحها ويعرفهم تشعباتها ويحذف من طباعهم السلبية التي زرعت في نفوسهم وتعودوا عليها.

٦- أين تضع الروايات الصحيحة التي تعكس كيفية معاملة الله مع أصحاب التيه من

حيث مشيهم غير الطبيعي، وعدم علمهم إلى أين هم سائرون، ورجوعهم إلى ما كانوا عليه وغيرها من أنواع التنكيل التي يوجهها الله إليهم حسب ما تنقله الأخبار، فكيف ينسجم هذا النوع من الإخلال في كلِّ شيء مع الأحداث المنظمة المرتبة الناتجة عن وعي وبصيرة وحركة منظمة في فعلها وردود فعلها.

٧- لو كان حدث من هذه الأحداث قد مرَّ في التيه معناه أن بني إسرائيل كانوا

يمرّون في حالة استثنائية غير طبيعية قاهرة لهم ولنفسهم وبالتالي لا يمكننا

أن نوجه لهم اللوم في تخلفاتهم وعصيانهم المتكرّر للنبي موسى، ولا يمكننا أن

نأخذ درساً وموعظة من حركتهم في كلِّ حدث مرَّ بالتيه؛ لأنها تعتبر حالة

استثنائية قد مرَّ بها بنو إسرائيل فلا تصلح لأن تكون عِبْرَةً تؤخذ منها الدروس.  
 ٨- هل المنّ والسلوى رجز من السماء أم نعمة منه؟! هل الاستسقاء رجز من السماء أم نعمة من الأرض؟! هل إرسال التوراة رجز أم نعمة منه سبحانه؟! وغيرها من النعم التي حصلوا عليها ما لم تحصل لأمة غيرهم، فهل مجموع هذا يسمّى رجزاً أو تيبهاً أو نكالاً أو عقوبة؟!.

٩- لو كان حدث من الأحداث قد مرَّ في التيه ألم يكن ذلك سبباً في أن تثار فيه التساؤلات وكثرة من الجدل والأخذ والردّ، وندم من هنا ولوم من هناك باعتباره حدث عظيم قد أبتلي به الجميع، وعدم وجود أثر لذلك ولو على مستوى الكلمة الواحدة دليل على عدم وقوع أي حدث من الأحداث في التيه.  
 إذا عرفت كلّ هذا فيكون الاحتمال الثالث هو المتعين وهو المطلوب، أي أنّ الأحداث كانت كلّها قبل التيه، وأنّ آخر موقف لهم ولحركتهم هو الأمر بدخول الأرض المقدّسة، وعند تخلفهم للأمر وعدم استجابتهم واستيأس موسى وأخوه من استجابتهم، دخلوا التيه من الفاسقين والظالمين فقط دون غيرهم، ولم ينبج منهم أحد كما عبّرت بعض الروايات التي ذكرنا نموذجاً منها سابقاً.

س: إذا كانت عقوبة التيه قد أنهت حياة الفاسقين والظالمين من بني إسرائيل فلماذا حدّدها الله بالأربعين سنة؟

ج:

١- ليعلمنا أنّ التيه قد حصل في الدنيا لا في عالم آخر، فإنّ السنين كانت من سني الدنيا بحسابنا لا السنين عند الله أو في عالم آخر.

٢- أنّ هذه المدّة هي المدّة الكافية لنهايتهم وإنقاذ فرد أو فردين كما تشير إليه بعض

الروايات ليقتضوا قصّة التيه على حقيقتها وأنها واقعة حقاً.

٣- ليفرق الله بين هذه البلوى والبلوى التي نزلت على قوم نوح ولوط ويونس وغيرهم حيث تلك البلوى تلازمها الخلود في النار؛ لأنّ أصحابها ماتوا بسببها المباشر وهم كفّار جاحدين بالله، بينما هذه البلوى كان أصحابها فاسقين وظالمين، فهم فاسقون عن أمر نبيهم ولم يكونوا جاحدين بالله فكانت مدّة عذابهم أربعين سنة، وأمّا يوم الآخرة فحسابهم يختلف كلّ حسب استعداد ذاته وما أتى به من العمل الصالح أو الطالح قبل التيه وبعده، فقد يكونوا جميعاً قد استحقّوا النار وقد يكون بعضهم كمّن تاب وصلاح وهو في التيه، وعلم كلّ ذلك عند الله.

س: لماذا كان رفض بني إسرائيل للدخول في الأرض المقدّسة سبباً لنزول عقوبة التيه وانتهاء حرّكتهم مع أنّ ما أحدثوه سابقاً من عبادة العجل وغيرها ممّا هو أعظم خطورة من التمرد على دخولهم الأرض المقدّسة؛ لأنّ في عبادة العجل شركاً وهو أعظم الذنوب؟

ج:

أنّ أوامر موسى كانت تطبّق ويستجاب لها من قبل بني إسرائيل، ولكن بعد معاناة كثيرة بما للمعاناة من معنى، ولكن هنا لم يستجيبوا أصلاً مع مباشرة الأمر من موسى ووجوده معهم الذي يكشف أنّ وجود موسى كقائد لا قيمة له بينهم كقائد وكنبي بعد هذا الرفض، وهذه الظاهرة تجرّ إلى الشرك وإلى كلّ انحراف، ولهذا عرض موسى تقيمه اليأس منهم بدعائه بالافتراق عنهم المستتبّع للعذاب كما يعلم موسى بذلك بعد أن كان يحرص عليهم من نزوله قبلاً وتأسّى عليهم بعداً، فهذا



الحدث يختلف عن سابقه بهذا اللحاظ وهو:

١- عدم استجابتهم أصلاً.

٢- أنه لا قيمة توجد لموسى بعد هذا التمرد لكونه القائد أي الأمر والناهي، فلو مرّ التمرد بدون عقاب لفتحت دائرة التمرد على أوسع أبوابها ولوصل الأمر بوجود موسى بينهم إلى ما لا تحمد عقباه، ولهذا دعا موسى بالتفريق بينه وبين المتمردين وأخذ الذين لم يشملهم عقاب التيه للحفاظ على هذه القيمة له بينهم.

س: قالوا: إن موسى قد رجع إلى مصر بعد غرق فرعون، فما هو جوابكم عليه؟

ج:

أولاً: أن موسى لو كان راجعاً إلى مصر معناه أنه قد استلم حكم مصر لانتهاه المعارضين كلياً بالفرق، ولم يحدثنا التاريخ الشرعي ولا الأكاديمي عن حكم موسى لمصر ولو ليوم واحد.

ثانياً: أن موسى لو كان راجعاً إلى مصر معناه قد رجع إلى الأقباط الذين هم أصل المجتمع المصري وأكثر نفوساً، ولم نسمع في هذه الفترة عن حصول صراعات بينهم وبين بني إسرائيل للعداء القديم بينهم، ولم نسمع بانتقام واحد قد صدر من بني إسرائيل على ما ذاقوه من الأقباط، ولم نسمع بخطاب جماهيري واحد قد صدر من موسى أو هارون يزود معنويات بني إسرائيل بالنصر مع أنه من المفترض حدث كبير، ولم نسمع بكلمة تبليغ قد صدرت من موسى وهارون في هذه الفترة المفترضة توجه الأقباط من خلالها إلى طريق الهداية، فإن مهمة النبوة لم تنحصر بقومية معينة وخصوصاً إذا لاحظنا أن موسى من أولي العزم، ولم نسمع أن

أحداً قد راجع موسى بعنوان كونه حاكماً أو منتصراً، باعتبار أن وجوده قد تميّز  
عن السابق ولو بنوع من التميّز الذي يجعله محوراً لمراجعة الناس إليه سواء من  
بني إسرائيل أو من الأقباط.



مركز تحقيقات کامپویر علوم اسلامی

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- استسقى: طلب السقي والماء.

٢- العيث: أشد الخروج والفساد.

س: كيف استسقى موسى لقومه الماء؟ اذكر ذلك من خلال قوله تعالى:

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ...﴾

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

وفي أثناء مسير موسى مع قومه في صحراء سيناء والماء قليل لهم ولمواشيهم وإبلهم، اختلفت أمم الأسباب وأفرادها على الماء لقلته وعدم كفايته، نظر موسى إلى هذه الحالة التي قد تجرّ إلى مالا تحمد عقباه، فدعا موسى ربه أن يحلّ مشكلة الماء لهم بعد حلّ مشكلة الأكل والطعام بالمنّ والسلوى، ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾، فجاءت الاستجابة من قبل الله لما طلبه موسى وذلك عن طريق ضرب عصاه بالحجر، ولكن حسب الظاهر بتعريف الحجر أنّه لم يكن أيّ حجرٍ كان، بل حجرٍ خاصّ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، فعندما فعل موسى ذلك ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، أخذ الماء يتدفّق بكلّ قوّة وهم ينظرون إلى تلك الرعاية الإلهية لهم في ذلك المكان وفي تلك الصحراء ليتيقنوا أنّه شيء لم يكن يسري ضمن السنن

الطبيعية، بل هو شيء مميز لأجلهم ليعمق الإيمان بقلوبهم، وأخذ الماء يتسع شيئاً فشيئاً بكل هدوء ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف: ١٦٠)، وعلى عدد القبائل بحيث قد ﴿عَلِمَ كُلُّ أَنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ ، ورفع بذلك الاختلاف بينهم، فكانوا يشربون بكفاية كما يأكلون المن والسلوى بكفاية ﴿كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٦٠)، واجتمع عندهم طيب الأكل والماء وفي تلك الصحراء التي لا توجد فيه إلا ظاهرة السراب ﴿فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: ١٦٠)، كلوا واشربوا من دون شرط ولا أخذ منة عليكم إلا عدم الإفساد والخروج عن طاعة الله التي تكون سبباً في إزالة هذه النعم وخصوصاً إذا وصل الإفساد إلى درجة شديدة لا يسمح معها ببقاء النعمة ﴿وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: ٦٠)، وإذا وصلت مرحلة الإفساد معكم إلى هذه الحالة كما هي علامتها ظاهرة عليكم فعند ذلك لا تلوموا إلا أنفسكم ولا ترجعوا بالظلم إلا على أنفسكم كما هو حكم العقلاء عندما يرون هذه النعم المتعددة عليهم حين يواجهونها بالشكر لا بالكفر ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٠).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وكان معهم حجر إذا أنزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، لكل سبط عين، فإذا ارتحلوا رجع الماء إلى الحجر ووضع الحجر على الدابة»<sup>(١)</sup>.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا  
 مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ  
 أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ  
 وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا  
 يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا  
 يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: ٦١)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- البقل: ١- مطلق الخضار المأكول. ٢- الباقلاء.

٢- القثاء: الخيار. مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

٣- الفوم: الثوم أو الحنطة.

٤- المصّر: ١- مطلق المكان. ٢- خصوص مدينة مصر. ٣- الانقطاع والفصل.

٥- الضرب: ١- الطبع. ٢- الإلزام.

٦- الذلّة: الصغار والهوان.

٧- المسكنة: الخضوع الشديد وفقر النفس.

٨- باؤوا: الرجوع المصحوب بالسوء.

٩- النبي: اسم مشتق من (النبيء) الذي يخبر عن الغيب، أو مشتق من (النبوة)

الارتفاع.

س: وضح جواب ورد موسى عندما نفذ صبر بني إسرائيل بالبقاء على الطعام الواحد من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا...﴾.

ج:

عندما أنزل الله على بني إسرائيل الرزق الطيب من المن والسلوى والمياه العذبة من حجر موسى، وبعد أن ساروا على هذه الحالة من السلوى وهم في بداية الطريق أو وسطه أصابهم الملل من أنهم يصبحون ويمسون وهم لا شيء عندهم إلا المن والسلوى من الأكل، فهو نوع واحد مهما كان لذيذاً فالبقاء عليه يوئد الملل بحسب طبيعة نفس الإنسان الميالة للمختلف من الأطعمة، ولكن حصول ذلك في الأمور الطبيعية وعندما يكون الإنسان في بلده وبيته ولم يشغله الأمر بالأهم، ونحن إذ نجد بني إسرائيل في حركة عقائدية نحو استلام التوراة بحيث يصبحون أمة صاحبة رسالة يهدون الناس من خلالها، وحركة ذات منحنى سياسي يراد منها تغيير الأمم المظلومة وقلع جذور الظلم وحركة جهادية كبرى يراد منها فتح فلسطين والأرض المقدسة وتخليصها من أيدي الجبابرة، فهم يتحركون في هذا الخضم من الأهداف الرفيعة العالية التي يجب على الفرد المشترك فيها أن يصبر نفسه على القحط ولو على الخبز اليابس القليل، بل ويؤهل نفسه على ما دون ذلك؛ لأنه يشارك في تبديل حضارة الأرض بحضارة السماء والوثنية بالتوحيد والنظام الوضعي بالنظام الإلهي والفساد بالصلاح والظلم بالعدل.

هذا ما لا يفهمه بنو إسرائيل التي تدنو نفوسهم على مختلف الأطعمة وهم في هذا النوع من علو الحركة، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا﴾، في

هذه الحالة لم يدعُ موسى ربّه كما دعا عند حاجتهم للأكل والشرب، بل لا بدّ أن يزرع في شخصيّتهم وعي التحرك والمسؤوليّة وبيان الهدف الذي جاؤوا من أجله. فبدأ موسى بحديثه ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾، صحيح أنكم الآن على طعام واحد وعندما كنتم في مصر تأكلون الأطعمة المختلفة، لكن هناك فرقاً كبيراً وواضحاً بين الطعم الواحد بحرّيّة واستقلال وإيمان وأهداف عالية وحركة سامية ورفعة في كلّ شيء وبين مختلف الأطعمة وأنتم تحت ذلّ الاستعباد وسياط القهر والإرهاب الفكري والهبوط الشخصي والنزول في كلّ شيء، فإذا كنتم مصمّمين ﴿ لَنْ نَصْبِرَ ﴾ على اختيار جانب الهبوط فإنّ لكم ما سألتكم بالتخلّي عني واختاروا الرجوع إلى مصر أو أيّ مكان، فستجدون مختلف الأطعمة فيها ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ ﴾، وأمّا من سار معنا واختار طريقنا فلا يحصل فيه الإنسان إلّا على المعنى من الإيمان والعدالة والحرّيّة والاستقلال والصدق والصبر والعزّة والسير على الشوك والكبد والمعانات، فمن لحق بنا لا يدرك إلّا هذه الأمور، ومن لم يلحق بنا فقد يحصل على طعام الذلّ والمسكنة المختلف ألوانه.

اختاروا طريق موسى مؤقتاً وساروا معه حياةً بعد ما سمعوا هذه الكلمات التوجيهيّة العالية، لكنّهم أبوا ذلك استمراراً فيما بعد وفي مستقبل تأريخهم إلّا السير على طريق التمرد والعصيان والانحراف عن طريق العدل والتوحيد والتصدي لحركة الأنبياء، بل وقتلهم الأنبياء بصورة مباشرة وغير مباشرة الذي لا يكون قتلهم على حقّ بأيّ وجه من الوجوه؛ لأنّهم جميعاً عين الحقّ فإنّ ﴿ بَغْيِرِ الْحَقِّ ﴾ لم يكن قيلاً احترازياً، أو إنّهم يقتلون الأنبياء على الرغم من أنّهم يعتقدون أنّ قتلهم بغير حقّ، ولم يحصدوا من اختيارهم هذا الطريق إلّا الذلّة والانغزاليّة في وجودهم

والمسكنة والشعور بالنقص في نفوسهم الذي أصبح ملازماً وعلامة لهم: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، فصار خلقتهم الطبيعي هو كفرٌ بآيات الله وأنعمه وقتل للأنبياء وعصيان وتجاوز لكل الحدود الإلهية.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما قرأ هذه الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ أنه قال: « والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيا فهم ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار قتلاً واعتداءً ومصيبة»<sup>(١)</sup>.

ورد عن الإمام العسكري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «احذروا الانهباك في المعاصي، والتهاون بها، فإن المعاصي يستولي بها الخذلان على صاحبها حتى توقعه في ما هو أعظم منها، فلا يزال يعصي ويتهاون ويخذل ويوقع في ما هو أعظم مما جنى»<sup>(٢)</sup>.

س: ما هو المحتمل في معنى الطعام الواحد في هذه الآية؟

ج:

- ١- أن يكون الطعام واحداً في النوع كأن يكون كله من العنّ والسلوى.
- ٢- أن يكون الطعام مختلف الجنس والنوع ولكنه واحد في البساطة.
- ٣- أن يكون الطعام مختلف الجنس والنوع ولكنه واحد في التقديم والمنهجية بأن يخضع لجدول واحد، وأن طلبهم من فومها وعدسها وبصلها وقتائها لبيان إرادة

(١) المستدرک ١٢: ٢٩٦/١٤١٢٨.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٣٢/٢٦٤.



اختيارهم وعدم خضوعهم لجدول التقديم الواحد.

٤- أن يكون مختلف الجنس والنوع ولكنه واحد في الكم، وطلبهم المتنوع من أجل زيادته.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا  
هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢)

س: ما معنى (هادوا)؟

ج:

هادوا: هم اليهود، وتسميتهم بذلك قد ترجع إلى أحد الأسباب التالية:

- ١- لأنهم قد يرجعون من حيث النسب إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب.
- ٢- اليهود بمعنى التوبة، فسّموا بذلك لتوبتهم من عبادة العجل ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾.
- ٣- هادوا بمعنى مالوا، فسّموا بذلك لميلهم عن دين الإسلام.
- ٤- اليهود من يتهودون، أي يتحرّكون عند قراءتهم للتوراة.

س: ما معنى (النصارى)؟

ج:

النصارى: وهم المسيحيون، وتسميتهم بذلك قد ترجع إلى أحد سببين:

- ١- نسبة إلى قرية الناصرة التي كان يسكنها عيسى المسيح ﷺ، ورد عن الإمام الرضا ﷺ وهو يجيب عن سبب تسميتهم بالنصارى قال ﷺ: «لأنهم كانوا من قرية الناصرة من بلاد الشام نزلتها مريم وعيسى بعد رجوعهما من مصر»<sup>(١)</sup>.
- ٢- أن يكون لأجل قول الحواريين نحن أنصار الله، ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ (المف: ١٤).

س: ما معنى (الصابئين)؟

ج:

الصابئة: الذين انتقلوا من دين إلى دين آخر أو جمعوا ما بين دينين أو أكثر.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في مراد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾؟

ج:

١- لم يكن هناك اهتمام بالاسم الذي يحمله أهل الأديان بقدر الالتزام بما هو الأهم منه، وهو الإيمان والعمل، فلا ينفرد الإنسان بأحدهما دون الآخر، فلا إيمان بدون عمل ولا عمل بدون إيمان، كما ورد ذلك في كثير من الروايات، فالاسم لوحده لا يمثل حقيقة الإيمان وجوهره.

٢- أن المسلمين واليهود والنصارى والصابئين إذا كانوا يدعون ارتباطهم بدين سماوي فهذا يدعوهم لأن يتمسكوا بما تدعو إليه كتبهم السماوية، وسيجدونها جميعاً وحدة واحدة في التوجيه والهدف، إيمان بالله والمعاد، وتدعو إلى تحقيق العدالة، وتقديم العمل الصالح، ونتيجة الملتزمين بها هو الأمن والأمان والجنة يوم المعاد، وإن كل انحراف عن هذا التوجه فهو انحراف عن منهجية الكتب السماوية ولا يمت إليها بأي صلة.

٣- لم يكن كل من بقي على إيمانه مستمراً بإسلامه أو يهوديته أو بنصرانيته أو بصابئيته أن يدخل جميعهم الجنة أو النار على نحو القضية الكلية، بل فيهم القاصر والمقصر وميزان قبول دينهم عند ربهم الذي يرى مقدار إيمانهم به ومقدار التزامهم بكتبهم ليضع من يستحق الأمن والأمان في موضعه والعكس صحيح، وهذا موكول إليه سبحانه.

س: إن الذين قرؤوا هذه الآية قالوا: (إن العمل بأي دين هو مجزٍ فلا ضرورة تبقى أن يتمسك الإنسان بالدين الإسلامي)، فما هي المحتملات التي ترد في الإجابة على هذه الشبهة؟

ج:

- ١- القرآن يفسر بعضه بعضاً ويكمل بعضه بعضاً فلا يمكن أن نأخذ بآية بصورة مستقلة عن الأخريات التي لها علاقة بها بوجه من الوجوه.
- ٢- القرآن يقول في إحدى آياته: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَقٍّ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (المائدة: ٦٨)، وإقامة التوراة والإنجيل بما هي في محتواها الحقيقي، وإذا كان كذلك فلا يبقى أحد إلا وهو متمسك بالإسلام؛ لأن ما من كتاب إلا وبشر بالنبى الذي بعده وبالرسول محمد ﷺ بالخصوص.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

- ٣- أن سبب نزول هذه الآية هو إجابة عن سؤال قد طرح من قبل الأوائل الذين آمنوا بالإسلام عن مصير آبائهم وأجدادهم الذين ماتوا وهم على دينهم من يهود أو نصارى أو مجوس أو صابئة وغيرها من الأديان السابقة ولم يدركوا الإسلام، فكان الجواب أن كل فرد من أبناء تلك الأمة إذا كان قد آمن بالله وما جاء به رسولهم وأنبيأؤهم وكانوا قد عملوا صالحاً فإن مصيره الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فهي ليست بصدد بيان مصير النصارى واليهود والمجوس ما بعد الإسلام الذين يجب عليهم الفحص عن الدين الخاتم والنبى الخاتم.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في الصابئة من جهة نسبتهم إلى أهل الكتاب أو عدمها؟

ج:

١- لم يكونوا أهل كتاب. ٢- أنهم من أهل الكتاب. ٣- أنهم من أهل شبهة الكتاب.

س: من هم الصابئة؟ اذكر ذلك مختصراً.

ج:

الصابئة: هم قوم يدينون بالإله الواحد، يتمسكون بالأمور الروحية لتقريبهم إلى الله، يعبدون الكواكب، وبعضهم يعبدون الأصنام.

ويقال: إن يوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئة وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم النبي نوح عليه السلام، ويدعي الصابئون أن من أنبيائهم عازيمون، وهرمس، وقيل: إن عازيمون هو شيث، وهرمس هو إدريس.

والصابئة على فرقتين متميزتين: يوم ربي

الأولى: الفرقة المنديائية، وهي فرقة يهودية نصرانية أخذت من تعاليم اليهود والمسيحية، وتأثرت بالمجوسية، وأخيراً أخذت بعض تعاليم الإسلام، والظاهر أن الصابئة الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن في مواضع ثلاثة هي هذه الفرقة.

الثانية: الفرقة الحرثية نسبة إلى صابئة حران، وهم فرقة وثنية انتحلت بعض أحكام أهل الكتاب ليتمكنهم العيش في بلاد الإسلام وينعموا بالسماحة التي أظهرها القرآن لأهل الكتاب، وقد تفرقت هاتان الفرقتان إلى فرق متعددة. ودين الصابئة يتركب من أمرين:

الأمر الأول: الإيمان بالله الواحد خالق العالم وهو رب الأرباب وإله الآلهة، مقدس عن جميع صفات مخلوقاته يعجز الخلق عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالوسائط المقرين وهم الروحانيون المطهرون المنزهون عن المادة، قد

جبلوا على التقديس والتسبيح ويقولون: إنهم المتوسطون في الاختراع، وقالوا: إنه لا يمكن أن يكون الإنسان مورد فيض الروحانيات وعنايتهم إلا بحصول المناسبة بينه وبينها ولا تتحقق هذه المناسبة إلا بتطهير النفس عن الرذائل وتهذيبها عن العلائق الشهوية والغضبية والتحلّي بالكمالات.

وبعض الصابئة يقولون بوحدة الوجود فقالوا: إن الخالق واحد كثير، أما الواحد ففي الذات، وأما الكثير فلأنه يحلّ في مخلوقاته ويتكثّر بالأشخاص.

الأمر الثاني: الأعمال، إنهم لما قالوا بأنه لا يمكن التوسّل بالروحانيات إلا بالتخلية والتحلية، ولا تحصلان إلا بالأعمال مثل الصوم والصلاة، وعليه فهم يصلّون ثلاث صلوات:

أولها عند طلوع الشمس ثمان ركعات.  
الثانية عند زوال الشمس عن وسط السماء خمس ركعات، في كلّ ركعة ثلاث سجّادات، ويتنفلون بصلاة في الساعة الثانية من النهار، وأخرى في التاسعة.  
الثالثة في الساعة الثالثة من الليل، كما يصلّون على طهر ووضوء خاصّ، وهم يفتسلون من الجنابة، ومسّ الميت.

بعضهم يحرم أكل الخنزير، والكلاب، والطيور ذوات المخالب، والسُّكر والشراب، والاختتان، وتعذّد الزوجات، ولا يبيحون الطلاق إلاّ بحكم الحاكم، وقد حرّم بعضهم أكل بعض الخضروات، يحلّلون أكل المختنقة.

والحاصل: أنّ الصابئة فرق مختلفة فبعضهم أخذوا بشريعة موسى، وبعضهم أخذوا بشريعة عيسى، وبعضهم وثنيّون، والكلّ يظهرون الإسلام، والتغييرات والتبدلات كثيرة في دينهم مع صعوبات كثيرة تنافي سائر الأديان، ولذا قلّ الدخول في دينهم فصار عرضة للزوال والانحلال.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ  
وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿البقرة: ٦٣-٦٤﴾

س: ما معنى (تولَّيْتُمْ)؟

ج:

التولَّى: ١- الولاية. ٢- إذا عدَّى بـ(عن) أو وجود قرينة دالة يكون بمعنى الإعراض.

س: وضَّح الغاية من حدث رفع الطور من قبل الله على بني إسرائيل من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ج:

آيات الله من ناحية العامل النفسي للإنسان ذات نوعين: نوع يبعث الطمأنينة للنفس كما هو نزول المنّ والسلوى على بني إسرائيل، ونوع آخر يبعث الخوف والفرع لدى النفس كنزول البلوى التي ابتليت بها بعض الأمم من الريح العاصف والجراد والظوفان والزلازل وغيرها. وآية رفع الطور كانت من النوع الثاني، وكانت بعد أن انتهت عملية اتخاذ العجل ومجيء موسى بالألواح، أخذ بني إسرائيل مرض التشكيك برسائله على الرغم من شهادة السبعين رجلاً المنتخبين من قبلهم معن ذهبوا مع موسى ﷺ إلى الميقات، شككوا بنزول التوراة من الله واستلامه منه وشرحهم للعلامات التفصيلية التي حدثت بهم وشاهدوها أمام أعينهم.

هنا علم الله منهم التشكيك وضعف التصديق برسالة موسى ﷺ، وعلم حالة

العناد التي قد تصل بهم إلى التمرد التام الذي لا التزام من وراءه ولا تمسك برسالته أبداً، تركهم الله يسيرون حتى استقرَّ بهم السير بين أودية جبل، بدأ الله بزعة الجبل بهم وزلزه من تحتهم حتى ارتفع من الأرض ومالت قمته عليهم بدرجة قد غطاهم ظلّه فصار كظلّ الغيم عليهم بحيث ظنّوا أنّه واقع بهم لا محالة، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (الأعراف: ١٧١)، التجؤوا إلى موسى لينقذهم من هذا العذاب الواقع عليهم كما هي عادتهم، وبعد أن عرف الجميع أنّ هذه الظاهرة كانت نتيجة تشكيكهم وعدم تصديقهم بما جاء به موسى ﷺ وبما كان يرومون إليه داخلياً من عدم التمسك بما جاء به موسى، فقال لهم موسى: من المفروض عليكم أن تأخذوا التوراة بقوة وبكلّ صدق وإخلاص وثبات وجدّ بالعمل بها؛ لأنني أنا نبيكم بين أيديكم غير غائب عنكم، وقد قلت لكم: إنّ هذه رسالة أنزلها الله عليّ ولم تصدقوني، ثمّ كذبتهم الشهود السبعين رجلاً على ذلك، ثمّ كذبتهم الآيات والمعاجز التي شاهدتموها بأعينكم وعشتموها بأنفسكم. كلّ هذا ضعه في جانب، ألم يكن من الحرّيّ بكم أن تطلّعوا على ما جاء بالألواح والتوراة لتشهدوا ما جاء بها من أنوار الهداية لكم قبل أن يستفحل الشكّ في قلوبكم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾ (البقرة: ٩٣)، فإنّ سماع آيات الله والعمل بها لا تريدكم إلا عمقاً وقوة في الإيمان.

وأخذ النبي موسى ﷺ يلومهم على تعاملهم السيئ من رسالة الله وكلّ يسمع صدق القول. وبعد أن انتهى موسى من حديثه قدّموا اعتذارهم بكلمات الإقرار ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (البقرة: ٩٣)، وكأنّ موسى أجابهم: نعم، إنكم قد سمعتم فقط من دون تفاعل إيماني يدعوكم إلى الالتزام والأخذ بالرسالة بقوة، والسبب في ذلك



هو إيمانكم بالحس المادي الذي أصبح جزءاً من كياناتكم حتى صرتم لا يمكنكم أن تتخلوا عنه ﴿وَأَشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة: ٩٣)، ومع وجود هذا القائد المادي الذي يقودكم نحو التهلكة لا يمكن أن تنقادوا إلى الإيمان بالغيب المطلق، حيث لا يجتمع هذا النوع من التأثير المادي مع الإيمان بمطلق الغيب في قلب واحد ولجهة واحدة، وخصوصاً إذا لاحظنا أن قلوبكم قد ملأها الإيمان المادي وتشربت به فصرتم إلى حبِّ عبادة الأصنام أقرب من حبِّ عبادة الله، فلا مجال يبقى للإيمان الغيبي وأنكم تدعون الإيمان بالله، وبهذا ستكون النتيجة خطيرة عليكم إن بقيتم على هذه الحالة ﴿قُلْ بِشِمَاءِ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ بِهِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٣)، فالذي يريد أن يحذف عن قلبه الإيمان الحسي المادي ويؤمن بالله حقاً يجب أن تكون أولاً جوانحه خالية من أيِّ تأثير بعالم المادة وحبِّ العجل اعتقاداً، وعند ذلك تكون القلوب وعاءً للإيمان بالله ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وعند ذلك ستكون مشغولة بذكره من خلال ذكر رسالته والتطلع فيها على ما يجوز وما لا يجوز والعمل بها.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أنه قال: «اذكروا ما فيه واذكروا ما في تركه من العقوبة»<sup>(١)</sup>.

فبعد أن شاهدوا التهديد من الله وسمعوا النصيحة من موسى مدوا يد المعاهدة مرة أخرى كما مدوها من قبل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٦٣).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن مقصود القوة في هذه الآية هل هي

قوة الأبدان أم قوة القلوب؟ أنه قال: «فيها جميعاً»<sup>(١)</sup>.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؟

ج:

الأول: أن يكون الخطاب موجهاً إلى بني إسرائيل الذي حدث معهم رفع الطور، وعليه يكون الحديث حديث موسى إليهم وامتّم لما قبله من قصّة مواقف بني إسرائيل مع موسى، فحكاية الخطاب لبني إسرائيل بالألا تعتبروا أن رفع الطور هو نوع من الإكراه لكم على الدين؛ لأنها ليست طريقة الله في اختيار الناس دينهم ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وأنكم أصحاب دين قد اخترتموه بأنفسكم فلا موضوع للإكراه من هذه الجهة، وإذا اعتبرتموه إكراهاً فهو في المسائل العمليّة التي تحثكم على الأخذ به بقوة من باب ألزمو الناس بما ألزموا به أنفسهم.

وعلى كل حال هو فضل من الله ورحمة منه عليكم حيث عن هذا الطريق المعجز جعل لكم تقلة نحو الإيمان بالله ورسالته حتى تنتبهون إلى ما كنتم غافلون عنه، ولولا ذلك لبقيتم على تشكيكم وضعفكم الإيماني وكفركم العملي به، وبالتالي يكون نصيبكم الثار وهو عين الخسران، وعن هذا الطريق حصل بعضكم على جذوة الإيمان وفهم الرسالة والنبوة ليخرج منكم من يتولّى أمور الناس من الأنبياء والأوصياء الذين سيقودون الناس بعدكم، ويكفي أن أثرت هذه الحادثة أثرها الإيجابي ولو لأشخاص معدودين منكم ليتخرج منهم جيلاً يدعو إلى الله

(١) وسائل الشيعة ١: ١٠٤/٥٢.

ويسعى في عملية تغيير الناس نحو التكامل، وهذا أولى من أن تكونوا جميعاً هالكين ولا أثر لكم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (البقرة: ٦٤).

الثاني: أن يكون الخطاب موجهاً إلى بني إسرائيل في صدر الإسلام، وعليه يكون المعنى أننا نذكركم بحدث حَدَثَ لَأَسْلَافِكُمْ وهو رفع الطور عليهم من قبل الله وحصل ما حصل لهم كما ذكرنا، وبعده أخذ الله الميثاق والعهد منهم بواسطة موسى على أن يأخذوا ما في رسالتهم بكل قوة وحزم وتعمق والتزام، وكانوا كعادتهم في نقض العهود والمواثيق الإلهية، ولم يأخذهم الله بنقضهم للعهود للانتقام بعده، وإنما أخذهم برحمته العامة بزيادة النعم والتجاوز عما مضى تفضلاً منه عليهم، وإلا لأهلكهم على ذنوبهم في الدنيا قبل الآخرة، وعند ذلك لا أثر لكم وكنتم من الخاسرين منذ اللحظات الأولى لتمرّد أسلافكم، فخذوا الدروس والعبر من تأريخ أسلافكم ولا تنقضوا عهد التصديق بالرسول محمد ﷺ الموجود بينكم والمذكور عندكم في التوراة فإنه يحلّ بكم كما حلّ بهم والعاقبة للمتقين.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ • فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿البقرة: ٦٥-٦٦﴾

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- السبت: ١- التعطيل والانتقطاع والاستراحة. ٢- اليوم المعروف من أيام الأسبوع.  
٢- الخاسي: الطريد البعيد.



٣- النكال: ١- فعل الإهانة والإذلال. ٢- المنع.  
٤- الموعظة: ما يتعظ ويعتبر به.

س: ما هو المحتمل لحادثة اعتداء بني إسرائيل في السبت، وماذا كانت نتائج الاعتداء؟ وضح ذلك من خلال قوله تعالى: في الآيتين التاليتين: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ • فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿؟

ج:

أنه موقف من مواقف بني إسرائيل، وليس من الضرورة أن يكون هذا الحدث قد حدث في زمن موسى، بل من الأرجح أن يكون هذا الحدث قد حدث في زمن نبي من أنبياء بني إسرائيل، يذكر الله من خلال عرضه اليهود في صدر الإسلام وهم يعلمون بهذه الحادثة، إما عن طريق علمائهم، أو هي منقولة لهم عن طريق كتبهم

الدينية التي توارثوها، ويأتي القرآن في ذكرها ليؤكد صحتها ويحذر اليهود من الوقوع بأمثالها من العقاب.

نطلق بتوضيح هذا الحدث من خلال قراءة الآية التالية من قوله تعالى:

﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٣)، إذاً هناك قرية جميلة تطلّ على ساحل البحر ويزداد منظرها جمالاً وأنت تنظر إلى كثرة الأسماك الكبيرة التي تظهر كل يوم بالقرب من ساحلها، وكان بنو إسرائيل يصطادون من تلك الأسماك ويأكلون من لحومها، وهذا ليس فيه بأس؛ لأنها نعمة جعلها الله طعاماً للإنسان، بل ولكثرتها كان البعض يصطاد منها الكثير للتجارة ويتمّ تسويقها خارج القرية حتى وصلوا من جرّاء ذلك إلى حالة الترف والنعيم العالي الذي ميّزهم عن غيرهم، إلا أنّهم بدلاً من أن يشكروا الله على هذه النعمة بالتقرب إلى نبيّهم والالتزام بدينهم نجدهم لا يزدادون إلاّ بعداً عن الله وتمرداً على رسوله وعصيانياً لمبادئ رسالته، ولا يزدادون إلاّ استهزاء بالدين والمتديّنين، حتى وصلت بهم هذه الحالة من الشقاوة على الله أن يستحقوا نزول الاختبار الصعب عليهم، وكانت بداية نزول العذاب عليهم ذلك حينما نزل الوحي على نبيّهم ليخبره بأمر الله بمنع وحرمة الصيد عليهم في يوم السبت وجعله يوم استراحة من الصيد، وأخذ الله على ذلك ميثاقاً مؤكداً منهم عن طريق نبيّهم، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ (النساء: ١٥٤)، وبعد المنع أصبحت الأسماك بأمر الله تأتي فقط يوم السبت ولا تأتيهم في بقية الأيام ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٣).

هنا بدأت حالة الصراع الداخلي في نفوس المخالفين الأشرار وهم يشاهدون

سلعة تجارتهم المربحة أمام أعينهم بكثرة لا تتصور في يوم المنع والحرمة الإلهية التي لا وجود لها في قلوبهم ونفوسهم وأفكارهم، بدأت المخالفة لنهي الله بصيدهم الأسماك وبصورة علنية أمام أعين الجميع تحدياً لله ورسوله، كان بالإمكان أن يأخذهم بالعذاب من دون المرور بهذا الحدث لاستحقاقهم لذلك، ولكن أراد الله أن يكشف حقيقتهم علينا لناخذ الدروس والعبر من هذا الحدث.

وكان البعض من المؤمنين من بني إسرائيل يقدمون النصائح والمواعظ إليهم ولم ينفع معهم إلا إصراراً على مخالفة الله بالحيل وتوجيه النهي على غير مراده بالإضافة إلى عصيانهم السابق ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (النحل: ١٢٤). وأما مقدار الإنذار والتحذير والمواعظ الذي وجهت إليهم من قبل المؤمنين فقد وصل الأمر أن يقدم بعض المؤمنين اللوم على المؤمنين الذين يقدمون لهم المواعظ والحدز، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (الأعراف: ١٦٤)، حيث النصائح أصبحت إلى درجة لا تؤثر في نفوسهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (الأعراف: ١٦٥)، بل وصل أمر العصيان بهم إلى أشده ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ (الأعراف: ١٦٦)، هنا جاء ما ليس بحسبان أحد منهم وما لم يحصل لغيرهم من قبل، عزلهم الله عن غيرهم ممن التزموا بالنهي ﴿أَنحِيتَنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ (الأعراف: ١٦٥)، ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٥)، أي عذاب بئيس هذا؟! إنه مسخ لحقيقتهم الإنسانية التي لا يستحقون حملها ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف: ١٦٦)، ولم يقتصر الخزي على ذلك بل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف: ١٦٧)، ولم يقتصر العذاب على أن يكونوا قردة ويلحق بهم العذاب إلى يوم القيامة، بل هناك لعن الله يلحق بهم

﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (النساء: ٤٧).

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾؟

ج:

١- جعلنا عملية المسخ هذه إهانة وإذلالاً للذين وقعوا في عملية المسخ ومنعاً للذين شاهدوا هذه العملية حتى لا يقعوا بمثله وعامل تخويف للمتقين.  
٢- جعلنا عملية المسخ هذه إهانة لكل من تسول له نفسه بالوقوع بما هم وقعوا فيه سواء كانوا من الذين عاشوا المسخ أو ممن لم يعيشوه وجاءوا خلفه على طول الخط الزمني.

٣- جعلنا عملية المسخ إهانة تلاحق الذين يقرؤونها ويطلعون عليها وهم بعيدون عن خط الرسائل السماوية ويلتقون مع الممسوخين من ناحية الإيمان والعمل.

٤- جعلنا عملية المسخ إحدى المواعظ للذين يتقون ربهم كما هي طبيعتهم ومسيرتهم مع كل ما يصدر من السماء واستسلامهم المطلق لولاية الله، حيث يأخذون مسائل الخوف التي تصدر منه سبحانه موعظة لهم ليزدادوا خوفاً وخشوعاً لله سبحانه وتعالى، وترسخ فيهم روح الطاعة لأوامره سبحانه.

س: أين أصبح أولئك الذين مسخهم الله قرده وخنازير؟

ج:

ماتوا جميعاً بعد مرور ثلاثة أيام كما ورد هذا العدد في بعض من الأحاديث ولم يتكاثروا أبداً.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ • قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ • قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ • قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ • قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ • وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ • فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٦٧-٧٣)

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات هذه الآيات؟

ج:

- ١- الفارضة: المسنة التي انقطعت ولادتها لكبر سنها.
- ٢- البكر: لا تزال محافظة على بكارتها بحيث لم يستفحلها فحل.
- ٣- العوان: منتصف السنين.
- ٤- الفاقع: صفة كمال للصفرة، كما تقول: أبيض ناصع وأخضر ناظر تقول: أصفر فاقع.
- ٥- الذلول: مذلة في عمل.



٦- الإثارة: تهيج الأرض وقلب بعضها على بعض.

٧- مسلمة: سالمة من أي عيب.

٨- الشية: خلط اللون باللون الآخر.

٩- فادأرأتم: دفعتم.

س: اذكر ما يحيط بقصة البقرة من المواقف والأحداث في هذه الآيات التي ذكرتها سورة البقرة.

ج:

قبيلة من قبائل بني إسرائيل الإثنتي عشرة قبيلة، عثروا على قتيل لهم مطروح على طريق بعيد عنهم، بحثوا عن القاتل ولم يعثروا عليه، فحصل الخلاف وتبادل الاتهام الذي كاد أن يؤدي إلى نتيجة لا تُحمد عقباه، بحيث أخذت كل قبيلة تدفع الدم عن نفسها على غيرها ﴿وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادأرأتم فيها﴾، وأخذهم هدوء العقل والتفكير الصائب عندما اتفق الجميع على أن يذهبوا إلى نبيهم موسى ليساعدهم على كشف القاتل، فانتخبوا من كل قبيلة رجلاً أو أكثر، وجاء المنتخبون إلى النبي موسى ﷺ وعرضوا له الأمر، استقبل موسى القضية بكل استعداد وعلم على الرغم من أن كشف القاتل ليس من اختصاصه كنيبي، ولكنها من اختصاصه كحاكم شرعي بمقدار أن يفض النزاع بين الناس، وموسى المعصوم والنبي الملهم بالعلم أراد أن ينهي القضية بالطريق البسيط المزوج بما علمه الله وألهمه وبما يعطيه الله المعجز على يديه ليعمق في نفوسهم الإيمان بالغيب، فأصدر موسى حكمه ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾.

هنا وللوهلة الأولى قد نعطي لهم الحق في أن يثيروا استغرابهم عن العلاقة بين

كشفت القاتل وذبح البقرة، ولكن ليس لهم الحق في أن يستعملوا الألفاظ غير اللائقة بحضرة موسى النبي في أن يتهموا النبي موسى ويقذفوه بالاستهزاء بهم، فهل صدر منه الاستهزاء قبلاً حتى يصدر منه الاستهزاء بهم الآن؟! وهل احتملون صدور الاستهزاء من هذا النبي حتى أسرعتم في توجيه مثل هذا الاتهام إليه؟! أم هو استكبار منكم كاشف عن عدم امتلاككم روح الطاعة لنبيتكم؟ كان من المفروض عليكم وأنتم لم تفهموا العلاقة بين حل مشكلتكم وبين ذبح البقرة أن تسألوا عن تلك العلاقة حتى يبيتها موسى ﷺ لكم، لا أن توجهوا مثل هذه الألفاظ أمام نبي الله ورسوله وقائدكم الذي طالما تحمّل الويلات منكم وجاء ما جاء به من الخير لأجلكم.

ولكن على الرغم من ذلك تلقى موسى هذا القذف والاتهام بكل رحابة صدر وأجابهم بهدوء الأنبياء وصبرهم وأديهم باللجوء إلى الله والاعتصام به من كل جهل يحاول أن يصيبه، فمصدر الاستهزاء هو الجهل، وأي جهل يجهله؟ هل الجهل بالله الذي لا تخفي عليه خافية في الأرض ولا في السماء؟ أو الجهل بالناس وكرامتهم عند الله؟ أو الجهل برسالته التي تنهى عن الاستهزاء؟ أو الجهل بنفسه المعصومة عن ارتكاب ما هو أقل من الاستهزاء؟ أو الجهل بالموقف الجادّ الحزين المضطرب الذي لا يتحمّل الاستهزاء؟ الرسول موسى لم يكن جاهلاً بأيّ منها ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فإنّ الأنبياء يتعوّذون دائماً من خلال لجوئهم العملي الجادّ الواعي والمخلص لا التعمّذ القولي كما نحن عليه.

ولم يكن عند بني إسرائيل أدب عقائدي أو أخلاقي يكشف ولو من بعيد عن انصهار الإيمان بالله بقلوبهم، فلم يقولوا: ادع لنا ربنا، بل ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ التي

يكرّرونها دائماً، وماذا تريدون من ربّه؟ قالوا: ﴿يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ﴾؛ لأننا لا زلنا مستغربين عن العلاقة بين ذبح البقرة وكشف القاتل؛ ولهذا نحن سألناه هذا السؤال لاعتقادنا أنّ هناك نوعاً خاصاً من جنس البقر قد يكون له علاقة بكشف جريمة القتل، فأجابهم موسى بما يقطع أيّ طريق للظنّ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بقرة لم تكن كبيرة السنّ بحيث انقطعت عن الولادة لكبر سنّها، ولا أنّها صغيرة، بل هي بالغة إلى مرحلة تستحقّ ركوب الفحل عليها، ولكن لا نريدها قد ولدت من فحل، بل نريدها بعمر ما بين الفارض والبكر ويشترط عدم الولادة كما بيّنا.

والآن قد عرفتم التفصيل والتوضيح إذا كانت إرادتكم ذلك، والآن ما بقي أمامكم إلا أن تذهبوا لتفعلوا ما أمركم به وعلى هذه الصورة الواضحة ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾، ولا تبحثوا عن تفصيل أكثر؛ لأنّ التفصيل هنا ليس له محلّ، لأنّه لو كان هناك تفصيل لكان من واجبي أن أبيّنه لكم، ولهذا كان بإمكانكم أن تأخذوا بأيّ بقرة عند جوابي الأوّل لكم؛ لأنّي لم أذكر لكم أيّ قيد زائد، ثمّ أنكم أنتم الذين جئتم إليّ لثقتكم بي، والمفروض أن يكون إيمانكم هو الذي دفعكم بأن تأتوا إليّ؛ لأنّي نبيّكم وها أنا ذا أمركم بهذه الأوصاف فافعلوا ما تؤمرون لقضاء حاجتكم أنتم ولحلّ مشكلتكم التي أنتم بحاجة إلى حلّها.

ولم ينفع معهم كلّ ذلك، بل ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا﴾ إذا كان عندكم استغراب من قبل هذا السؤال وكنتم تعتقدون بأنّ هناك فرداً له علاقة بكشف القاتل فقد أعطيتكم بما فيه الكفاية في ذلك، والآن تسألون عن لونها فهل هذا له ارتباط باستغرابكم أيضاً بالعلاقة بين ذبح البقرة واكتشاف الجريمة؟! أم هو لاجابة

منكم كما هي طبيعتكم؟ وأعتقد أن كل مطلع على طريقتكم هذه سيعين الطرف الثاني، ولهذا سيبدأ تضيق خناق الأوصاف والشروط عليكم ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾، أجابهم بجواب خارج عن موضوع الكشف كما هم أرادوا ذلك بلجاجتهم، بقرة صفراء لكن لم يكن صفارها من الصفار العادي، بل شديد الصفرة وليست شدته تتفر منه النفوس، بل من الصفار الشديد الصفرة الذي يريح نفوس الناظرين إليها، لم يختلط مع لونها الذهبي أي لون آخر يزاحم صفرتها فهي ذات صفار فاقع.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ وأعادوا السؤال من الأول وكأن هذه البيانات والتفصيلات لم تبين لهم شيئاً، فقد تشابه جنس البقرة عليهم !! ولكن عرفوا في أنفسهم أنهم غير طبيعيين في أسئلتهم، ولهذا تجدهم أعطوا تعهداً أنه آخر سؤال لهم. ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لو لم يستثنوا - يقولوا: إن شاء الله - لما تبيئت لهم إلى آخر الأبد»<sup>(١)</sup>.

فأجابهم بتضيق خناق آخر، بأنها بقرة من جنس البقر العادي المعروف ولكنها صعبة المطاوعة؛ لأنها لم تكن من العاملات قبلاً بشيء في الزراعة لإثارة الأرض أو بشيء في السقي، وأنها سالمة مسلّمة من أي عيب، وأنها ذات لون واحد وهو الصفار ولا يختلط معه لون آخر ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُبِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾، هنا لم يبق شيء يجدونه ليسألوا عنه فأذعنوا للحق اضطراراً وهم يشاهدون أن موسى يُجيبهم بأجوبة مختلفة إلا أنها لا

تخرج عن موضوع البقرة، فعرفوا أن إصرار موسى على ذبح البقرة لما للبقرة من دور في اكتشاف القاتل ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ولكن لم يكونوا على اطمئنان من ذلك ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

إذن هم بحثوا عنها حتى عثروا عليها وبأوصافها بعد جهد جهيد، وفترة زمنية طويلة خسروها، وبإشغال فكر الكثير من الناس، وخسران طاقة كثيرة عند البحث والانتقال من مكان إلى آخر لأجل العثور عليها، وخسارة ثمن معادل لقيمة البقرة النادرة الذي كان ثمنها على ما قيل: بملء جلدها ذهباً بعد أن كان ثمنها ثلاث دنانير، والعصيان الذي حصلوا عليه من لجاجتهم أمام نبيهم، وغيرها من الصعوبات التي جلبوها لأنفسهم.

جاؤوا بها وقدّموها أمام موسى ﷺ بعد بذل جهد جهيد وبعد فترة من الزمن الطويل، ذهبوا بها جميعاً في المكان الذي يوجد فيه جسم المقتول كما أمرهم موسى بذلك، وقبل أن يطرحوا البقرة للذبح قال لهم موسى: قد وقع بينكم الخلاف على من هو القاتل، وأصبحت كل قبيلة تدفع عن نفسها القتل وبذلتهم جهوداً في البحث ولم تعثروا على القاتل، وسوف ترون الآن كيف يخرج الاعتراف من لسان المقتول نفسه ليخرج من خلاله معرفة القاتل الذي أوى القاتل وقبيلته أن يعترفوا بقتله مع علمهم بذلك ﴿وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

ذبحوا البقرة وقطعوا إلى أجزاء، قال موسى: خذوا جزءاً من البقرة، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الله أمر بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة وإنما كانوا يحتاجون إلى ذنبها فشدّ الله عليهم»<sup>(١)</sup>، وأمرهم أن يضربوا جزءاً من البقرة بجزء

من جسم المقتول لترون آية من آيات المعجز بإحياء هذا الميت لكي يتعمق الإيمان في قلوبكم ويرىكم قدرته سبحانه وحقيقته يوم البعث والنشور وهو أهم بكثير من معرفتكم للقاتل ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتَى وَيُزِيكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ واضربوه أنتم بأيديكم ليكون الإحياء على أيديكم لتتيقنوا بأن ما سيحصل بضرب جزء ميت بجزء ميت آخر هو إحياء المقتول الميت وهو آية من الله لا من سحر ساحر ﴿وَيُزِيكُمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وقد أحى الله الميت وسرد لهم قصة قتله ومن هو قاتله، ثم أماته الله مرة أخرى.

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام يقول: «إن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه، فقالوا لموسى: إن سبط آل فلان قتلوا فلاناً، فأخبرنا من قتله؛ قال: إيتوني ببقرة، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذَنَا هُزُوراً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم، ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾، يعني لا صغيرة ولا كبيرة، ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾، ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم، ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾، ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم، ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تبيير الأرض ولا تسني الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق، فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل فقال: لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهباً، فجاؤوا إلى موسى عليه السلام وقالوا له ذلك، قال: اشتروها

فاشتروها وجاؤوا بها فأمر بذبحها ثم أمر أن يضربوا الميت بذنبها فلما فعلوا ذلك حياى المقتول وقال: يا رسول الله، إن ابن عمي قتلني دون من يدعى عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله، فقال رسول الله موسى لبعض أصحابه: إن هذه البقرة لها نبيأ، فقال: وما هو؟ قال: إن فتى من بني إسرائيل كان بارأ بأبيه وإنه اشترى بيعاً فجاء إلى أبيه والأقاليد تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع، فاستيقظ أبوه فأخبره فقال: أحسنت، خذ هذه البقرة فهي لك عوضاً مما فاتك، فقال له رسول الله موسى: انظروا إلى البر ما بلغ بأهله»<sup>(١)</sup>.

س: ما هي المحتملات التي ترد في قولهم: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ الله لَمُهتدون﴾؟

ج:

١- أنا إن شاء الله لمهتدون للعثور على البقرة.

٢- أنا إن شاء الله لمهتدون إلى العثور على القاتل.

٣- أنا إن شاء الله لمهتدون وملتزمون بكلامك.

٤- أنا إن شاء الله لمهتدون بالقناعة بحكمك.

س: لو تتبنا قصة البقرة لوجدنا الحكاية عن بني إسرائيل (قالوا) وعن موسى (قال) فما هو السبب في قوله تعالى: أخيراً: ﴿فَقُلْنَا اضربوه ببغضها﴾ مع أن القائل لهم واحد وهو موسى في الجميع؟

ج:

١- استخدم ضمير الجمع هنا لأن الفعل قد اشترك فيه النبي موسى ﷺ بنقل الحكم وبنو إسرائيل بشراء البقرة والنقل والضرب، والله بالإحياء.

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ٣١/١٦.

٢- أن يكون لفظ (قلنا) مختصاً بالله لعظمة شأنه ولأجل أن الحكم الشرعي والإحياء منه سبحانه.

س: ما هي الدروس التي يمكن أن نستنبطها من قصة البقرة؟

ج:

- ١- أن نعتق في نفوسنا معرفة الشخصية النبوية، حتى نكتسب معرفة كيفية التعامل والتخاطب معه ومقدار الطاعة التي يجب علينا أن نقدمها إلى رجل السماء ومقدار التسليم لأوامره، وتظهر الفائدة الفعلية لهذه المعرفة عند ظهور الحجة المنتظر محمد المهدي عليه السلام لمن يرزقه الله اللحوق به والوقوف إلى جنبه.
- ٢- عندما نثق برجل وقد وكلنا أمرنا إليه في أي مجال من مجالات الحياة لا بد أن نكون عوناً إليه ونسهل له طريقة الإبداع والجواب فيما وكلنا إليه من الأمور، وذلك من خلال طاعتنا له وكشف ما يساعده على تحليل بعض الأمور ومعالجة المشكل الذي يواجهه ونجعله في راحة نفسية، لا أن نزيده لجاجة وعناداً وتمرداً ونخفي عليه أشياء وهو يعمل لأجلنا لا لأجله، فإن في ذلك رجوعاً عن هدف التوكيل وفشلاً لمن وكله وبالتالي لا نزداد إلا تفهراً وتمزقاً وسكوناً في تمركنا الذي تمركنا من أجله.
- ٣- أن نقرأ ونطلع ونكتب ونتعلم ونخوض تجارب الحياة الاجتماعية والسياسية حتى ينعكس ذلك على فكرنا وروحنا وبصيرتنا، فنكون مؤهلين على أن نمثل السماء في أخلاقنا وتعاملنا وقراراتنا وتصغر العظام من المشاكل أمام إرادتنا، وأن نفكر بمقدار عطائنا لمبدأ السماء قبل أن نفكر بمقدار ما نأخذه ونحصل عليه من المكاسب والأرباح، وبهذا نكون فعلاً قد أخذنا العبرة ممّا وقع بنو



إسرائيل به.

٤- أن نربط كل موقف نسعى لإيجاده أو لحله بالإيمان بالله وإظهار صفاته والمعاد ومواقف الأنبياء وحركتهم؛ لأن هذه الأمور أي ربط الحدث أو الموقف بعالم الغيب تمثل أهم وأكبر من أي موقف في الحياة صغيراً كان أم كبيراً، ولهذا موسى لم يلتفت إلى حل مشكلة بني إسرائيل بقدر ما أراد أن يذكرهم بما هو أهم ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فليكن همنا الأكبر في أي تحرك نتحرك لأجله هو أن نربط الموقف الذي تحركنا لأجله بموقف ديني نذكر الناس من خلاله على مفردات الدين والعقيدة فيكون الهدف هو هذا والموقف الذي تحركنا لأجله هو الوسيلة.

٥- أن نوجه السؤال إلى من يهمنا أمره قبل توجيه التهم ضده من قبلنا.

٦- أن نفتش عن القصد من صاحب التصريح قبل حمله على الوجه السلبي له.

٧- أن نبتعد عن أي عنصر تشكيك في أمر القيادة الذي يكون سبباً في عرقلة الامتثال والطاعة.

٨- أن نختر في مسيرتنا العناصر المنفتحة ذات الصدر المنشرح المملوء حباً وثقة وعلماً وصدقاً وبساطة في الأخلاق لا العناصر اللجوجة أو المعاندة أو المشككة أو الحاقدة أو اللثيمة أو الجاهلة التي ترى من نفسها أكثر مما تستحقه فلا يصدر منها إلا التجرؤ وفقدان الاحترام والثقة والألفة وبالتالي فشل المسير والوصول وعدم الوصول إلى الهدف.

٩- أن الآداب الموروثة من الآباء وتقليد الماضي بصورة عامة والتطبع عليه والألفة به لا قيمة له مقابل تقليد ما أنزله الله من الشخصيات والكتب، وعلى الإنسان

أن يتنازل عن كل موروث يعارض الشريعة، فكان بالإمكان أن يستسلموا لأمر الله عندما قال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ لكن تقليد الماضي وتطبعهم عليه وسيرهم فيه جعلهم من الصعب أن يتخلّوا عنه وينتقلوا منه إلى تقليد الله والرسول والاستسلام المباشر له، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على خطورة التقليد الأعمى للماضي ومن دون حركة عقلية تشترك في توضيحه وتصحيح الخطأ فيه.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٧٤)

### ● قسوة القلب

س: ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا...﴾؟

ج:

الآيات والمعاجز التي مرّت على بني إسرائيل والتي عاشوها بأنفسهم ونظروا إليها بأعينهم لم تؤثر أثرها بما هو أقل من المنشود منهم، بل ظهور كل معجزة وتقديم كل نعمة لهم لا تزيدهم إلا قسوة في القلب، وهذه الظاهرة فيهم هي عكس مسير كل العقلاء التي لا تزيدهم النعم إلا خشوعاً وعطاءً واستسلاماً، فهنا شبه الله قلوبهم كالحجارة في الصلابة بصفاتها العامة، أو أن تكون كالحجارة بالنسبة إلى مسير الآخرين حيث تكون في وسط طريق لا تكون إلا حجرة عثرة للسايرين في الطريق، بل إن هذه الحجارة لها أفضل من تلك القلوب التي يحملها بنو إسرائيل؛ لأن الحجارة تعطي وتطيع، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (النحل: ٤٩)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤)، وتفتح نفسها من أجل الآخرين، فهي تمتلك فجوات مفتوحة يتفجّر من خلالها الأنهار، وترى بعضها تتشقّق ليخرج الماء منها عيوناً ونبابيع، وإن منها يسقط من الأعالي لخضوعها للقانون التكويني الذي جعله الله لها من الزلازل أو الصواعق أو قوّة رياح أو ثقل ثلج عليها وغيرها من

الأمر التي تسري بأمر الله التي تخضع لها الحجارة على الرغم من صلابتها ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (العنبر: ٢١)، إلا قلوبكم التي لا تعطي شيئاً، ولا تخضع لشيء، ولا تطيع أحداً ولا ترحم أحداً، ولا تحاول مساعدة أحد، وبهذا تكون أشد قسوة من الحجارة.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن حكيم، أنه قال: «قلب الكافر أقسى من الحجر»<sup>(١)</sup>.

س: ما هي الدروس التي يمكن أن نأخذها من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؟

ج:

أولاً: إمكان وصول قلب الإنسان من القسوة إلى أن يكون أشد من الحجارة، فلا يكون للمحبة والعطف والحنان والشفقة وغيرها من المعاني الإنسانية محل في قلبه، فيصل به الأمر إلى أن يقتل الملايين من البشر ويدمر الآلاف من البيوت والمدن على رأس أهلها، يستنزف أموال المحتاجين لإشباع غريزته، وإلى أكثر من ذلك يمكن أن يصل إليه قلب الإنسان.

ثانياً: أن الابتعاد عن الإيمان بالله وعن روح الدين والالتزام بمعانيه تكون سبباً رئيسياً في زيادة قسوة القلب، ومن جملة تلك المعاني التي تزيد في قسوة القلب هي:

١- عدم الالتزام بالوعد والعهد الذي آمن به الإنسان وأعطى بذلك الوعد على

الالتزام به وهو الإيمان بالله وبكتبه ورسله وأوصيائه، قال تعالى: ﴿قَبِيحًا تُقْضِيهِمْ مِثْقَاتِهِمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة: ١٣).

٢- كثرة الذنوب وعدم المبالاة في ارتكابها، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب»<sup>(١)</sup>.

٣- عدم التفاعل مع ذكر الموت وأخذ العبرة منه والاستعداد له، ورد عن المسيح عيسى عليه السلام أنه قال: «إن الدابة إذا لم تُركب ولم تمتهن وتستعمل لتصعب ويتغير خلقها، وكذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ويتبعها ذنوب العبادة تقسو وتغلظ»<sup>(٢)</sup>.

٤- كثرة الكلام بأمر الدنيا البعيدة عن ذكر الله، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسو القلب، إن أبعد الناس من الله القلب القاسي»<sup>(٣)</sup>.

٥- خصوص بعض المعاصي وقد عيّنتها السنة الشريفة في رواياتها، منها ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «ثلاث يقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان»<sup>(٤)</sup>.

٦- العبادة وأثرها المعروف على الروح والقلب التي لا تزيد إلا عطفاً وحناناً وليناً وخشوعاً، وترك عبادة الله معناه تعرض القلب للقسوة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه

(١) وسائل الشيعة ١٦: ٤٥/٢٠٩٣٨.

(٢) تحف العقول: ٥٠٦.

(٣) وسائل الشيعة ١٢: ١٩٤/١٦٠٦٤.

(٤) وسائل الشيعة ١٧: ٣١٤/٢٢٦٣٣.

قال: «ترك العبادة يقسي القلب»<sup>(١)</sup>.

٧- طول الأمد، قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحديد: ١٦)، ورد عن

الرسول ﷺ أنه قال: «لا يطولنَّ عليكم الأمد فتفسو قلوبكم»<sup>(٢)</sup>.

وورد عن أمير المؤمنين أنه قال: «مَنْ يَأْمَلُ أَنْ يَعِيشَ غَدًا فَإِنَّهُ يَأْمَلُ أَنْ يَعِيشَ

أَبَدًا، وَمَنْ يَأْمَلُ أَنْ يَعِيشَ أَبَدًا يَقْسُو قَلْبَهُ وَيَرْغَبُ فِي دُنْيَاهُ»<sup>(٣)</sup>.

٨- حب المال لأجله وجمعه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كثرة المال مفسدة

للدين مقساة للقلب»<sup>(٤)</sup>.

٩- أقل درجة البخل تورث قسوة القلب فكيف بنفس البخل، ورد عن

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «النظر إلى البخل يقسي القلب»<sup>(٥)</sup>.

١٠- حب الدنيا والركون إلى ما فيها من وهم اللذة ومغرياتها، ورد عن الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «وأما ت الدنيا قلبه»<sup>(٦)</sup>.

١١- النظر إلى النساء ومجالستنَّ والخلوة بهنَّ، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال:

«أربع مفسدة للقلوب: الخلوة بالنساء، والاستماع منهنَّ، والأخذ برأهنَّ،

ومجالسة الموقى. فقيل: يا رسول الله، وما مجالسة الموقى؟ فقال: مجالسة كلِّ

(١) مجموعة ورام ١١٩:٢.

(٢) تحف العقول: ١١٢.

(٣) الجعفریات: ٢٤٠.

(٤) المستدرک ١٢: ٩٣/٩٣٠٩.

(٥) تحف العقول: ٢١٤.

(٦) نهج البلاغة ١: ١٠٩/٢١٢.

ضالٌّ عن الإيمان وجائر في الأحكام»<sup>(١)</sup>.

١٢- كثرة الأكل، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَأَنْهَا مَقْسَاةٌ لِلْقَلْبِ، وَمَكْسَلَةٌ لِلصَّلَاةِ، وَمَفْسَدَةٌ لِلْجَسَدِ»<sup>(٢)</sup>.

س: كيف يمكننا أن نحلّل حالات القلب من قسوته ولينه؟

ج:

أن نستعين في تحليل ذلك بالرجوع إلى المثل الإلهي حيث شبه قسوة القلب بالحجارة، ومادة الحجارة هو التراب، والتراب قابل للتأثير والتأثر حسب العوامل الخارجية التي تؤثر عليه، فإذا كانت العوامل الخارجية ماء وهواء وبذوراً تأثر التراب بهذه العوامل وتفاعل معها وأثر بحيث أعطى زروعاً وأثماراً ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (الحج: ٥)، وإذا كانت العوامل الخارجية ضغطاً عالياً وناراً تأثر التراب بها وتحول إلى حجارة يموت فيها التأثير والتأثر، فلا تجد أمامك إلا كتلة من القسوة والشدة والصلابة، فكذلك القلب عندما تؤثر عليه العوامل الخارجية الخيرة من ذكر الله وطاعته قبل التأثر والتفاعل وأثر بحيث يعطي الخضوع والخشوع والتذلل لله والاستجابة للرسول والعطف والحنان وغيرها من الأمور التي يعطيها القلب السليم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: ٢)، وإذا كانت العوامل الخارجية غير خيرة من التمرد على الله واقتراف المعاصي والجرائم تأثر القلب وتفاعل سلباً حتى يموت فيه التأثير والتأثر فلا تجد أمامك إلا كتلة من القسوة فلا عطف ولا حنان ولا خشوع ولا تضرع ولا إيمان بغيب.

(١) وسائل الشيعة ١٦: ٢٦٦/٢١٥٣٠.

(٢) المستدرک ١٦: ٢٢١/١٩٦٥٢.

س: لقد ذكرتُم عندما حصلت عقوبة التيه أخذ موسى مجموعة من بني إسرائيل ومن الذين لم يشملهم التيه إلى مكان بعيد عن بلاد الشام، السؤال اذكر أهم الأحداث التي مرّت في ذلك المكان البعيد وفي زمن التيه.

ج:

الحدث الأول: وفاة الأخ الأكبر لموسى وهو النبي هارون بن عمران عليهم السلام جميعاً بعد عمر بلغ المائة وثلاثاً وثلاثين سنة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «عاش موسى مائة وعشرين سنة، وعاش هارون مائة وثلاثاً وثلاثين سنة»<sup>(١)</sup>، دفنه موسى في موقع لم يعرف عن قبره الشريف شيء لجهالة المكان الذي أقام موسى به، فنعم العابد الزاهد، والصابر المجاهد، المبلغ لرسالة ربه، والمناصر لأخيه.

الحدث الثاني: جاء الأمر إلى موسى ﷺ من قبل الله عزّ وجلّ بأن يترك منطقته ويذهب إلى منطقة نائية جداً وهي مجمع البحرين للملاقات مع وليّ من أولياء الله وعالم من الأعلام ونبي من الأنبياء ذلك هو الخضر سلام الله عليه.

س: اشرح ما تعرفه عن كيفية اللقاء الذي حصل بين موسى والخضر.

ج:

هذه القصة وما يتعلق بها سوف تأتي في محلّها عند ذكر آياتها إن شاء الله تعالى.



س: اذكر ما تعرفه عن قصة قارون وأهم ما جرى عليه مع بيان السبب.

ج:

صحيح أن قارون وموقفه قد جرى مع موسى وضمن تحرك بني إسرائيل الذي ذكرناه، ولكنه الحدث الذي لن نذكره ضمن تحرك بني إسرائيل؛ لعدم علمنا في أي موضع نضعه ضمن هذه الأحداث مع عدم الخلل عند عدم ذكر قصة قارون، ولهذا سوف نذكر حدث قارون في محل ذكر الآيات المختصة به من سورة القصص إن شاء الله تعالى.

س: أين توفي موسى؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

بما أن المحطة الأخيرة لقصة حياة موسى ﷺ هي افتراقه من الخضر ﷺ فيمكن أن يقال: في وفاته توجد ثلاث احتمالات:

١- أما في منطقة مجمع البحرين إذا قلنا: إن موسى بقي ولم يرجع إلى منطقتة التي انطلق منها.

٢- أو عند رجوعه وهو في طريقه إلى منطقتة التي انطلق منها، أي توفي في الطريق ما بين مجمع البحرين ومنطقة استقراره، ورد عن الرسول ﷺ عندما سئل عن قبر موسى ﷺ أنه قال: «عند الطريق الأعظم، عند الكثيب الأحمر»<sup>(١)</sup>.

٣- أو أنه ﷺ قد تمكن من الرجوع إلى منطقتة وتوفي فيها.

(١) تفسير القمي ١: ١٦٥.

وعلى جميع الاحتمالات لم يمّت موسى ﷺ إلا بعدما أوصى بما أوصى به إلى وصيته يوشع بن نون الذي لم يظهر له دور بارز متيقن إلا بصحبة موسى ﷺ في سفره، وهذه قرينة على أن آخر حدث لموسى ﷺ هو سفره للقاء مع النبي الخضر ﷺ.

ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «أوصى موسى إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون، ولم يوصِ إلى ولده ولا إلى ولد موسى، إن الله عزَّ وجلَّ له الخيرة، يختار مَنْ يشاء مِمَّنْ يشاء، وبشَّرَ موسى ويوشع بالمسيح»<sup>(١)</sup>.

ومما فيه دلالة الوصية لموسى قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (البقرة: ٢٤٨).

توفي موسى وقد غسله وكفنه وقام بدفنه وصيته يوشع بن نون الذي لازمه في كل الطريق ما بين منطقتة التي انطلق منها إلى ما بعد مجمع البحرين، ﴿وَلَقَدْ مَتَّأْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ • وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ • وَنَصَرْنَا هُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ • وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ • وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ • وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ • سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ • إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات: ١١٤-١٢١).

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ • وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضِبِهِمْ إِلَى بَعْضِ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ • أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ • وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ • فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ • وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٧٥-٨٢)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات هذه الآيات؟

ج:

- ١- الطمع: تعلق النفس بما تعتقد فيه النفع.
- ٢- التحريف: تبديل اللفظ أو المعنى أو المحل.
- ٣- الفتح: إزالة الموانع والإشكال.
- ٤- الأمي: وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب، منسوب إلى الأم، لأن شفقتها تمنعها من إرسال ابنها إلى المعلم وتسلمه تربيته، فكان يكتبني بتربية الأم له.

٥- الأمنية: ١- الكذب. ٢- التصورات التي لا حقيقة لها وراء الذهن وإن ظنَّ صاحبها أن لها واقعا.

٦- الويل: ١- شدة الشرِّ والعذاب. ٢- كل ما يحذرُه الإنسان أشدَّ الحذر منه.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

١- أن هذه الآية نزلت وهي تخاطب المؤمنين الأوائل لتكشف لهم حقيقة يهود المدينة من بني إسرائيل الذين يمثلون أنفسهم امتداداً لقوم موسى ﷺ وبني إسرائيل الأوائل.

٢- أيها المؤمنون لقد اطلعتم على ظاهرة من سيرة اليهود قبل الإسلام التي تؤيد ظهور نبي الإسلام ذلك بما يحملون من ذكر نبوة محمد ﷺ في توراتهم، حتى فرحتهم لهذه الظاهرة وغرَّتكم بحيث جعلتم هؤلاء اليهود كأحد المجموعات المهمة التي ستكون لكم عوناً في مساندة الرسول ﷺ وتصديقه، ويناصروكم على أعدائكم، وإنهم سيكونون الأوائل في الصفِّ الإيماني. نجيبكم بأن هؤلاء اليهود لا يختلفون عن أولئك اليهود الذين كانوا يسمعون كلام الله من خلال ألواح موسى، وكلام موسى مع الله ومشاهدتهم لآيات الله الكثيرة التي عاشوها بأنفسهم وتيقنوا أنها آيات الله، وعرفوا الغرض منها وما يحيط بها ثم يأتون من بعد كل ذلك وبعد فترة من الزمن يحرفون كلام الله وكلام موسى وكلمات رسالته وهم يعلمون أنهم يقومون بجريمة التحريف والتضليل الكبيرين،

ويعلمون أنها جرأة على الله وعلى رسوله سواء كان هذا التحريف قد أصاب الكلمة أو المعنى، وهؤلاء يهود المدينة هم نفس أولئك من حيث إنهم سائرون على نفس المنهجية ويمتلكون نفس العوامل النفسية المعقدة من الخباثة واللجاجة، وهم يحملون الآن التوراة فحسب ولم يعيشوا الآيات بأنفسهم، فهنا يكون استسهال تحريفها أولى بالإضافة إلى العناد الذي ورثوه، فكيف تطمعون بمثل هؤلاء أن يؤمنوا بدينكم؟! وكيف تريدون منهم ألا يحرفوا كلام الله عن مواضعه؟! وكيف تنتظرون منهم أن يناصروكم؟!.

٣- أن يطمع الإنسان المؤمن في أن يؤمن الناس جميعاً، هذه صفة رسالية إيجابية ويجب المحافظة عليها، ولكن في نفس الوقت من الواجب أن تدرس الموضوع التي تطمع له ليكون تحركك المدفوع من قبل طمعك مبنياً على أساس من الحكمة وأنه من التحرك المشر، وإلا يعدّ نوعاً من السفه والضياع للجهود. فالطمع بهداية اليهود قد تفلح مع بعض منهم منفردين، أمّا مع المجتمع اليهودي فهذا أمر صعب؛ لوجود هذه الصفات السلبية في علمائهم التي أخذوها من أسلافهم والتي لم يتخلّوا عنها، بل يصرون على تعميقها في نفوسهم وينغلقون عليها، فلا أمل في أن تطمعوا بهم جميعاً مع وجود هؤلاء العلماء المتحجرين بينهم ووجود المقلّدين لهم من اليهود، فهذا العامل يمنع من وصول الهداية لهم كمجتمع وكتلة واحدة.

٤- أن هذه الآية المعني بها شريحة خاصّة وهم علماء بني إسرائيل؛ لأنهم هم الذين يقومون بعملية التحريف لا عامّة الناس من اليهود، وعليه يجب الفصل في عملية التقييم والتبليغ بين علماء اليهود وعامّتهم وهم خاضعون لعلمائهم، واليهود كأفراد.

٥- أن تشير الآية إلى خطورة عملية التحريف وخصوصاً المتعلق منه بكتاب الله، فإنها معصية كبيرة وخطيرة على المجتمع الديني لما ترك من الآثار السلبية كان من يكن فاعلها، فعلى أصحاب البدع أن يحذروا ذلك كل الحذر.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُسُثُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾

ج:

١- كشف إلهي آخر لصفات وحقائق أخرى عن التحرك المضاد لبني إسرائيل

لموقفين لهم:

الأول: هو لقاءهم مع المؤمنين حيث التظاهر بالإيمان؛ لأنهم لا يمتلكون حجة للإنكار من جهة، ولأن حجة المؤمنين بالغة التأثير دامغة لحججهم، خصوصاً إذا لاحظنا أن بعضها من نفس التوراة التي هم يحملونها ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ وهذا يكشف أن المسلمين يقرؤون ويطلعون على الأديان الأخرى لا أنهم يقلدون في إيمانهم تقليداً أعمى، فهم يعرفون ما تذكره الأديان الأخرى بتفصيلاتها.

الثاني: عندما يخلو بعضهم ببعض، علماء بعلماء، أو علماء بعامة، حيث يمنع علماء اليهود البعض الآخر منهم من أن يتلون التوراة أمام المسلمين ويذكرون ما جاءت به، والتي تذكر بعض التفاصيل التي تخص بعثة الرسول ﷺ وشخصيته وهذا النوع من القراءة يعطي في يد المسلمين الحجة الكاملة ضد كل من يحاول إنكار مبعث الرسول ﷺ وعدم التصديق به، وعلماء اليهود لا

يريدون أن يرفدوا مسيرة الرسول ﷺ بأي عنصر من عناصر القوة التي تسهل عليه طريق نشر الدعوة إلى الله من خلال الإسلام، وقراءة التوراة أمام الناس ونشرها بينهم يعتبر أحد العناصر القويّة التي يكسب من خلالها الرسول ﷺ ثروة بشرية تختزل له كثيراً من الجهود والمتاعب لما تحمل التوراة من الحقائق التي تدعم دعوته وتحركه وتبليغه للناس، بالإضافة إلى أن هذا النوع من الطرح منكم أمامهم ممّا يزيد تضيق الخناق على المشركين.

هكذا كان يتحدث العلماء من اليهود مع جماعتهم، وكأنّ المسلمين في غفلة عمّا هو موجود في التوراة التي تأتيم تفصيلاتها عن طرق الغيب والوحي الإلهي، وبذلك يكون المسلمون أكثر معرفة من اليهود أنفسهم بالتوراة.

ورد عن الإمام الباقر ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، أنّه قال ﷺ: «كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين، إذا لقوا المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفة محمد ﷺ، فنهى كبراًؤهم عن ذلك وقالوا: لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمد ﷺ فيحاجّوكم به عند ربّهم فنزلت هذه الآية»<sup>(١)</sup>.

٢- أنّ هذا النوع من التدليس والتعميه لا يريد به اليهود أن يجري أمام المؤمنين فقط، بل أرادوه أن يسري على الله وينطلي عليه كذلك، حيث إذا منعوا وصول الحجّة أمام المؤمنين سوف لن يحاسبهم الله على منعهم هذا؛ لأنّ المؤمنين سوف لن يحتجّوا أمام الله على شيء لم يعلموا به ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، فهم ينتهون جماعتهم على هذه النقطة، فهو نوع من الإيهام على جماعتهم، ويأتي

الجواب الإلهي بأن هذا النوع من التدليس والإيهام إذا يخفى على الناس فهو لا يخفى على الله؛ لأن الله يعلم ما يسرون في هدف منعهم لقراءة التوراة، ويعلم ما يعلنون بقراءة التوراة وما فيها، فلا تخفى على الله من خافية في الأرض ولا في السماء، فمنعهم حديث التوراة بين الناس بهذه الحجة هو عين الجهل بالله ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

٣- أن حجبتهم بمنع الحديث بين المؤمنين بهذه الحجة وهي ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾، يكشف أنهم يعتقدون بالله لا كما هو ولا كما يعتقد المؤمنون به سبحانه، بل يجعلونه من سنخ الممكن الذي لا علم له إلا بما يحيط به من الظاهر، وأما ما خفي فليس لله قدرة على العلم به وبالتالي لا تكون حجة للمؤمنين ولا لله حجة عليهم لإخفاء الحجج عليه سبحانه وعلى المؤمنين، وهذا منتهى التحجّر الفكري لعلمائهم، وأما عامتهم فالجهل أعلى وأوضح؛ لأن الله وهو غائب يعلم الجهر وما يخفى وهذه إحدى مميزات علم الله عن علم غيره.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾؟

ج:

١- أن الآية تشير إلى بعض علماء اليهود الذين كانوا متصدّين للدين اليهودي، الذين يتعاملون مع الدين على أنه سلطة تجلب لهم المراكز العالية والمنافع المادّية الأخرى، وتأتي الآية لتكشف حقيقة أكثر مرارة من ذلك، فهم يعتبرون أن مسألة أصل الدين ما هي إلا مجموعة من أساطير الأولين لا وجود لها



واقعاً ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الفرقان: ٥)، وأن وجود الدين والكتاب وجود كاذب ﴿ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾، وادعاؤهم هذا قد يكون ناتجاً من أجل ما ذكرنا وهو حب السلطة والمال، وقد يكون ناتجاً لجهلهم بالدين عن شبهة لايمانهم بالمادة والحس الذي عُجِنَ مع قلوبهم منذ الزمن البعيد، فيستقيم الله أميين لأجل إيمانهم الداني هذا، أو لعدم فهمهم للدين أصلاً.

٢- أن الآية تشير إلى قسم كبير من اليهود وهم العامة، الذين ليس لهم إلا عامل التقليد لعلمائهم، وبالتالي هم لا يحملون إلا أكاذيب علمائهم التي يملونها عليهم على أنها من الكتاب، فلا يحللون المواقف ولا يعرفون الغايات ولا يطلعون على الكتاب بأنفسهم ولا يدخلون عامل التفكير والعقل في شيء مما يصدر من علمائهم، فهم أميون بكتابتهم وما يعتقدون به ﴿ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فيدافعون عن يهوديتهم ويتحسسون لها معتقدين بصدق ما ينقله إليهم علماءهم؛ لعدم اطلاعهم على أي دين آخر بسبب أميتهم وتقليدهم الأعمى لعلمائهم فقط وحصراً أنفسهم عليهم، فحقيقة عامتهم أنهم واقعون في الأكاذيب والجهل ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ فهم في جهل مركب.

٣- أن الآية تشير إلى علماء اليهود الذين لا يفسرون الكتاب ولا يأخذون منه إلا بما ينسجم مع تصوراتهم التي يعليها عليهم خيال أفكارهم وإن كانت بعيدة التحقق وبعيدة عن المعنى الإلهي الذي يريد الله من الآية، ويحاولون الابتعاد عن كل آية تصطدم مع تطلعاتهم وأمانيتهم وتصوراتهم الكاذبة، وبالتالي هم لا يحملون من الكتاب إلا تلك الأمانيات الخيالية الكاذبة، وإن هم إلا يظنون بتحقيقها كأن يكونوا شعب الله المختار، أو أن تكون سيطرة العالم تحت أيديهم.

## ● التقليد

س: لقد ذكرت في النقطة الثانية: (أنَّ العامَّة ليس لهم إلاَّ تقليد علمائهم) فكأنَّك تريد أن توجَّه نقطة ضعف في سلوكيَّة عوامِّ اليهود بأنَّهم يقلِّدون علمائهم، وهل يوجد طريق آخر للعوامِّ لمعرفة دينهم غير طريق تقليد العلماء كما هي سيرتنا كمسلمين حيث نحن قائمون على تقليد علمائنا في معرفة ديننا، وكما هو فرض العقل برجوع الجاهل إلى العالم؟

ج:

صحيح من واجب الجاهل الرجوع إلى العالم، وصحيح لا بدُّ من تقليد العوامِّ لعلمائهم، وهذا ممَّا أوجبه العقل والشرع، ولكن يجب في نفس الوقت أن نرى ما هي حدود دائرة تقليد العلماء في الشريعة؟ وما هو موقع العالم الذي يجب أن يكون فيه حتَّى لا يتعدَّى نفس العالم عن دائرته ولا يتعدَّى العامِّي على دائرة العالم؟ إذا حدَّدنا ذلك وعرفناه سوف نعرف نقاط الضعف التي وقع اليهود فيها في مسألة تقليدهم لعلمائهم، فنقول:

- ١- تقليد العلماء ليس له وجود في دائرة أصول الدين من إثبات وجود الله والنبوة والإمامة والمعاد؛ لاعتماد حصولها وضرورة ثبوتها على العقل فقط.
- ٢- تقليد العلماء له وجود في دائرة فروع الدين من الصلاة والصوم والحجِّ والخمس والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من العبادات التي حدَّدها الشارع المقدَّس لا مطلقاً.
- ٣- تقليد العلماء له وجود في دائرة فروع الدين بخصوص الذي له تعلق بالإفتاء وما

كان يتعلّق بالحكم الشرعي لا مطلقاً كذلك؛ لأنّ من الأحكام ما هي واضحة في نوعها ولا تحتاج إلى بذل جهد في تحديدها كحرمة الخمر ولحم الخنزير فلا دخل للعالم في هذه الأمور الواضحة لكلّ مسلم، فإنّه لا اجتهاد في مقابل النصّ.

٤- تقليد العلماء له وجود في دائرة الإفتاء وما له تعلّق بالحكم الشرعي لا مطلقاً، بل مع مراقبة المفتي في إفتائه من حيث سلامة شخصه والظروف التي أحاطت بالفتوى التي صدرت منه.

إذا عرفت هذا التحديد وشخصت الدائرة التي يتحرّك بها العالم بكونه مقلداً عرفت نقاط الضعف والقوّة في تقليد اليهود لعلمائهم، وعرفت الفرق بين تقليد اليهود لعلمائهم وبين تقليدنا لعلمائنا، فإنّ اليهود قد تعدّوا في تقليدهم لعلمائهم حتّى إلى النقطة الأولى المرتبطة بأصول الدين حين سكتوا عن قول علمائهم حين جعلوا عزيزاً ابن الله، وأنّ الجنّة محصورة دخولها على اليهود فقط، وغيرها من الأمور التي لها علاقة بأصول الدين ومخالفة لصريح التوراة ونصوصها.

هذا، مع عدم مراقبة علمائهم فيما يصدر منهم ودراسة الدوافع التي دفعتهم لمثل هذه الإفتاءات المخالفة، وهذه هي الصنميّة التي وقع فيها اليهود حين قلّدوهم في كلّ شيء ولم تختصّ هذه الظاهرة السلبيّة في اليهود فقط، بل وجودها حتّى عند النصارى كذلك، وبهذا يقول الله عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُؤُا ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠-٣١).

س: في جوابكم عن السؤال السابق وفي تشخيص دائرة التقليد ذكرتم في النقطة الرابعة مراقبة المفتي وظروف الإفتاء، وضح ذلك.

ج:

أن العالم المفتي يختلف عن المعصوم في كونه معرضاً للجنون والفسق والجبن والوقوع في الشبهة والغفلة ويقع تحت الضغط السياسي والتأثير الإعلامي وغير ذلك كغيره من عامة الناس الذين يكونون معرضين للوقوع في مثل ذلك، ففي حالة الشك في الإفتاء أو في ظروف الفتوى هنا يجب على المقلد أن يدرس فتوى المقلد في جميع الجهات التي دفعت المفتي في إصداره لمثل هذه الفتوى.

ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَتْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ أنه قال: «... جاء رجل إلى الصادق عليه السلام فقال له: فإذا كان هؤلاء العوام من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره فكيف ذمهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علماءهم فإن لم يميز لأولئك القبول من علمائهم لم يميز هؤلاء القبول من علمائهم؟ فقال الإمام عليه السلام: بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة، أمّا من حيث استوا فإن الله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علمائهم كما قد ذمّ عوامهم، وأمّا من حيث افتراقوا فلا. قال الرجل: بين لي ذلك يا بن رسول الله. قال عليه السلام: إن عوام اليهود قد عرفوا علماءهم بالكذب الصريح وبأكل الحرام والرشا وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه وأعطوا ما لا يستحقّه من تعصبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم يقارفون المحرمات، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى

أَنْ مَنْ فَعَلَ مَا يَفْعَلُونَهُ فَهُوَ فَاسِقٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَصَدَّقَ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى الْوَسَائِطِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ اللَّهِ، فَلِذَلِكَ ذَمَّهُمْ لِمَا قَلَّدُوا مَنْ قَدِ عَرَفُوا وَمَنْ قَدِ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَبُولُ خَبْرِهِ وَلَا تَصْدِيقُهُ فِي حِكَايَتِهِ، وَلَا الْعَمَلُ بِمَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ عَمَّنْ لَمْ يَشَاهِدُوهُ، وَوَجِبَ عَلَيْهِمُ النَّظَرُ بَأَنْفُسِهِمْ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ كَانَتْ دَلَالَتُهُ أَوْضَحَ مِنْ أَنْ تَخْفَى وَأَشْهَرُ مِنْ أَلَّا تَظْهَرُ لَهُمْ.

وكذلك عوامٌ أُمَّتْنَا إِذَا عَرَفُوا مِنْ فُقَهَائِهِمُ الْفَسْقَ الظَّاهِرَ، وَالْعَصِيَّةَ الشَّدِيدَةَ، وَالتَّكَالِبَ عَلَى حَطَامِ الدُّنْيَا وَحَرَامِهَا، وَإِهْلَاكَ مَنْ يَتَعَصَّبُونَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانُوا لِاصْلَاحِ أَمْرِهِمْ مُسْتَحَقًّا، وَبِالترَفُّقِ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ عَلَى مَنْ تَعَصَّبُوا لَهُ وَإِنْ كَانَ لِلإِذْلَالِ وَالإِهَانَةِ مُسْتَحَقًّا، فَمَنْ قَلَّدَ مِنْ عَوَامِنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءِ فَهَمُ مِثْلُ الْيَهُودِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللَّهُ بِالتَّقْلِيدِ لِنَفْسَةِ فُقَهَائِهِمْ، فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ، حَافِظًا لِدِينِهِ، مُخَالَفًا عَلَى هَوَاهُ، مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يَقَلَّدُوهُ، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَضِّ فُقَهَاءِ الشَّيْعَةِ لَا جَمِيعِهِمْ، فَإِنْ مَنْ يَرَكِبُ مِنَ التَّبَائِحِ وَالْفَوَاحِشِ مَرَكَبَ نَفْسَةِ فُقَهَاءِ الْعَامَّةِ فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ عَنَّا شَيْئًا وَلَا كِرَامَةَ لَهُمْ...»<sup>(١)</sup>.

س: أين تقع مسؤولية العالم في الإفتاء؟

ج:

في الأحكام الشرعية التي لم تكن واضحة النوع عند كل مسلم، بل تحتاج إلى بذل جهد علمي وتدقيق وفحص في الأدلة حتى يصل إلى تحديد نوع الحكم، وقد أطلق العلماء على هذه الحالة من بذل الجهد (الاجتهاد) وسُمي العالم القائم ببذل الجهد هذا (المجتهد).

(١) وسائل الشيعة ٢٧: ١٣١/١٣٤٠١.

س: لماذا يختلف المجتهدون في بعض الأحكام الشرعية من ناحية تحديد نوعها؟

ج:

وذلك لعدة أسباب منها:

- ١- الاختلاف في تفسير آيات الأحكام في القرآن الكريم وكلّ يدلّو بدلوه من الأدلّة ووجهة النظر الصحيحة المستندة على الدليل.
  - ٢- الاختلاف في الروايات الصادرة عن النبي والأئمة عليهم السلام أجمعين؛ لضياع بعض النصوص أو غموضها أو لدخول التحريف في بعض الأحاديث.
  - ٣- تعدّد القواعد الكليّة واختلافها ثبوتاً أو إثباتاً أو مورداً.
  - ٤- القوّة العلميّة المختلفة بين المجتهدين الذي يلازمه اختلاف الفتوى.
- س: ما هو الحكم الشرعي المتعلّق في الحصول على الاجتهاد؟

ج:

أنّه واجب كفائي، أي إذا تصدّى له من تتحقّق منه الغاية والكفاية سقط الوجوب عن الآخرين.

س: ما هي الشروط التي يجب أن تتوفّر في المجتهد ليكون مرجعاً لغيره من عامّة الناس؟

ج:

- ١- البلوغ.
- ٢- العقل، أي ألا يكون مصاباً بمرض عقلي.
- ٣- الذكورة، أي أنّ الأنثى لا تكون مرجعاً.

٤- طهارة المولد، أي ألا يكون ابن زنا.

٥- الحرّية، أي ألا يكون عبداً.

٦- الإيمان، ويراد منه الإيمان الخاص وهو الانتماء للمذهب الاثني عشري.

٨- العدالة، وهو السير في طاعة الله وعدم ارتكاب الذنب، وتعرف هذه الصفة إمّا من

خلال المعاشرة أو الاشتهار بين من يعرفونه أو الشهادة في ذلك.

٩- الاستذكار، وهو استحضار المعلومات عند الحاجة في عملية الاستنباط.

١٠- الاجتهاد، وهو امتلاك النضج والمملكة في الاستنباط الفقهي، وهذا يتأتى

بالممارسة الطويلة في الفقه بحثاً وتدریساً، ويُعرف اجتهاد المجتهد بالمباشرة

أو من قبل الاشتهار والشيوع أو الشهادة.

س: ما هي أهمّ الوظائف التي يقوم بها المجتهد؟

ج: مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

الأولى: إصدار الفتوى المطابقة لرأيه للراغبين في الرجوع إليه والعمل بفتواه،

وقد اصطلح على تسميته (المرجع).

الثانية: الحكم بين الناس، وهي على ثلاثة أقسام:

١- في مقام التقاضي عنده في المخاصمات والمنازعات بين شخصين أو أكثر.

٢- في مقام الرعاية للأموال الحسينية مثل الأوقاف والقاصرين ونحوهما.

٣- في مقام التصدي للقضايا العامة للأمم، وهي الدائرة الأوسع فيما لو صار المجتهد

في موقع الحكم والولاية العامة، وهو ما يصطلح عليه (الحاكم الشرعي) أو

(الفقيه الولي).

س: ما هو الفرق بين المرجع والفقير الولي؟

ج:

١- الاجتهاد، قد لا يكون الاجتهاد من لوازم الفقيه الولي، بل يكفي فيه الإحاطة الكاملة بالفقه والعلوم المتعلقة به، ولكن الاجتهاد شرط لازم في المرجع. وهذا الرأي لم يكن محل اتفاق العلماء.

٢- دائرة تحرك الفقيه الولي أوسع من دائرة تحرك المرجع؛ لأن دائرة تحرك الفقيه الولي تشمل إدارة شؤون البلاد التي أصبح عليها والياً في جميع شؤونها، وتشمل حكم المرجع على الساحة التي يكون الفقيه عليها ولياً، بينما المرجع لا تشمل دائرة تحركه إلا بمقدار مقلديه.

٣- المرجع مادام أحد الرعية فهو خاضع للفقيه الولي من خلال خضوعه لقانون البلاد.

٤- لو تعارضت فتوى المرجع مع فتوى الفقيه الولي فيما يتعلق بنظام البلاد فهذا تقدم فتوى الفقيه الولي باعتباره باسط اليد على البلاد، وباعتبار المحافظة على نظام البلاد الإسلامية من الخلل، وتسمى الفتوى الصادرة من ولي الفقيه في هذا المجال بالأحكام الولائية.

٥- في حالة وجود تعارض بين فتوى المرجع والفقيه الولي هنا يجب أن يجري الحوار والتشاور العلمي بين المرجع والفقيه الولي للوصول إلى النتيجة، فلا يجوز إعلان الخلاف الذي يؤدي إلى التضعيف سواء من نفس المرجع أو من قبل مقلديه.



س: لقد ذكرتم ثلاث مصطلحات: (المجتهد) (المرجع) (الوليّ الفقيه)، هل لهذه المصطلحات أساس شرعي؟ أي هل هي متداولة على لسان المعصوم؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

المصطلح بما هو مصطلح فإن العلماء هم الذين جاؤوا بهذه المصطلحات، وليس للشريعة من الكتاب أو السنة دخل فيها، فهي ليست من المصطلحات التوقيفية. نعم، المهمة التي يقوم كل واحد منهم هي ذات الأساس الشرعي، وهي التي تستمد شرعيتها من الكتاب والسنة، وهي في نفس الوقت أن هذه المصطلحات تعبّر عن تاريخ عانى من أجلها العلماء معاناة كثيرة حتى توصلوا إلى بلورة فكرة المجتهد والمرجع والوليّ الفقيه، فإن الخلاف بين المذاهب الإسلامية من جهة وبين أصحاب المذهب الواحد من جهة أخرى في رسم دور العالم وموقعه في الأمة، وماذا تعني مثل هذه المصطلحات وغيرها، باعتبار أن كل مصطلح من هذه المصطلحات يرسم الدور للعالم ويعطيه صلاحية تضيق في عنوان وتتوسع في عنوان آخر.

وبهذا نعرف خطورة مثل هذه المصطلحات وأهميتها والتي بالتالي تدخل في الرسم القيادي للأمة، ولا زالت مثل هذه المصطلحات محلّ البحث والتدقيق بين العلماء، فهي لم تصل إلى مرحلة القاطع عند كل العلماء، في تمامية رسم المنهج وتحديد دائرته، ولهذا تجد تعريفات لهذه المصطلحات المختلف عليها بين العلماء الذي يلازمه الموقف المختلف للعلماء في صلاحية العالم لدى الأمة سعة وضيقاً.

س: لقد ذكرتم شروطاً عامةً وخاصّةً للمرجع، هل يشترط في أن يكون المرجع شخصاً واحداً؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

هذا السؤال وغيره من الأسئلة الكثيرة التي تطرح بهذا الخصوص هي فرع من الجواب السابق، فلمّا عبّرنا بأنّ الخلاف لازال موجوداً ولم يتوصّل إلى القطعي الكامل. هذا يعني أنّ مثل هذا السؤال وغيره موجود في أذهان العلماء، ولا زالت البحوث تطرح من هنا وهناك من قبلهم لإيجاد حالة متوازنة لا تتعدّى الأدلة الشرعيّة، وأنّ القطع في مثل هذه المسائل الشائكة ليس بالهين، ونريده أن يأتي على طبق من الذهب ومقعد من الراحة يقدم إلينا.

وقد قدّمت البحوث الكثيرة المختلفة بنفسها في هذا المجال، فمنهم من يرى أنّ الشخص الواحد هي الحالة الضرورية، ومنهم من يرى شوري الفقهاء هي الحالة الضرورية، ومنهم من يرى مجلس الفقهاء هي الحالة الضرورية، ومنهم من يرى المرجعيّة الرشيدة هي الحالة الضرورية، ومنهم من يرى التخصص ضمن العمل في المؤسسات الفقهيّة هي الحالة الضرورية، ومنهم من يرى غير ذلك.

وأنا أعتبر أنّ هذا الاختلاف المخلص نابع عن حرص وشعور بالمسؤوليّة وعن الاهتمام بالعالم والأمة الإسلاميّة، وأنّ صورة هذا الطرح وإن كان مختلفاً إلاّ أنّه يعبر عن حالة وعي ومخاض قد تقطف الأجيال المسلمة أثره الإيجابي في المستقبل، فكما استحدثت هذه المصطلحات التي بين أيدينا فقد يستحدث غيرها مادام الجميع لا يتعدّى الدليل والبرهان ولم يتعدّى عن ضرورة وجود العالم ودوره في الأمة، ويتماشى بخطّه الطولي مع مدرسة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين.

س: اذكر المحتمل عما تعرفه من أدلة (ولاية الفقيه).

ج:

الأول: الدليل الوجداني

وهو أن تكون الولاية والحاكمية والسلطة للفقيه، وهذا ما يقرّ به الوجدان المؤمن ويفرضه واقع إيمان المؤمنين في عصر الغيبة، باعتبار أن الفقيه يمثل أعلى شخصيّة شرعيّة تمثل السماء على الأرض، فلو خَلِيَ المجتمع المؤمن وسبيله في اختيار نوع الحكم والشخص القائم عليه، فهو من منطلق إيمانه وما يفرض عليه الشرع سوف لا يختار إلا الحكم الإسلامي ولا يختار إلا الفقيه قائماً على الحكم.



الثاني: الدليل الشرعي

أ- الكتاب:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ...﴾ (المائدة: ٤٤)، فهنا الأحبار هم الحالة الوسطية بين الربّاتيون الذين هم الأئمة والناس، أي هم العلماء الذين سيكونون من الذين استحفظوا الكتاب ومن الشهداء عليه، فالأنبياء والأئمة والعلماء هم عناصر التشريع العام والهداية، سوى أن الفرق في النبوة والإمامة حالة يتدخل الله في إيجادها بنحو من التدخل وأنها من العناصر التكوينية الخاصة - وقد مرّ توضيح عناصر الهداية في المجلد الأول وسيأتي توضيح أكثر لهذه العبارة في المجلد الثالث في مبحث الإمامة والعصمة - بينما العلماء حالة يحصل عليها الإنسان من خلال الكسب والسعي والجهد حتى يكون من العلماء الفقهاء، فالعلماء هي الحالة التشريعية المرادة في أن تملأ الفراغ

في حالة غياب النبوة والإمامة، ولما كان العلماء متعددين، وحديثنا عن الولي الفقيه، فلا بدّ عندئذٍ من بروز شخصٍ واحدٍ منهم وهو المسمّى بالولي الفقيه.

ب- السنة:

من الروايات وهي على صنفين:

الأول: ما يعيّن الإمام عليه السلام وينصّ على ولاية الفقيه ووجوب مرجعيّته من قبل

الأمّة، منها:

١- ورد عن حنظلة أنّه قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهم منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟ - وهذه قرينة واضحة في أن يكون السلطان والقضاة جائرين - قال عليه السلام: «مَنْ تَحَاكَمَ إِلَيْهِمْ فِي حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ فَإِنَّمَا تَحَاكَمَ إِلَى الْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، وَمَا يَحْكُمُ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا يَأْخُذُ سِحْتًا وَإِنْ كَانَ حَقَّهُ ثَابِتًا؛ لِأَنَّهُ أَخَذَهُ بِحُكْمِ الطَّاغُوتِ وَمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَكْفَرَ بِهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ...﴾».

قلت: فكيف يصنعان وقد اختلفا؟ قال عليه السلام: «ينظران مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مِمَّنْ قَدْ رَوَى حَدِيثَنَا وَعَرَفَ حَلَالَنَا وَحَرَامَنَا وَعَرَفَ أَحْكَامَنَا فَلْيَرْضُوا بِهِ حُكْمًا، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ حَاكِمًا، فَإِذَا حُكِمَ بِحُكْمِنَا وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ فَإِنَّمَا يَحْكُمُ اللَّهُ اسْتِخْفًا وَعَلَيْنَا رَدٌّ، وَالرَّادُّ عَلَيْنَا رَادٌّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى حَدِّ الشَّرْكِ بِاللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

فهذه الرواية وإن كانت واردة في قضية معيّنة وهي التحاكم والقضاء في ميراث

إلا أن جواب الإمام عليه السلام قد رسم منهجاً عاماً للمرجع السياسي والاجتماعي، فهو حرب للجبّات والطاغوت وتضعيفه من كلّ جهة وعدم جواز الرجوع إليه، وتأكيد على توجيهات الفقيه وما يصدر منه من الحكم ووجوب طاعته وعدم جواز رده.

٢- ورد عن إسحاق بن يعقوب الذي سأل محمّد بن عثمان العمري - وهو أحد النواب الأربعة للإمام المهدي عليه السلام - أن يوصل إليه كتاباً سأل فيه عن عدّة مسائل أشكلت عليه، فورد الجواب بخط الإمام المهدي عليه السلام وتوقيع الشريف يقول فيه: «أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك... وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله»<sup>(١)</sup>.

فإطلاق الحوادث الواقعة يعطي شموليّة وجوب الرجوع إلى الفقيه.

الثاني: لقد ورد الشيء الكثير عن الرسول صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين عن العلماء الربّانيين بأنهم كنجوم السماء، وورثة الأنبياء، والحكام على الناس، وأمناء الله على خلقه في أرضه، وأمناء الرسل، وكأنبياء بني إسرائيل... التي تعطي الدور الأهمّ للعالم وتركّز بفحواها قيادته في المجتمع.

الثالث: الغيبة الصغرى، حيث من أهمّ فلسفة وجود الغيبة الصغرى بنوابها الأربعة الخاصّين تعني تمهيد الأئمة والمجتمع المسلم على الرجوع إلى علمائهم من جانب، ومن جانب آخر هو تمهيد العالم في أن يأخذ دوره في المجال الاجتماعي والسياسي، وفصل جانب السلطة عنه خروج من دون مبرّر.

س: إذا كانت هذه هي أدلة الولاية للفقهاء فلماذا يختلف أصحاب المذهب الواحد على دائرة صلاحية الفقيه سعةً وضيقاً؟ اذكر المحتملات في سبب ذلك.

ج:

١- الإرهاب السياسي والضغط الذي وجهه الحكام الظلمة على العلماء وعلى أتباعهم الذي ولد عزل الفقيه عن الساحة السياسية حتى أصبحت الولاية بعيدة عن الابتلاء، ممّا قلّل غمار البحث فيها من قبل العلماء، وهذا لا يعني نجاح الحكام الظلمة في سعيهم، فإنّ التاريخ يحدثنا بنهوض انتفاضات دينية يقودها العلماء بين الآونة والأخرى.

٢- مناقشة البعض في سند الرواية وعدم صحتها وخصوصاً الروايات اللتان أوردنا ذكرهما، وهما رواية جنظلة والتوقيع الشريف، ولكن نقول هنا: إنّ ما ورد في هذه الروايات وأمثالها ينسجم مع روح القرآن الذي يدعو إلى جهاد أعداء الله ويدعو المؤمنين إلى قيادة الحياة، وينسجم مع سيرة أهل البيت وما دعت إليه السنة الشريفة بمسارها العام الذي يؤكد على اتباع العلماء وأنهم امتداد للإمامة.

٣- البعض الآخر يرى أنّ مجمل الروايات التي وردت في الصنف الثاني لا تعطي حقّ الولاية للفقهاء ابتداءً، بل توجب على المتصدّي للقيادة والسلطة الحاكمة أن يكون فقيهاً؛ لكون السلطة والحاكمية تمثل خلافة الله الخاصة ورسوله ﷺ. أقول: هنا لو تمّ ذلك فهو وجهان لعملة واحدة كما قيل، هذا مع أنّ الواقع العملي يخضع للفقهاء أخيراً.

س: ما معنى تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾؟

ج:

١- أنه وعدٌ بالعذاب الشديد لمن يزيد أو ينقص من كتاب الله بحرف أو حروف أو بكلمة أو كلمات ثم يدّعي أن هذه الكلمات هي كلمات الله، وأن هذا الكتاب هو كتاب الله؛ لأنه تحريف في اللفظ.

٢- أنه وعدٌ بالعذاب الشديد لمن يقطع بنزول الآية في معنى معين ثم يحرفه إلى غير معناها الذي يريد الله منها ثم يقول: إن الله أراد هذا المعنى الذي افتعله هو؛ لأنه تحريف في المعنى، والتحريف يمنع وصول المجتمع إلى المورد الإلهي الواحد فيكون سبباً إلى تمزيق الأمة وجعلها شيعاً، ولهذا استحق المحرفون الويل.

٣- أنه وعدٌ بالعذاب الشديد لمن يكتب أفكاراً ويطرح نظريات مخالفة لشوابت العقيدة الإلهية التي لها مساس عقائدي ومرتبطة بعالم الغيب من دون مراجعة لدليل أو فهم عمق الفكرة والمنهج العقائدي لله الذي يطرحه من خلال كتبه السماوية، أو ما هو منقول على لسان الأنبياء والأوصياء، ثم يقول: هذا هو الذي يريد الله في تلك الفكرة أو النظرية التي طرحها بصورة منفصلة عن الدليل.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؟

ج:

١- ليحافظوا على مركزهم الاجتماعي العالي الذي حصلوا عليه من الدين، وهذا النوع من الحصول لهو قليل ممّا سيحصلوا عليه من العذاب في الآخرة، وأنه

لقليل أمام المحافظة على الحق.

٢- ليحافظوا على حصول الأموال التي تجبى لهم من الحقوق الشرعية باسم الدين بعنوان كونهم علماء أممهم، وهذا المقدار من الحصول الباطل لهو قليل أمام عذاب الآخرة الذي يجزون به لعدم استحقاقهم لمثل هذا التصدي.

٣- أن الذي يُكَلَّف بالتلاعب بكتاب الله أي كان مقابل أموال فإن الثمن الذي يحصل عليه مهما كان كثيراً فإن العملية الإجرامية التي يقدم عليها هي أكبر بكثير مما يحصل عليه لزوال هذا الكسب الباطل وعدم زوال العذاب الذي سيُخلد فيه.

س: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا

يَكْسِبُونَ﴾؟



ج:

١- تكرار الويل على الذين كتبوا بأيديهم لتأكيد خطورة التحريف وعظمة العذاب الذي سيحصل عليه المحرفون لكلام الله وهو العذاب الأول.

٢- هناك وعد ثانٍ بالعذاب على ما حصلوا عليه من مركز أو مال لا يستحقونه، وعلى تحريفهم كتاب الله.

٣- هناك وعد ثانٍ بالعذاب على ما حصلوا عليه من المراكز والمال والتحريف، وعلى ما سيكسبونه من الآثار السيئة من إضلال الناس وتمزيق المجتمعات وانحرافها عن الطريق السوي والتي ستلحق أضرارها بهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْشِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ

مُبِينٍ﴾ (يس: ١٢).



س: أين تكمن خطورة تحريف كتاب الله؟

ج:

- ١- أن التحريف بنفسه محرّم شرعاً؛ لأنه بدعة وكذب صريحين.
- ٢- أن تحريف كتاب الله معناه أن الإنسان يضع نفسه بدلاً عن الله في التشريع ووضع المنهجية مع أن هذا المحلّ لا يكون إلا لله؛ لأنه وحده المشرّع وبيده رسم نظام الحياة وتحديد قوانينه.
- ٣- أن الإيمان بالله وما هي صفاته وأصول الدين وفروعه قائمة على كتاب الله لما فيه من الإرشادات الكثيرة التي ترشد العقل في مسائل أصول الدين، ولما فيه من الأحكام التي تنظّم دين الحياة، والتحريف معناه إيجاد النقص في الأصول أو الفروع الذي يؤدي إلى زرع كثير من الشبهات والتشويش في أذهان الناس، ممّا يؤدي إلى انحراف المسير العقائدي على غير وجهته، وستكون سنة سيئة يسير عليها الآخرون وضلالاً يضلّ به الآخرون، سواء كانت المتعلقة منها في أصول الدين أو فروعها ممّا يكون من الصعب جداً إزالته من المجتمعات، فتحيى الناس وتموت وهي سائرة على ذلك التحريف الذي كتبه أيادي الإثم والعدوان، وهذا هو سرّ اختلاف الناس في عقائدهم الدينية، فما أخطر ما ولّده عملية التحريف من النتائج.
- ٤- التحريف لكتاب الله يكشف عن شقاوة المحرّف وجرأته على الله، واستهانته بالله ويرسله ورسالاته؛ لأنه قد مدّ يده ليخون أكبر أمانة إلهية حملها الإنسان واستعدّ لحفظها.

س: اذكر المحتملات التي ترد في سبب تكرار كلمة (الويل).

ج:

أولاً: لتأكيد عظمة جريمة التحريف عند الله وما ذخره الله من العذاب للمحرّفين.

ثانياً: أن لكلّ ويل جريمته الخاصّة به وهي:

١- أصل عمليّة التحريف والتغيير ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٢- أخذ المعاوضة والكسب الحرام عليه والآثار السيّئة التي تتركها عمليّة التحريف ﴿وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

٣- الكذب والزور على الله ورسوله الذي ينشره بين الناس ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

س: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟﴾

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی

ج:

أحد نماذج التحريف في الكتاب الذي وضعه اليهود بأيديهم التحريف في اللفظ أو في المعنى، وهو أن المذنب من اليهود الذي استحق النار بذنبه فهو يدخلها إلا أن دخوله مؤقتاً وبأيام معدودة ولا خلود له فيها، شاهد هذه هي أحد نتائج التحريف التي تعطي لليهود جميعاً حرّمة ارتكاب الجريمة في الحياة، وتعطيهم الشرعيّة في كلّ ما يقترفه اليهود من الجرائم؛ لأنّ دخوله إلى النار على هذا سيكون دخولاً تشريفياً كاذباً وليس دخولاً حقيقياً لأجل العذاب وحصول التعذيب، وهذا ما لا ينسجم مع الخطّ العامّ للعدل الإلهي الذي جعل الأيام المعدودة من النار

لمستحقيها، وجعل الخلود في النار لمستحقيه، وهذا هو القانون من العدل شامل لكل الناس على حد سواء، ولهذا يردّ الله على اليهود القائلين بهذه المقولة المفتعلة بأنها ناتجة من إحدى احتمالين لا ثالث لهما:

الأول: أن يكون المدعى مأخوذاً من كتاب الله، وفي هذه الحالة سيكون الله ملزماً أن يفي بعهده ووعده إن كان مكتوباً في كتابه، وهذا منتفٍ لعدم وجود مثل هذا الادعاء في كتبه السماوية جميعاً؛ لأنه ينافي عدل الله في شيتين:

الأول: يبقى المستحق للخلود في النار أيّاماً معدودة لا أكثر.

الثاني: يعطي هذه الهبة إلى من هم أشهر المجتمعات الدينية عناداً ولجاجة وإنكاراً وتمرداً على الله وعلى الرسل والأنبياء والأوصياء تاريخاً ماضياً وحاضراً، وهذا هو الآخر واضح البطلان.

وعلى هذا البطلان في الموردين لم يبق إلا الاحتمال الثاني هو المتعين وهو تحريفهم لكلام الله لفظاً ومعناً الذي جعلهم ينسبون إلى الله ما ليس بقائله أو هو ادعاء محض ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ورد عن القمي في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ أنه قال: «قال بنو إسرائيل: لن تمسنا النار، ولن نعذب إلا الأيام المعدودات التي عبدنا فيها العجل فردّ الله عليهم»<sup>(١)</sup>.

س: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ هل لازال اليهود والنصارى يعتقدون بذلك؟

ج:

١- أمّا اليهود فالأكثر منهم لازالوا على هذه العقيدة برفهم شعار: (نحن شعب الله المختار)، الذي أخذ تأثيره على منهجيتهم وفهمهم العقائدي في الحياة بحيث أصبح مبرراً لهم في جرائمهم وتعذيبهم على الأبرياء وشقاوتهم وعلو نظرتهم على الآخرين باعتبارهم شعب الله المختار، فيفعلون ما يشاؤون فلا حساب ولا عقاب يستتبعهم.

وأما النصارى فبعض فرقهم ومذاهبهم لا زالت تعتقد بذلك، وذلك عن طريق فكرة ابتدعوها بأن المسيح فدى نفسه بذنوب أمته واشتراها بتضحية نفسه، وعليه كل من عصى واقترب جريمة مهما كان حجمها فيإمكانه أن يشتري البراءة من السيد المسيح من خلال بطاقات تباعها الكنيسة التي تمثل السيد المسيح والتي تسمى بصكوك الغفران، فلا يبقى عند ذلك المجرم أي ذنب يستحق العذاب عليه في الآخرة، وإذا كان هناك استحقاق فهو أيام معدودة.

٢- قد تكون هذه العبارة من الآية مختصة باليهود وهم يعتقدون بسرمان كفر الآباء إلى الأبناء، ذلك حينما عبّد الأجداد العجل فهم قد استحقوا العذاب بسبب ما كفر به الأجداد فقالوا: ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾، وسيأتي ردّ الله على معتقدهم هذا.

س: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؟

ج:

بعد أن ادّعت اليهود بالأيام المعدودة في النار لمذنبها وعدم الخلود فيها أجابهم الله بالرفض (بلى)، أي بل لا كما يدّعيه اليهود وهو نسخ لقولهم، بل كما هو الخطّ العامّ الذي رسمناه لكلّ فرد من أفراد الناس للخلود سواء كان في النار أو في الجنة، وأنه شامل لبعض المسلمين والمسيحيين واليهود والمجوس وكلّ فرد عندما يصل إلى مرحلة في عصيانه وتمردّه بحيث لا يرى إلا المعصية طريقاً، ولا يزيد ارتكابها إلا إصراراً وقد أحاطت المعصية جميع جوانبه من الجوارح والجوانح حتّى بدّلت ذاته المقتضية للسعادة إلى الشقاوة في مرتبة الاقتضاء، وخرج من الدنيا من غير ندم عليها ولا ظهور توبة منه، فصاحبها خالد في النار كائناً من كان، وفي مقابل ذلك أي من آمن بالله وعمل بما يقتضيه إيمانه حتّى خرج من الدنيا وهو على هذه الحالة فهو سيستحقّ الخلود في الجنة كائناً من كان. وهذا هو النهج الثابت للخلود المكتوب في جميع الكتب السماوية الذي لا يتغيّر من كتاب إلى كتاب سماوي آخر، وهذا هو العهد الذي اتّخذه الله على نفسه من خلال جميع كتبه في مسألة الخلود، فلا مبرر لنفي هذا الخطّ العامّ الثابت من قبّل اليهود لا من عهد شرعي لفظي كتبه الله لهم، ولا من قول له وجود على لسان أي نبي.

س: هل الآية تنفي أصل الأيام المعدودة في النار؟

ج:

على العكس من ذلك فهي تثبت وجود الأيام المعدودة في النار مفهوماً بصورة عامّة لا في خصوص اليهود، حيث كلّ عبد أحاطت به خطيئته فهو قد استحقّ الخلود في النار، ومن لم تحط به خطيئته فهي إمّا قد انمحت عنه بالتوبة أو بالعمل الصالح فاستحقّ الخلود في الجنة، وإمّا أن خطيئته موجودة ولكن لم تصل إلى

مرحلة قد أحاطت به ولم تُقبل شفاعته فهو لم يستحق الجنة؛ لوجود هذه الخطايا وعدم قبول شفاعته، ولم يستحق الخلود في النار؛ لأن خطيئته لم تحط به، فلا طريق إلا أن يبقى أياماً معدودات، أي ما يقابل الخلود في النار حسب نوع خطيئته، فكأن إحاطة الذنب شرط الحكم بالخلود فإذا انتفى الشرط ينتفي الخلود.

س: إذا كانت هذه الآية قد ثبتت الأيام المعدودات ولو عن طريق انتفاء الشرط فلماذا أنكر الله على اليهود الأيام المعدودة؟

ج:

أن الله أنكر عليهم زعمهم بالأيام المعدودات، لا أصل وجود الأيام المعدودات، حيث بهذه الكلمة زعموا الأمور التالية:

١- زعموا بدعوة الأيام المعدودة وأسندوها إلى الله بينما لم تذكره التوراة ولا جاءتهم عن أي طريق شرعي آخر.

٢- زعموا عدم وجود الخلود في النار بالنسبة إلى جميع أفراد اليهود وإن أحاطت بهم خطيئتهم.

٣- زعموا عدم وجود اللبث الطويل في النار بالنسبة لأي يهودي.

٤- زعموا أن المستحق من اليهود للنار ما هي إلا القليل من الأيام وإن كان يستحق أكثر لكونه يهودياً.

٥- زعموا أن هذا القليل من الأيام في النار لم يكن عملية حرق وتعذيب، بل هو عملية مس ليس إلا (تمسنا)، وهذا يكشف كأنما لهم ناراً غير هذه النار التي تحدث عنها آيات الله بحيث ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان: ١٢).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا  
وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ  
وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: ٨٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- الأخذ: الحيازة والتحصيل.
- ٢- الإحسان: ما كان فوق العدل والواجب وزيادة عليه.
- ٣- اليتيم: ١- الانفراد. ٢- فاقد الأب بموت.
- ٤- الزكاة: ١- النمو. ٢- الطهارة.

س: اشرح ما تعرفه عن البعد الأول من الميثاق الذي تذكره هذه الآية  
﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

ج:

أنَّ اليهود عباد الله وليس لهم أن يعبدوا أحداً إلا الله، فهو أمر بعبادة الله ونهي  
عن الشرك به، وأنَّ عملية تحرير اليهود من عبودية غير الله وإن كانت لها خصوصية  
بالنسبة إلى بني إسرائيل حيث كان فرعون قد استعبدهم لنفسه، إلا أنَّ نوع هذه  
الرابطة بين الله والخلق وهي العبودية الحقيقية لم تكن مختصة باليهود وإنما هو  
البرنامج العام الثابت للخلق أجمعين من الأولين والآخرين؛ لأنَّ العبودية كما هي  
ضرورة شرعية فهي ضرورة عقلية في أن تكون العبودية لله وحده، وقد مرَّ الحديث

عنها بصورة واضحة عند تفسير آية ٢١ من سورة البقرة، ولكن تكرارها مع اليهود قد يُراد منها محاولة استئصال وهم الغرور العقائدي الذي يعيشونه في نفوسهم بتذكّرهم بأنهم عباد الله ومملوكون له.

### ● الوالدان

س: ماذا تعرف عن البند الثاني من الميثاق الذي تذكره هذه الآية ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؟ وضح ذلك بمفهومه الإسلامي العام.

ج:

البند الثاني: الإحسان إلى الوالدين، والوالدان هما الأب والأم اللذان ولدى الوليد لا غيرهما، والأمر واقع على الابن والبنت البالغين، ومتعلق الأمر هو الإحسان إليهما، وامتثال الواجب من قبل الابن يسمى بـ الوالدين، وأمّا امتثال الزيادة على الواجب من مطلق فعل الخير الذي يقدمه الابن إليهما فيسمى إحساناً لهما.

س: بـ الوالدين قول وفعل، منه الواجب ومنه المستحب. اذكر بعض الآيات التي تحكي عن ذلك.

ج:

١- القول:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أِفٍ وَلَا تَنْهَزُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء: ٢٣).

قال تعالى: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنِي كَمَا رَحِمْتَ رَجُلًا صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٤).



٢- العمل:

قال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤)، إشارة إلى الشكر العملي.

قال تعالى: ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: ١٥).

قال تعالى: ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٨٠).

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ (البقرة: ٢١٥).

قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء: ٢٤).

س:

١- قال تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: ٨٣).

٢- قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ (النساء: ٣٦).

٣- قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: ١٥١).

٤- قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾ (الإسراء: ٢٣).

٥- قال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

أنت تشاهد المقارنة الواضحة بين ما يأمر الله به بما هو مختص به وبين الأمر بالإحسان للوالدين في هذه الآيات. اذكر الأسباب المحتملة لهذه المقارنة والعطف الخاص.

ج:

أولاً: أن الله هو الخالق المطلق والكل مخلوق له، ولكن استمرارية بقاء النوع

الإنساني قائم بالواسطة المباشرة للوالدين.

ثانياً: أن الله هو الربّ المطلق والكلّ مربوبون له، ولكن الذي يتولّى تربية الأولاد بصورة مباشرة هما الوالدان.

ثالثاً: أن الله هو الرازق المطلق والكلّ مرزوقون منه، ولكن الذي يتكفل رزق الأولاد بصورة مباشرة بالسعي وبذل الجهد هما الوالدان.

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «أمّا حقّ أبيك فإن تعلم أنه أصلك وأنه لولاه لم تكن، فهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوّة إلا بالله»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: أن الوالدين يمتلكان أصدق بعض الصفات الإلهية وأخلصها من كلّ فرد بأولادهما كالرحمة بهم والعطف والحنان والرأفة والحبّ والودّ، فهو سبحانه الرحيم المطلق، وأصدق الناس رحمة بالولد هما الوالدان، والله هو الودود المطلق وأصدق الناس ودّاً للولد هما الوالدان... وهكذا.

خامساً: أن يكون إشارة إلى العامل الفطري لإحسان الوالدين، حيث إن وجود الله والإيمان به أمر فطري، فكذلك حبّ الوالدين والإحسان لهما أمر تقرّه الفطرة حتّى لو لم يأمر به الله تعالى.

سادساً: أن يكون إشارة إلى الأمر العقلي، حيث الإيمان بالله والإحسان للوالدين يشتركان في وجوب شكر المنعم وهو أمر يوجبه العقل.

سابعاً: أن الله يريد أن يلفت أنظارنا إلى أهميّة دور الوالدين في حياتنا، وألا نتركهما في جميع مراحل حياتهم وحياتنا، وأن نسير أسرة واحدة بداية ونهاية، وأن وحدة المجتمع هي من وحدة الأسرة، وأن خطر عقوقهما في المجتمع كخطر

الإشراك في العقيدة، وهذه إحدى مميزات النظام الإسلامي التي تميّزه عن النظام المدني الوضعي لعالم اليوم الذي يعطي للشباب حقّ الانفلات من الأبوين وعقوقهما.

ثامناً: كما ترسم هذه الآية منهجية تعامل الأبناء مع آبائهم فكذلك تنبّه الآباء على دورهم الحساس اتجاه أبنائهم، فحينما جعل الله الوالدين قرييين منه وشاركهما بنوع من المشاركة لينبئهما على قرب وجودهما منه الذي يحتملهم المسؤولية الكبيرة اتجاه الأسرة وبنائها نحو الأحسن ضمن المنهجية الإلهية.

س: إلى كم قسم ينقسم الإحسان بلحاظ حكمه الشرعي؟

ج:

ينقسم الإحسان بمعناه العام إلى قسمين:

١- الإحسان الواجب، وهي الأمور التي يقوم بها المكلف بما أوجبه الشارع المقدّس المتعلقة بموضوعها سواء كان موضوع الحكم الوالدين أو الأيتام أو صلة الرحم.

٢- الإحسان المستحبّ، وهي الأمور التي يقوم بها المكلف بما هي أكثر وزيادة على الواجب المتعلق بموضوعه .

س: ما هو الفرق بين البرّ والإحسان للوالدين. اذكر المحتمل في ذلك؟

ج:

١- البرّ هو المقدار الواجب الذي يجب على الابن أن يقدّمه إلى الوالدين، وأمّا الإحسان بمعناه الخاصّ وهو المقصود بالآية فهو المقدار الزائد على الواجب الذي يقدّمه الابن للوالدين، فالإحسان يستبطن أداء الواجب وزيادة.

٢- لا يوجد فرق بين البرّ والإحسان.

س: ما هي حدود الإحسان العملي الذي يقدمه الابن لوالديه؟

ج:

أجيب على ذلك من خلال النصوص التالية:

١- قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣١﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣١-٢٤).

٢- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى بعض ما ورد في آيتي الإسراء التي ذكرناهما أنه قال: «الإحسان أن تحسن صحبتها وألا تكلفها أن يسألا شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين، وإن ضرباك فقل لها: غفر الله لكما، فذلك قول كريم، ولا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتها ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدماهما»<sup>(١)</sup>.

٣- ورد عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في دعاء له يبين فيه حدود الطاعة والإحسان للوالدين: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابَهَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ، وَأَبْرَهَا بَرَّ الْأُمِّ الرَّؤُوفِ، واجعل طاعتي لوالدي وبري بها أقرَّ لعيني من رقدة الوسنان، وأثلج لصدري من شربة الظمان حتى أؤثر على هواي هواهما وأقدم على رضاي رضاهما، واستكثر برهما بي وإن قلَّ، واستقلَّ برِّي بهما وإن كثر. اللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهَا صَوْتِي، وَأَطْبِ لَهَا كَلَامِي، وَأَلْنْ لَهَا عَرِيكَتِي، واعطف عليها قلبي، وصيرني بها رفيقاً، وعليها شفيقاً، اللَّهُمَّ اشكر لها تربيتي، وأثبها على تكرمي، واحفظ لها ما حفظاه مني في صغري، اللَّهُمَّ وما مسَّها مني من أذى، أو

خلص إليهما عني من مكروهه، أوضاع قبلي لهما من حقّ فاجعله حطّةً لذنوبهما وعلوّاً في درجاتهما، وزيادةً في حسناتهما، يامبدّل السيئات بأضعافها من الحسنات. اللهم وما تعدّيا عليّ فيه من قول، أو أسرفاً عليّ فيه من فعل، أو ضيّعاه لي من حقّ، أو قصّرا بي عنه من واجب فقد وهبته لهما، وجدت به عليهما، ورجبت إليك في وضع تبعته عنهما، فإنّي لا أتهمهما على نفسي، ولا أستبطنهما في برّي، ولا أكره ما تولّياه من أمري، يا ربّ، فهما أوجب حقّاً عليّ، وأقدم إحساناً إليّ، وأعظم منّةً لديّ من أن أقاصّهما بعدل، أو أجزيهما على مثل، أين إذا يا إلهي طول شغلها بتربيّتي؟! وأين شدة تعبها في حراستي؟! وأين إقتارهما على أنفسهما للتوسعة عليّ؟! هيهات ما يستوفيان منّي حقهما، ولا أدرك ما يجب عليّ لهما، ولا أنا بقاضٍ وظيفه خدمتهما، فصلّ على محمّد وآله، وأعني يا خير من أستعين به، ووقّني يا أهدى من رُغب إليه، ولا تجعلني في أهل العقوق للآباء والأمّهات يوم تجزى كلّ نفس بما كسبت وهم لا يظلمون»<sup>(١)</sup>.

٤- ورد في وصيّة الرسول ﷺ لأُمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «يا علي، حقّ الوالد على ولده: ألاّ يسمّيه باسمه، ولا يمشي بين يديه، ولا يجلس أمامه»<sup>(٢)</sup>.

س: ما هي الفروق بين طاعة الوالدين وبرّ الوالدين؟

ج:

أولاً: الطاعة تجري في الأوامر والنواهي الصادرة من الوالدين، والبرّ هو مطلق الإحسان الواجب أو المستحبّ والزيادة عليهما الذي يقَدّم إلى الوالدين الخارج عن دائرة الأوامر والنواهي الصادرة من الوالدين، وبينهما عموم وخصوص من وجه كما

(١) الصحيفة السجاديّة: ١٢٩.

(٢) الفقيه ٤: ٥٧٦٢/٣٧٢.



س: هل يوجد شرط معين في الوالدين عند البرّ لهما من قبل أولادهما؟

ج:

لا شرط موجود، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ثلاث لم يجعل الله عزّ وجلّ لأحد فيهنّ رخصة: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين أو فاجرين»<sup>(١)</sup>.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «جاءه رجل وقد قال له: إن لي أبوين مخالفين؟ قال عليه السلام: برّهما كما تبرّ المسلمون ممّن يتولانا»<sup>(٢)</sup>.

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «برّ الوالدين واجب وإن كانا مشركين، ولا طاعة لهما في معصية الخالق»<sup>(٣)</sup>.

س: ورد في الحديث: «سأل رجل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مالنا نجد بأولادنا مالا يجدون بنا؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: لأنهم منكم وليستم منهم»<sup>(٤)</sup>، السؤال: لماذا نجد حبّ الوالدين لأولادهم أكثر من حبّ الأولاد لوالديهم؟

ج:

الأمر الفطري الذي أوجده الله في الإنسان وهو حبّ الأولاد قبل الولادة الذي من خلاله حفظ الله النوع الإنساني عند الإنسان، وحبّ الأولاد بعد الولادة الذي من خلاله ضمن الله الحضانة والتربية للطفل وسدّ الحاجة بالنسبة إلى الصبي

(١) الكافي ٢: ١٥/١٦٢.

(٢) وسائل الشيعة ٢١: ٢٧٦٦٨/٤٩٠.

(٣) وسائل الشيعة ١٦: ٢١٢٢٩/١٥٥.

(٤) الفقيه ٣: ٤٧٤٩/٤٩٤.

والضعيف من الأولاد، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، وكلّ رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فيها تعطف الوالدة على ولدها، والطير بعضها على بعض، وأخر تسعاً وتسعين، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»<sup>(١)</sup>.

وقد دعم الله هذا الأمر الفطري بعناصر فطرية ثانوية إنسانية وأخلاقية والتي لو سار الإنسان بالاتجاه المعاكس لها لم تعد حالة إنسانية أو أخلاقية صحيحة أبداً، ومن مظاهر تلك العناصر:

- ١- أننا لو استقرنا مقدار الحب بين من له الحق وبين من عليه الحق، لرأينا أن من له الحق يحب من عليه الحق بصورة كثيرة دون العكس، والوالدان هم أصحاب الحق ولهم الحق في أولادهم بصورة لا تقاس، ولهذا هم يحبونهم أكثر من حب الأولاد لهم الذين عليهم الحق.
- ٢- أننا دائماً وأبداً نجد أن الصانع يحب ما صنعه وبذل جهداً كثيراً عليه حتى اكتمل عنده أكثر بكثير من حب المصنوع لصانعه، أو نجد حب الإنسان للمال الذي حصل عليه بالتعب وشق الأنفس أكثر من المال الآخر، والأبوان يجدان أنهما قد باسرا بصنع الأولاد وبذلا جهداً أخذ الشيء الكثير من أعمارهما من سهر وآلام وأنس وتعاش وغير ذلك ممّا نعرفه في تربية الأولاد الذي جعلهما يحبون أولادهم بصورة أكثر من حب الأولاد لهما، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»<sup>(٢)</sup>.

(١) روضة الواعظين ٢: ٥٠٢.

(٢) مسند أحمد ٢: ١٧٩.



٣- حبّ وحنان القوي والغني والصحيح إلى الضعيف والفقير والسقيم أكثر من العكس، والأبوان يشعران بحاجة الولد إليهما من كلّ جهة، وكلّما كانت حاجة الابن أكثر كان الحبّ أكثر، ولهذا تجد صغار الأولاد أكثر حبّاً للوالدين من الكبار، وأنّ الضعيف منهم لمرض أو لفقير أو غير ذلك أكثر حبّاً من القوي منهم.

س: عند وقوع التزاحم بين الجهاد في سبيل الله ورفض الوالدين لخروج الولد له يقدّم رفض الوالدين على الخروج للجهاد في سبيل الله، وقد وردت في ذلك روايات، منها أنّه ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إنّي راغب في الجهاد نشيط، قال: فقال له النبي صلى الله عليه وآله: فجاهد في سبيل الله، فإنّك إن تقاتل تكن حياً عند الله ترزق، وإن تمت، فقد وقع أجرك على الله، وإن رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت. قال: يا رسول الله، إن لي والدين كبيرين يزعمان أنّهما يأنسان بي ويكرهان خروجي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فقرّ مع والديك، فوالذي نفسي بيده لأنسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة»<sup>(١)</sup>. لماذا قدّمت الشريعة رغبة الوالدين على الجهاد في سبيل الله مع أنّنا نرى أنّ الظاهر خلاف ذلك لما نعرفه من أهميّة الجهاد في سبيل الله؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- أنّ الحكم الأوّلي كما تقولون هو تقديم ما يطلبه الوالدان على مشاركة الابن في الجهاد، إلّا أنّها لم تكن حالة مستمرّة وعلى كلّ حال، بل مرجع ذلك إلى الحاكم

الشرعي الذي قد يقدم الجهاد على غيره لحالة هو يراها ويشخصها أنها أهم من رغبة الوالدين في المنع.

٢- أن هذا الحكم قد يكون لأجل بيان أن الجهاد في الإسلام وجد لأجل وحدة الأسرة وسعادتها، فإذا حصل العكس عند بعض الأسر فهنا تنتفي غاية الجهاد بالنسبة إلى هذا البعض.

٣- يريد الله في كل وحدة عبادية أن تصدر من قناعة تامة ويقين ثابت، وبما أن للوالدين هناك حقاً في الولد فرفضهما يكشف عن عدم القناعة في أن يشترك ابنهما في الجهاد لأي سبب من الأسباب، والإسلام يرفض هذا النوع من المشاركة والعتاء.

٤- قد يكون رفض الوالدين مؤثراً سلباً على عزيمة وثبات وقوة الابن لو اشترك في الجهاد وهو مخالف لرضا والديه، والإسلام يرفض هذا النوع من المشاركين.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

٥- أن يكون برّ الوالدين مراداً نفسياً ويقدم على كثير من الأحكام لأهميته عند الله سبحانه وتعالى، ورد أن رجلاً هاجر من اليمن إلى رسول الله ﷺ وأراد الجهاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى أبويك فاستأذنها، فإن أذنا فجاهد، وإلا فبرهما ما استطعت» (١).

س: هل يجري برّ الوالدين في أثناء حياتهما فقط أم هو جارٍ بعد الممات أيضاً؟

ج:

برّ الوالدين جارٍ في حياتهما وبعد مماتهما، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ

بِرَّ أباه في حال حياته ولم يدع له بعد وفاته سِماً الله تعالى عاقاً»<sup>(١)</sup>.  
ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أَنَّ العبد لِيَكُونَ بَارِئاً بِوَالِدَيْهِ فِي حَيَاتِهِمَا ثُمَّ يَمُوتَانِ فَلَا يَقْضِي عَنْهُمَا دَيْنَهُمَا وَلَا يَسْتَغْفِرُ لِهَمَا فَيَكْتِبُهُ اللهُ عَاقِئاً، وَإِنَّهُ لِيَكُونَ عَاقِئاً لِهَمَا فِي حَيَاتِهِمَا وَغَيْرَ بَارِئاً بِهِمَا فَإِذَا مَاتَا قَضَى دَيْنَهُمَا وَاسْتَغْفَرَ لِهَمَا فَيَكْتِبُهُ اللهُ بَارِئاً»<sup>(٢)</sup>.

س: ما هي الآثار التي يحصل عليها الإنسان عندما يكون باراً بوالديه؟  
ج:

- ١- حصول البارّ على رضا الله ورضا رسوله، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «رضا الله مع رضا الوالدين، وسخط الله مع سخط الوالدين»<sup>(٣)</sup>، وعنه عليه السلام أيضاً: «مَنْ رَضِيَ عَنْهُ وَالِدَاهُ فَأَنَا عَنْهُ رَاضٍ»<sup>(٤)</sup>، «وَالْجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأُمَّهَاتِ»<sup>(٥)</sup>.
- ٢- حصول البارّ على دعاء الملائكة له، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ اللهَ مُلْكِيْنَ يَنْجِي أَحَدَهُمَا الْآخَرَ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ احْفَظِ الْبَارِئِينَ بِعَصْمَتِكَ، وَالْآخَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَهْلِكَ الْعَاقِينَ بِغَضَبِكَ»<sup>(٦)</sup>.
- ٣- حصول البارّ على طول العمر، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «صَدَقَةُ السَّرِّ تَطْفِقُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَبِرُّ الْوَالِدِينَ وَصَلَةُ الرَّحْمِ يَزِيدَانِ فِي الْأَجْلِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) المستدرك ٦: ٤٣٨/٧١٧٣.

(٢) وسائل الشيعة ٢١: ٥٠٦/٢٧٧٠٨.

(٣) روضة الواعظين ٢: ٣٦٨.

(٤) المستدرك ١٥: ١٧٦/١٧٩١٩.

(٥) المستدرك ١٥: ١٨٠/١٧٩٣٣.

(٦) المستدرك ١٥: ١٧٦/١٧٩١٨.

(٧) المستدرك ١٥: ١٧٤/١٧٩٠٦.

٤- حصول البارّ على رزق الله المادي والمعنوي في الدنيا، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ يضمن لي برّ الوالدين وصلة الرحم أضمن له كثرة المال وزيادة العمر والمحبّة في العشيّة»<sup>(١)</sup>.

٥- يخلص الله البارّ من مكاره كثيرة ومنها سكرات الموت، ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَخَفَّفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، فَلْيَكُنْ لِقَرَابَتِهِ وَصَوْلًا، وَبِوَالِدَيْهِ بَارًّا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَلَمْ يَصِبْ فِي حَيَاتِهِ فَقْرٌ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>.

٦- حصول البارّ على كفارة من الذنوب، ورد في الحديث «أَنْ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنْ عَمَلٍ قَبِيحٍ إِلَّا قَدْ عَمَلْتَهُ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٍ حَيٌّ؟ قَالَ: أَيْ، قَالَ ﷺ: فَاهْبِ فَبِرِّهِ، فَلَمَّا وُلِيَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ كَانَتْ أُمَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

٧- حصول البارّ على برّ أولاده له لسراية العامل التربوي من الآباء إلى الأبناء وتأثيرهم به بالإضافة إلى الرعاية الإلهية الخاصة في هذه الجهة، ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «بِرُّ الرَّجُلِ بَوْلَدِهِ بِرُّهُ بِوَالِدَيْهِ»<sup>(٤)</sup>، وعنه أيضاً «بِرُّوَا آبَاءِكُمْ يَبْرِكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعَفْوَا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعْفُو نِسَاؤُكُمْ»<sup>(٥)</sup>.

٨- في برّ الوالدين تحصل الأسرة على سعادتها وشعورها بلذّة العيش الناتج من

(١) المستدرک ١٥: ١٧٦/١٧٩١٥.

(٢) الأمالي للصدوق: ٤٧٣/٦٣٦.

(٣) المستدرک ١٥: ١٧٩/١٧٩٣٠.

(٤) الفقيه ٣: ٤٨٣/٤٧٠٦.

(٥) الكافي ٥: ٥٥٤/٥.

الانسجام والتعاطف والمحبة وغيرها من الأمور الحسنة التي تجعل الإنسان في راحة وهو في أسرته ويعيش بين أفرادها باحترام وانسجام، ورد في خبر عن الرسول ﷺ أنه قال: «إن الله وضع أربعاً في أربع: بركة العلم في تعظيم الأستاذ، وبقاء الإيمان في تعظيم الله، ولذة العيش في برّ الوالدين، والنجاة من النار في ترك إيذاء الخلق».

س: في مقابل برّ الوالدين عقوق الوالدين، وضّح ما تعرضه الشريعة عن عقوق الوالدين.

ج:

١- قد وصف الله العاق لوالديه جباراً وشقياً وعصياً، قال تعالى: ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَتَمَّ يَجْعَلُنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ (مريم: ٣٢)، ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَتَمَّ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ (مريم: ١٤)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «بين الأنبياء والبرّ درجة، وبين العاق والفراغة دركة»<sup>(١)</sup>.

٢- عقوق الوالدين توجب غضب الرب، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ أَسْخَطَ وَالِدَيْهِ فَقَدْ أَسْخَطَ اللَّهَ وَمَنْ أَغْضَبَهَا فَقَدْ أَغْضَبَ اللَّهَ»<sup>(٢)</sup>.

٣- عقوق الوالدين تحرم قبول الله لبعض الأعمال الصالحة للعاق، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ نَظَرَ إِلَى أَبِيهِ نَظَرَ مَاتَتْ وَهِيَ ظَالِمَانٌ لَهُ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاتَهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) المستدرك ١٥: ١٧٦/١٧٩١٧.

(٢) المستدرك ١٥: ١٩٣/١٧٩٧٦.

(٣) الكافي ٢: ٥/٣٤٩.

٤- عقوق الوالدين يزيد من الفقر ويشدّد سكرات الموت، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَخْفَفَ عَنْهُ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ فَلْيَكُنْ لِقَرَابَتِهِ وَصَوْلًا، وَلِوَالِدَيْهِ بَارًا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ هُوَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ وَلَمْ يَصِبْ فِي حَيَاتِهِ فَقْرَ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

٥- عقوق الوالدين ذلّة للعاقّ وليست عزّة أمام كلّ الناس، ورد عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: «العقوق يعقب القلّة ويؤدّي إلى الذلّة»<sup>(٢)</sup>.

٦- عقوق الوالدين توجب فقدان نصيحتهما وتربيتهما للابن العاقّ، بل إلى قطع النسل وعدم الإنجاب، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «حرّم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله عزّ وجلّ، والتوقير للوالدين، وتجنّب كفر النعمة، وإبطال الشكر، وما يدعو من ذلك إلى قلّة النسل وانقطاعه لما في العقوق من قلّة توقير الوالدين، والعرفان بحقّها وقطع الأرحام، والزهد من الوالدين في الولد، وترك التربيّة بعلّة ترك الولد برّهما»<sup>(٣)</sup>.

٧- عقوق الوالدين توجب أن يكون الابن العاقّ عرضة لدعاء الوالدين عليه، ورد عن الإمام الحسين عليه السلام عن الإمام عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تَرْفَعُ فَوْقَ السَّحَابِ حَتَّى يَنْظُرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا، فَيَقُولُ: ارْفَعُوهَا إِلَيَّ حَتَّى أُسْتَجِيبَ لَهُ، فَيَأْتِيَكُمْ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ فَإِنَّهَا أَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الأمالي للصدوق: ٦٣٥/٤٧٣.

(٢) المستدرک ١٥: ١٧٩٨٧/١٩٥.

(٣) علل الشرائع ٢: ١/٤٧٩.

(٤) وسائل الشيعة ٧: ١٩١٦/١٢٨.

س: ما هي مراتب عقوق الوالدين؟

ج:

لعقوق الوالدين ثلاث مراتب هي:

١- أدنى المراتب، وهي تتمثل في قول الابن (أفّ) للوالدين، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أدنى العقوق أفّ، ولو علم الله عزّ وجلّ شيئاً أهون منه لنهى عنه»<sup>(١)</sup>.

عن الزهري أنه قال: «كان عليّ بن الحسين عليه السلام لا يأكل مع أمّه، وكان أبرّ الناس بأمّه، فقيل له في ذلك؟ فقال: أخاف أن آكل معها فتسبق عينها إلى شيء من الطعام وأنا لا أعلم فأكله فأكون قد عققتها»<sup>(٢)</sup>.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله **﴿إِذَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا﴾** أنه قال: «هو أدنى الأذى حرّم الله لها فوقه»<sup>(٣)</sup>.

٢- أعلى المراتب، وهي تتمثل في قتل الابن أحد أبويه، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فوق كلّ ذي برّ برّ، حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ، وإنّ فوق كلّ عقوق عقوقاً حتى يقتل الرجل أحد والديه، فإذا فعل ذلك فليس فوقه عقوق»<sup>(٤)</sup>.

٣- وسط المراتب، وهو كلّ فعل يسخط أو يحزن أحد الوالدين بحيث يكون أسوء

(١) الكافي ٢: ٣٤٨/١.

(٢) وسائل الشيعة ٢٤: ٣٠٥٠٣/٢٦٤.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٣٧/٢٨٥.

(٤) الكافي ٢: ٣٤٨/٤.

من مرتبة الأدنى وأقلّ سوءة من مرتبة الأعلى.

س: ما هو الطريق الذي يجب أن يسلكه الولد أو البنت ابتداءً ليكون باراً  
بوالديه وبعيداً عن عقوقهما؟

ج:

العلم والعمل، وأقصد بالعلم هو الاطلاع على ما ورد في الشريعة من البرّ  
والعقوق وأثرهما كما عرضنا نموذجاً منهما، وإنّ خير ما يسلكه الفرد لمعرفة ذلك  
هو ما عرضته الشريعة في تفصيلات ذلك، وأقصد بالعمل هو التطبيق والالتزام بما  
ورد في الشريعة في هذا المجال.

س: عرفنا أنّ برّ الوالدين يجب من دون النظر إلى ما يتبعناه الوالدان من  
العقيدة والأخلاق، هل من البرّ أن يقوم الابن بتصحيح عقيدة  
وأخلاقية الوالدين غير المتسجمة مع عقيدة وأخلاقية الشريعة؟

ج:

إذا كان الابن يقوم بذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان  
مراعياً لشروطهما في التعامل مع الوالدين فهو برّ وإحسان لهما.

### • ذو القربى وصلة الرحم

س: اشرح ما تعرفه عن البند الثالث من الميثاق الذي تذكره الآية (وَذِي  
الْقُرْبَى).

ج:

البند الثالث: الإحسان إلى ذي القربى، وهم الذين يتعلّقون بالفرد عن طريق  
النسب من الأقارب سواء عن طريق الأب أم عن طريق الأم، ومتعلّق الأمر هو



الإحسان، ويتم الإحسان من بذل الأخلاق لهم، ومد يد العون إليهم، والسعي في قضاء حوائجهم، والوصول إليهم إن أمكن، والسؤال عنهم، واختيار ما هو الصالح لهم، ونفي العادات السيئة التي يمتلكها البعض منهم، والحفاظ على وحدتهم، قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ (الأنفال: ٧٥)، والعمل على تميمتهم عقائدياً وفكرياً ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤).

س: أكدت الشريعة على صلة الرحم، فهل هي واجبة شرعاً؟

ج:

واجبة شرعاً ثبوتاً ومحرمَةً نفيًا، بمعنى أوجب الله صلة الرحم لمن تمكن عليها وكانت هناك ضرورة متوقفة عليه، وحرم قطع الرحم لمن عمد إليها حيث لا يوجد مبرر للقطع، وقد تُعدُّ القطيعة من الكبائر:

١- أما وجوب صلة الرحم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، حيث قرن وجوب تعظيم الله من قبل المؤمنين والتوصية من قبلهم بتقوى الله بالفعل وعدم مخالفته سبحانه، فكذلك الأرحام بأن يسعى إلى صلتهم وعدم جواز قطع الرحم.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ أنه قال: «هي أرحام الناس، إن الله تعالى أمر بصلتها وإعظامها، ألا ترى أنه تعالى جعلها منه»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضاً: «إن الله تعالى أمر بثلاثة مقرون بها ثلاثة أخرى: أمر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يرك لم يقبل منه صلاته، وأمر بالشكر له ولو ألبس منه فم لم

يشكر والديه لم يشكر الله، وأمر باتقاء الله وصلة الأرحام فمن لم يصل رحمه لم يتق الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

٢- وأما حرمة قطع الرحم، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (محمد: ٢٢-٢٣)، ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (البقرة: ٢٧)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اتقوا الحالقة، فإنها تميمت الرجال». قلت: وما الحالقة؟ قال عليه السلام: «قطيعة الرحم»<sup>(٢)</sup>.

س: ما هو الفرق بين صلة الرحم والإحسان إليه؟



ج:

صلة الرحم هو المقدار الفعلي الواجب الذي يقدمه المرء اتجاه رحمه، وأما الإحسان فهو المقدار الزائد على ذلك، كمن يزور رحمه مع تقديم هدية أو مساعدة إليه، فالزيارة قد تكون واجبة، وأما الهدية أو المساعدة فهي إحسان.

س: ما هي الفوائد التي ذكرها الشارع المقدس والتي تترتب على صلة الأرحام؟ وما هي الآثار السيئة التي تتركها قطيعة الرحم؟

ج:

١- القوة والنمو في وحدة المجتمع ونشر الحب والإخاء فيه، ورد عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «ما من خطوة أحب إلى الله من خطوتين، خطوة يسد بها

(١) وسائل الشيعة ٩: ٢٥/١١٤٢٩.

(٢) الكافي ٢: ٢/٣٤٦.

المؤمن صفاً في الله، وخطوة إلى ذي رحمٍ قاطع»<sup>(١)</sup>، وقطيعة الأرحام أثرها عكس ذلك في المجتمع، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ألا في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين (قطيعة الرحم)»<sup>(٢)</sup>.

٢- تزكية وتطهير لروح الإنسان لما يخرج من صدره من الضغينة والبغضاء واستبدالها بالرحمة والعطف على الآخرين، ورد عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «صلة الأرحام تزكي الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى ...»<sup>(٣)</sup>، ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «صلة الرحم تحسن الخلق، وتسمع الكف، وتطيب النفس»<sup>(٤)</sup>، وقطيعة الرحم عكس ذلك.

٣- أن صلة الرحم لها الأثر في طول عمر الإنسان؛ لأنَّ الإنسان بعمله هذا يعيش الراحة في الضمير ويحصل على دعاء أهل الرحم له بالخير وعلى الرعاية الخاصّة من قبل الله؛ لأنه امتثل لأمر الله في صلة الرحم. ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «صلة الرحم تعمّر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير أختار»<sup>(٥)</sup>.

ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال لميسر: «قد حضر أجلك غير مرّة كلّ ذلك يؤخّره الله بصلتك لرحمك وبرّك قرابتك»<sup>(٦)</sup>.

(١) وسائل الشيعة ٧: ٧٥/٨٧٦٩.

(٢) الكافي ٢: ١/٣٤٦.

(٣) الكافي ٢: ٤/١٥٠.

(٤) الكافي ٢: ٦/١٥١.

(٥) المستدرک ١٥: ١٨١٢٣/٢٤١.

(٦) المستدرک ١٥: ١٨١٣٨/٢٤٨.

وقطبيعة الرحم عكس ذلك، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء»، فقام إليه بن الكواء يشكري فقال: يا أمير المؤمنين، أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟ قال عليه السلام: «نعم، وتلك طبيعة الرحم...»<sup>(١)</sup>.

٤- أن صلة الرحم لها الأثر على نهاية حياة الإنسان بحيث تجعلها نهاية وعاقبة حسنة في مرضاة الله، ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صلة الرحم تهون الحساب وتقي ميتة السوء»<sup>(٢)</sup> وقطبيعة الرحم عكس ذلك، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما ادخره في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»<sup>(٣)</sup>.

٥- لها الأثر الأعلى في عالم الآخرة ويوم الحساب، حيث ييسر الله حساب الموصل لرحمه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾<sup>(الرعدة: ٢١)</sup>، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «صلة الرحم ... وتيسر الحساب وتنسى الأجل»<sup>(٤)</sup>، وقطيعة الرحم عكس ذلك.

س: متى يصدق على المكلف أنه من أهل صلة الرحم؟

ج:

عندما يصدق على المكلف عرفاً أنه لم يكن قاطعاً لرحمه، فهو من الذين يصلون الأرحام، وأقل مراتب الصلة ولو بالسلام، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه

(١) الدعوات: ١٥١/٦١ .

(٢) المستدرك ١٥: ١٨١٢٣/٢٤١ .

(٣) المستدرك ١٥: ١٧٩٤٤/١٨٣ .

(٤) المستدرك ١٥: ١٨١٠٩/٢٣٧ .

قال: «أنَّ صلة الرحم والبرَّ ليهوَّنان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم وبرّوا إخوانكم ولو بحسن السلام وردّ الجواب»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً: «صل رحمك ولو بشرية من ماء»<sup>(٢)</sup>.

س: هل يوجد في الرحم شرط حتى يصله المكلف؟

ج:

١- لا يوجد شرط في وجوب صلة الرحم، سواء كان الرحم بعيداً أم قريباً، وسواء كان الرحم قاطعاً لك أم لم يكن كذلك، وسواء كان الرحم فاسقاً أم لم يكن كذلك، وسواء كان كافراً أم لم يكن كذلك. نعم، إلا في حالة أن تكون صلة الرحم موجبة للتشجيع على معصيته أو البقاء على كفره فلا تجوز صلته، كما أن صلة الفاسق أو الكافر لا تعني حبه بشيء؛ لأنَّ الحبَّ والبغض من الأمور القلبية، ورد عن الجهم بن حميد أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تكون لي القرابة على غير أمري، ألهم حقّ؟ قال عليه السلام: «نعم حقّ الرحم لا يقطعه شيء، وإذا كانوا على أمرك كان لهم حقان، حقّ الرحم وحقّ الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

٢- أن جوهر التكليف يظهر عند المعاناة وأن تضاعف الأجر والثواب يظهر على قدر المشقة، فالإنسان يتصف بالكرم عندما يقدّم القليل مع حاجته إليه لا ما يقدّمه من الكثير وهو مستغن عنه أو يعتبر قليلاً نسبة لما يمتلكه، وصلة الرّحم هي الأخرى تكليف من التكاليف التي لا تظهر قيمتها في حالة الرخاء والعلاقة

(١) الكافي ٣: ٣١/١٥٧.

(٢) قرب الإسناد: ١٢٧٢/٣٥٥.

(٣) الكافي ٢: ٣٠/١٥٧.

الطيبة، بل جوهر قيمتها والالتزام بها تظهر عندما ينقطع عنك الرّجيم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «صل من قطعك»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً: «لا تقطع رحمك وإن قطعك»<sup>(٢)</sup>.

### ● اليتيم في القرآن والسنة

س: اشرح ما تعرفه عن البند الرابع من الميثاق الذي تذكره الآية ﴿وَالْيَتَامَى﴾.

ج:

البند الرابع: الإحسان إلى اليتامى، وهم الذين يتعلّقون بالفرد عن طريق النسب أو السبب أو لا يتعلّقون بشيءٍ منهما، فاليتيم من مات أبوه وبعد لم يبلغ الحلم ذكراً كان اليتيم أو أنثى، ومتعلّق الأمر هو الإحسان، وهنا أهمّ شيء من الإحسان أن يقدّم إلى اليتيم هو بذل الحنان المتميّز والمال؛ لأنه يسدّ فراغ ما كان يقوم الأب به في هذين الموردين، من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من عال يتيمًا حتى يستغني أوجب الله عزّ وجلّ له الجنة كما أوجب لكل اليتيم النار»<sup>(٣)</sup>.

س: هناك واجبات اتّجاه اليتيم وهناك إحسان اتّجاهه، على من يقع

الواجب والإحسان؟

(١) المستدرک ١٥: ٢٥٢/١٨١٤٥.

(٢) الكافي ٢: ٦/٣٤٧.

(٣) الكافي ٧: ٦/٥١٧.

ج:

١- الواجب المالي، هذا الواجب يقع على عاتق وليّ اليتيم، وعلى عاتق مَنْ وصلت في يده أموال بعنوان الأيتام.

٢- الواجب الأخلاقي من بذل الحنان والرأفة بهم والتربية لهم يقع على عاتق وليّ اليتيم وعلى المجتمع، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمَصْلِحِ وَكَوْشَاءَ اللَّهِ لَا غُنْتَكَمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٠)، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى: ٩).

٣- مطلق الإحسان، وهذا ما يشترك به الوليّ وغيره من عامة المسلمين، ورد في الحديث القدسي: «يا موسى ... كن لليتيم كالأب الرحيم ... وكن للأرملة كالزوج العطوف ... وكن للغريب كالأخ الرفيق أكن لك كذلك»<sup>(١)</sup>.

س: ما هو الحنان المتميز الذي يجب أن يبذل لليتيم؟

ج:

١- بذل رحمة الأب، أي أن تضي على اليتيم حناناً صادقاً وكثيراً ومستمرّاً بحيث تُنسيه يتمه وتسدّ عنه الفراغ الذي تركه الأب، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد»<sup>(٢)</sup>، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم إلا كتب الله له بكلّ شعرة مرّت يده عليها حسنة»<sup>(٣)</sup>.

(١) الدر المنثور ٣: ١١٧.

(٢) البحار ٧٤: ٧/١٧١.

(٣) ثواب الأعمال: ١٩٩.

٢- أَدْخَالَ الْفَرْحَ وَالسَّرُورَ عَلَى قَلْبِهِ، مِنْ خِلَالِ هَدِيَّةٍ أَوْ سَفْرَةٍ أَوْ فَعَلَ مَا يَحْتَاجُهُ وَمَا يَرْغَبُ إِلَيْهِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَجْلِبُ لَهُ الْفَرْحَ، وَرَدَّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ دَارًا يُقَالُ لَهَا: دَارُ الْفَرْحِ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ فَرِحَ يَتَامَى الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(١)</sup>.

٣- أَنْ تَدْعُوهُ إِلَى طَعَامِكَ لِيشعر بشخصيته ووجوده الذي لم ينقصه فقد عزّة الأب، وَرَدَّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَبِضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ الْبَتَّةَ، إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لَا يَغْفِرُ»<sup>(٢)</sup>.

٤- أَنْ تَتَكَفَّلَ بِمَا يَحْتَاجُهُ الْيَتِيمُ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَأْكَلِ فَإِنَّهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْوَاجِبَاتِ لَهُ، وَرَدَّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَالَ ثَلَاثَةَ مِنَ الْيَتَامَى كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ، وَصَامَ نَهَارَهُ، وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِرًا سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَمَا هَاتَيْنِ أُخْتَانِ» وَأَلْصَقَ إِصْبَعِيهِ السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى<sup>(٣)</sup>، وَعَنْهُ ﷺ أَيْضًا: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ إِذَا اتَّقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى<sup>(٤)</sup>.

س: ماذا يقول القرآن والسنة عن أكل مال اليتيم ظلماً؟

ج:

أولاً: الكتاب

(١) كنز العمال ٣: ٦٠٠٨/١٧٠.

(٢) عوالي اللآلي ١: ٢٧٤/١٩٠.

(٣) الترغيب والترهيب ٣: ٥/٣٤٧.

(٤) المستدرک ٢: ٢٤٩٩/٤٧٤.



١- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ١٠).

٢- قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ (النساء: ٢).

ثانياً: السنة

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يبعث ناس عن قبورهم يوم القيامة تأجج أفواههم ناراً، فقيل له: يا رسول الله، من هؤلاء؟ قال: الذين يأكلون أموال اليتامى»<sup>(١)</sup>، كما ورد عن عبيد بن زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: سألته عن الكبائر، فقال عليه السلام: «منها أكل مال اليتيم ظلماً»<sup>(٢)</sup>.

س: لماذا هذا التشديد والوعيد المتميز من قبل الشارع المقدس على أكل

مال اليتيم؟

مركز تحقيقات كاتوليتر علوم إسلامي

ج:

نجد الجواب واضحاً عندما نطلع على ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «حرم أكل مال اليتيم ظلماً لعل كثيرة من وجوه الفساد:

١- أول ذلك إذا أكل مال اليتيم ظلماً فقد أعان على قتله، إذ اليتيم غير مستغن، ولا محتمل لنفسه، ولا قائم بشأنه، ولا له من يقوم عليه ويكفيه مقام والديه، فإذا أكل ماله فكأنه قد قتله وصيره إلى الفقر والفاقة.

(١) المستدرک ١٣: ١٥٠٦٩/١٩١.

(٢) المستدرک ١٣: ١٥٠٦٨/١٩١.

٢- مع ما في من طلب اليتيم بثأره إذا أدركه، ووقوع الشحناء والعداوة والبغضاء حتى يتفانوا.

٣- مع ما حرّم الله عليه وجعل له من العقوبة في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِيُخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾<sup>(١)</sup>.

س: ما هي الطرق التي لو سلكها الإنسان يكون آكلًا لمال اليتيم؟

ج:

١- حرمان اليتيم من إرث أبيه ظلماً.

٢- منع ما يصل بين يدي الإنسان من المال بحيث يجب صرفه إلى الأيتام.

٣- دخول الإنسان إلى بيوت الأيتام بحيث يسبّب ضرراً لهم، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن كان في دخولكم عليهم منفعة لهم فلا بأس، وإن كان فيه ضرر فلا» ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾، فأنتم لا يخفى عليكم. وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- عندما يكون عاملاً فيما يخصّ الأيتام وكان محتاجاً فالزيادة التي يأخذها على حاجته تعتبر آكلًا لمال اليتيم، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أنه قال: «مَنْ كَانَ يَلِي شَيْئًا لِلْيَتَامَىٰ وَهُوَ مَحْتَاJ لَيْسَ لَهُ مَا يَقِيْمُهُ، فَهُوَ يَتَقَاَضَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَيَقُوْمُ فِي ضِيْعَتِهِمْ فَلْيَأْكُلْ بِقَدْرٍ وَلَا يَسْرِفْ، وَإِنْ كَانَتْ ضِيْعَتُهُمْ لَا تَشْغَلُهُ عَمَّا يِعَالِجُ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَرْزَأُ»

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام ٢: ١/٩٩.

(٢) الكافي ٥: ٤/١٢٩.

من أموالهم شيئاً»<sup>(١)</sup>.

س: ورد في بعض الروايات أن كافل اليتيم هم العلماء والأيتام هم عامّة المسلمين، وضح ذلك.

ج:

هذا صحيح ولكنّه من باب الاستعارة والمجاز في الكلام، حيث اعتبر أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين وجودهم - كما هو الحقّ - آباء للأمة، وخصوصاً من الناحية العلمية وأجوبتهم للسائلين، فهم أهل العلم والهدى، فبفقدهم انقطع هذا النور وأصبحت الأمة فاقدة لأعظم الروافد التي ترفدها بإرشاداتها وأجوبتها للسائلين فهم أهل الذكر حقّاً. ومن هذا المنطلق اعتبر علماء الأمة السائرون على منهجهم هم كفلاء الأمة التي فقدت أئمّتها؛ لأنّ العلماء يقومون مقام الأئمّة من حيث الإرشاد والتبليغ والتعليم الجاهلين منهم، فهم الوسيط بين الأمة والإمام المعصوم.

ورد عن الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام عن آبائه عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنّها قالت: «سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله، حتّى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلّة من نور، ثمّ ينادي منادي ربّنا عزّ وجلّ: أيّها الكافلون لأيتام آل محمد الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمّتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم

خلع العلوم في الدنيا...»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «حدثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه، يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه، ألا فن كان من شيعتنا علماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا، كان معنا في الرفيق الأعلى»<sup>(٢)</sup>.

س: ورد عن أبي بصير أنه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما أيسر ما يدخل العبد النار؟ قال: «مَن أكل من مال اليتيم درهماً، ونحن اليتيم»<sup>(٣)</sup>.

فهذا عكس جوابكم السابق حيث جعل الإمام نفسه أحد مصاديق اليتيم لا الكفيل عن الأمة، فما هو جوابكم على ذلك؟

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ج:

النظر هنا إلى المال والحقوق المالية التي مرجعها إلى الإمام عليه السلام كما في الخمس، فهنا يريد الإمام عليه السلام أن يحذّر في مسألة أكل الحقّ المالي الشرعي إمّا لعدم دفعه من قبل بعض المكلفين، أو لعدم صرفه في محلّه من قبيل المتصدّين لجمع الحقوق، أو هو تنبيه وتحذير للعلماء الذين يستلمون الحقوق المالية نيابة عن الإمام عليه السلام.

(١) المستدرک ١٧: ٣١٧/٢١٤٦٠.

(٢) المستدرک ١٧: ٣١٧/٢١٤٥٨.

(٣) الفقيه ٢: ٤١/١٦٥٠.

س: لماذا اهتم الإسلام بقضية اليتيم؟

ج:

١- الأثر الاجتماعي: عندما حتم الله الموت على الخلق فهو سبحانه يعلم ما يتركه موت الإنسان على الأسرة التي هي نواة المجتمع، فموت الأب بالخصوص معناه انقطاع أهم عنصر من عناصر وحدة الأسرة، وسقوط عمودها من الناحيتين الرئيسيتين وهما: التربية والمد المالي، وأمّا المأساة فهي حالة مؤقتة هدبت من قبل الشارع المقدس حتى لا يفقد الإنسان توازنه الاجتماعي بين الناس بفقدان الميت له، وأمّا الباقي والمستمر في المأساة هو عنصر التربية والمال لليتيم الذي يتركه موت الأب، فإذا ترك اليتيم من دون راعٍ يرعاه بتوفير هذين العنصرين معناه أن هذا اليتيم مهدد من قبل جهله وحاجته التي تلاحقانه، فإذا نشأ عليهما فلا يستغرب عندما يقوم اليتيم الجاهل المحتاج باقتراف أعظم الجرائم وأبشعها، وبالتالي سيخلف للمجتمع الويلات وعدم الاستقرار، والله سبحانه وتعالى يريد أن يسد أي ثغرة تحاول تفتيت المجتمع وانهيائه، فأكد على اليتيم وشدد على أكل مال اليتيم وأعطى هذه الدرجة العالية لكافل اليتيم من أجل أن يسد هذا الفراغ الذي تركه فقدان الأب على الطفل، وكافل اليتيم ليس هو الكفيل الشرعي والمباشر لليتيم فحسب، بل هو مسؤولية الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي بالنهوض لهذه المهمة، كأفراد أو جماعات أو مؤسسات، فرفد اليتيم بالناحية التربوية والمالية مسألة شاقّة ومهمّة تحتاج إلى التعاضد والتكاتف والمشاركة بأكبر عدد ممكن وخصوصاً في عصرنا هذا الذي تكثر فيه الحروب والأمراض، فكفالة اليتيم هي إحدى الضمانات الاجتماعية التي جعلها الشارع المقدس.

٢- الأثر الشخصي: حيث الذي يقوم بكفالة اليتيم له الأثر الإيجابي على نفس الكافل من الرغد العالي بحب الآخرين والرحمة بهم ولين قلبه تلك الصفة التي يحبها الله، والتي لها الأثر الاجتماعي الكبير في أن ترفد المجتمع بعناصر تزيد فيهم الحب والإخاء والودّ والرحمة والتعاطف ونبذ الأنانيّة.

ورد عن أبي الدرداء أنّه قال: أتى النبي ﷺ رجل يشكو قسوة قلبه، قال ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك، وتدرّك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلين قلبك، وتدرّك حاجتك»<sup>(١)</sup>.

### ● الفقراء والمساكين

س: اشرح ما تعرفه عن البند الخامس من الميثاق الذي تذكره هذه الآية ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

البند الخامس: الإحسان إلى المساكين، وهم الذين يتعلّقون بالفرد عن طريق النسب أو السبب أو لا يتعلّقون بشيء منهما، والمساكين هو ما أسكنته الحاجة، والمراد من المسكين هو الفقير المحتاج.

س: ما هو الفرق بين المسكين والفقير؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- المسكين: هو المحتاج الذي لا يظهر للناس حاجته حياةً واستعفافاً.

٢- الفقير: هو المحتاج الذي يظهر حاجته للناس بطلب معونته.

٣- إذا جاء لفظ المسكين منفرداً أو جاء لفظ الفقير منفرداً يكون المعنى واحداً، فما يراد من الفقير هو المسكين وما يراد من المسكين هو الفقير ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢)، ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ (المدثر: ٤٤).

٤- إذا اجتمع لفظ الفقير والمسكين في جملة واحدة فهنا يظهر الفرق فما يراد من المسكين هو غير الفقير، والفرق بينهما هو ما موجود في النقطة الأولى والثانية، ومن هنا قالوا: (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا)، ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ (التوبة: ٦٠).

س: ما هي أهم أسباب الفقر في المجتمع؟



ج:

أولاً: شره الأغنياء وهمهم في الحصول على الربح دون العطاء، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... إن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا، ولا جاعوا، ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الكذب والزور في أكل المال وطريق الحصول عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨).

ثالثاً: ظلم الأجير أجره، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله فيما رواه الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه أنه قال: «ظلم الأجير أجره من الكبائر»<sup>(٢)</sup>.

(١) الفقيه ٢: ١٥٧٩/٧.

(٢) المستدرک ١٤: ١٦٠٢٣/٣١.

رابعاً: أخذ الربح المضاعف عند البيع وإعطاء القليل منه عند الشراء، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر أنه قال: «... وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين، من البائع والمبتاع»<sup>(١)</sup>.

خامساً: تفشي الربا في المعاملة، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُوهُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٩).

سادساً: عدم وجود العدالة في التوزيع بإعطاء الحقوق لغير مستحقيها أو نقصان مما يستحقه أو زيادة مفرطة عليه، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من كلام كلم به عبدالله بن زمعة، وهو من شيعة، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً فقال أمير المؤمنين عليه السلام له: «إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم»<sup>(٢)</sup>.

سابعاً: الاحتكار وخزن المواد التي يتوقف معاش الناس عليها من أجل زيادة سعرها، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... إن في كثير منهم - التجار وأهل الصناعات - احتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة...»<sup>(٣)</sup>.

ثامناً: الغش والتدليس والتطيف في الميزان مما يولد الكثير من الخسارة عند البائعين أو المشترين له، قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (هود: ٨٥)، ﴿وَنِلْ لِلْمُطْغَفِينَ • الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى

(١) وسائل الشيعة ١٧: ٤٢٧/٢٢٩١٢.

(٢) غرر الحكم: ٣٤١/٧٧٩٨.

(٣) المستدرک ١٣: ٢٧٥/١٥٣٣٩.



النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ • وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ» (المطففين: ١-٣).

تاسعاً: ترك الحقوق المالية والتكافل والتعاون الاجتماعي، قال تعالى: ﴿وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون: ٧)، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ • لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... لو أن الناس أدوا حقوقهم لكانوا عايشين بخير»<sup>(١)</sup>.

عاشراً: الحكومة الظالمة التي تمنع من إعطاء حقوق المحرومين وتسعى لأكل أموال الناس في سبيل الحفاظ على منافعها الشخصية وعدم القيام بالمساواة بين أفراد مجتمعاتها وعدم تفقدتهم للرعيّة وغيرها ممّا يقوم به الحاكم الظالم، وفيه آيات وروايات كثيرة حيث تحذّر فيه الحكّام من القيام بمثل هذه الأعمال التي لا تريد الناس إلاّ تهنّئوا وافتخروا، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... فأنصفوا الناس من أنفسكم واصبروا لحوائجهم، فإنكم خزّان الرعيّة، ووكلاء الأئمّة، وسفراء الأئمّة، ولا تحشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته...»<sup>(٢)</sup>.

س: ما هي أنواع المعاناة النفسية التي تصيب الإنسان عندما يصبح فقيراً بين الناس؟

ج:

١- الشعور بمرارة الحياة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال لقمان: ... ذقت المرارات كلّها، فما ذقت شيئاً أمرّ من الفقر»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٣: ٤٩٦/١.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٥١/٨٠.

(٣) الأمالي للصدوق ٧٦٦: ١٠٣١.

٢- يعيش حالة المرض الروحي ما دام الفقر باقياً، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الفقر الموت الأكبر»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً: «القبر خير من الفقر»<sup>(٢)</sup>.

٣- اليأس وتمني الموت، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثلاث من ابتلي بواحدة منهن تمى الموت: فقر متتابع...»<sup>(٣)</sup>، عن أمير المؤمنين عليه السلام «... وإن افتقر قنط ووهن»<sup>(٤)</sup>.

٤- حصول الضعف بالجانب العبادي والتفاعل بوحداته، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يا بني! من ابتلى بالفقر ابتلي بأربع خصال: بالضعف في يقينه... والرقّة في دينه»<sup>(٥)</sup>.

وعن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً»<sup>(٦)</sup>.

٥- يعيش الحزن الدائم، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَن افتقر فيها - الدنيا - حزن»<sup>(٧)</sup>، «الفقر أحزان».

٦- يعيش حالة الشعور بالنقص والحقارة في شخصيته، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام علي عليه السلام أنه قال: «الفقر يخرس الفطن عن حجته»<sup>(٨)</sup>.

(١) نهج البلاغة ٤: ١٦٣/٤١.

(٢) غرر الحكم: ٨٢١٧/٣٦٥.

(٣) تحف العقول: ٣١٨.

(٤) نهج البلاغة ٤: ١٥٠/٣٨.

(٥) جامع الأخبار: ١١٠.

(٦) الكافي ٢: ٤/٣٠٧.

(٧) غرر الحكم: ٢١٦١/١٢٧.

(٨) غرر الحكم: ٨٢٢٧/٣٦٥.

٧- يعيش حالة الشعور بالعربة وهو يعيش بين أهله والناس، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الفقر في الوطن غربة»<sup>(١)</sup>.

س: ما هي النظرة والتعامل السلبي الذي يقوم به بعض الناس اتجاه الفقير؟

ج:

١- كلام الفقير غير مسموع ومقامه غير معروف عند أغلب الناس، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يا بني، الفقير لا يُسمعُ كلامه، ولا يُعرفُ مقامه»<sup>(٢)</sup>.

٢- لا يُقيم الفقير تقيماً صحيحاً، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يا بني! لو كان الفقير صادقاً يسمونه كاذباً، ولو كان زاهداً يسمونه جاهلاً»<sup>(٣)</sup>.

٣- يسلبون منه المحاسن ويميتون عنده المواهب والملكات، ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «إذا أقبلت الدنيا على قوم، أعارتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم»<sup>(٤)</sup>.

س: ما هو نوع الإحسان الذي يجب أن يقدم إلى الفقراء والمساكين؟

ج:

هي نفس الأخلاق التي تُبذل مع المؤمنين وزيادة خاصة بهم، مراعاة للحالة النفسية وللحاجة المادية التي يعانون منها، ومن جملة تلك الزيادة في بذل الأخلاق هي:

(١) نهج البلاغة ٤: ٥٦/١٤.

(٢) جامع الأخبار: ١١٠.

(٣) البحار ٦٩: ٥٨/٤٧.

(٤) نهج البلاغة ٤: ٩/٤.

أولاً: إظهار المحبة لهم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «والقربة إلى الله حبّ المساكين والدينوّ منهم»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الجلوس معهم، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الرسول ﷺ عن الله تعالى في ليلة المعراج «يا أحمد ! محبتي محبة الفقراء، فأدن الفقراء وقرب مجلسهم منك أدنك، وبعد الأغنياء وبعد مجلسهم منك ! فإن الفقراء أحبائي»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: إكرامهم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «من أكرم فقيراً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راضٍ»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: عدم الاستخفاف بهم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ألا ومن استخفّ بفقير مسلم، فقد استخفّ بحقّ الله، والله يستخفّ به يوم القيامة إلا أن يتوب»<sup>(٤)</sup>.

خامساً: عدم استذلالهم واستحقارهم، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من استذلّ مؤمناً أو حقّره لفقره أو قلّة ذات يده شهره الله يوم القيامة، ثم يفضحه»<sup>(٥)</sup>.

سادساً: تفضيل المؤمن الملتزم منهم على غيره، ورد في الحديث: «لما قدم النبي ﷺ المدينة تعلّق الناس بزمام الناقة، فقال النبي ﷺ: اتركوا الناقة فهي مأمورة، فعلى باب من بركت فأنا عنده، فأطلقوا زمامها وهي تهتف في السير حتى دخلت المدينة، فبركت على باب أبي أيّوب الأنصاري، ولم يكن في المدينة أفقر منه،

(١) مكارم الأخلاق: ١٤٩.

(٢) المستدرک ١٢: ١٣٩٨٤/٢٣٧.

(٣) الفقيه ٤: ٤٩٦٨/١٣.

(٤) الفقيه ٤: ٤٩٦٨/١٣.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٨/٣٦.

فانقطعت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>.

سابعاً: الميل القلبي الصادق اتجاههم، ورد عن الإمام علي بن الحسين ﷺ أنه قال: «...واعصمني من أن أظنّ بذي عدم خساسةً، أو أظنّ بصاحب ثروة فضلاً، فإنّ الشريف من شرفته طاعتك، والعزير من أعزته عبادتك»<sup>(٢)</sup>.

ثامناً: الستر عليهم، ورد عن الإمام الصادق ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يا علي، إنّ الله جعل الفقر أمانةً عند خلقه، فمن ستره أعطاه الله أجر الصائم القائم، ومن أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله، أما إنّه ما قتله بسيف ولا رمح، ولكنّه قتله بما نكى من قبله»<sup>(٣)</sup>.

تاسعاً: التواصي بهم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أبغوني الضعيف، فإنكم إنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم»<sup>(٤)</sup>.

ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «إنّ عيسى ﷺ لما أراد وداع أصحابه جمعهم وأمرهم بضعفاء الخلق، ونهاهم عن الجباة»<sup>(٥)</sup>.

عاشراً: تصبّر النفس على ما يظهر ويصدر منهم نتيجة حاجتهم، ورد في الحديث في سبب نزول الآية ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ «...إنّ المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ﷺ، إن جلست في صدر المجلس ونحيت عنّا هؤلاء وروائح صنانهم - وكانت عليهم

(١) المناقب ١: ١١٥.

(٢) الصحيفة السجادية: ١٨١.

(٣) الكافي ٢: ٣/٢٦٠.

(٤) ارشاد القلوب ١: ٣٣.

(٥) القصص الراوندي: ٣٥٩/٢٧٣.

جباب الصوف - جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فما يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء، فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ يلتمسهم فأصابهم في مؤخرة المسجد يذكرون الله، فقال ﷺ: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات»<sup>(١)</sup>.

الحادي عشر: إعطاؤهم وتقديم العون إليهم قبل سؤالهم لطلب الحاجة، ورد عن الإمام السجاد وهو يدعو لجيرانه أنه قال: «... وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال»<sup>(٢)</sup>. وعن الإمام الصادق عليه السلام وهو يبين حق المسلم على المسلم أنه قال: «... وإذا علمت له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»<sup>(٣)</sup>.

الثاني عشر: السعي إلى رفع مستواهم الثقافي والعلمي، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... من العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف، ولا يرى له في المساكين موضعاً، فذاك في الدرك الثالث من النار»<sup>(٤)</sup>.

س: ما هي العوامل التي يجب أن يوقرها الإنسان من أجل ألا يكون عرضة للفقر؟

ج:

١- الكسب والعمل والسعي الجاد في طلبه، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إني أجدني أمقت الرجل متعذر المكاسب، فيستلق على قفاه ويقول: اللهم ارزقني

(١) البحار ٢٢: ٣٧/٤٤.

(٢) الصحيفة السجادية: ٢٦/١٣٩.

(٣) الكافي ٢: ٢/١٦٩.

(٤) الخصال ٢: ٣٣/٣٥٢.

ويدع أن ينتشر في الأرض ويلتمس من فضل الله، فالذرة تخرج من جحرها تلمس رزقها»<sup>(١)</sup>.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تكسل عن معيشتك فتكون كلاً على غيرك»<sup>(٢)</sup> إن الله تبارك وتعالى ليحبّ الاغتراب في طلب الرزق»<sup>(٣)</sup>.

٢- التدبير والحكمة، وهو صرف الشيء في محله ويقدر الضرورة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله فيما رواه الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «شكا قوم إلى النبي صلى الله عليه وآله سرعة نغاد الطعام، فقال: تكيلون أو تهيلون؟ قالوا: نهيل يا رسول الله - يعني: جزافاً - قال صلى الله عليه وآله: كيلوا فإنه أعظم للبركة»<sup>(٤)</sup>.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قوام العيش حسن التقدير، وملاكه حسن التدبير»<sup>(٥)</sup>، «حسن التدبير مع العفاف خير من الغنى مع الإسراف»<sup>(٦)</sup>.

٣- الاقتصاد بحيث لا ينسحب الإنسان إلى الإسراف، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الاقتصاد ينمي القليل»<sup>(٧)</sup>، «الإسراف يفني الجزيل»<sup>(٨)</sup>، «الاقتصاد نصف المؤونة»<sup>(٩)</sup>، «ما عال امرؤ اقتصد»<sup>(١٠)</sup>.

(١) الفقيه ٣: ٣٥٧٩/١٥٨.

(٢) الوسائل ١٢: ٢١٩٧٠/٣٧.

(٣) الفقيه ٣: ٣٥٧١/١٥٦.

(٤) الكافي ٥: ١/١٦٧.

(٥) غرر الحكم: ٨٠٨٤/٣٥٤.

(٦) غرر الحكم: ٨٠٦٢/٣٥٣.

(٨) غرر الحكم: ٨١١٨/٣٥٩.

(٩) غرر الحكم: ٨٠٥١/٣٥٣.

(١٠) خصائص الأئمة: ١٠٤.

٤- المحافظة على صحّة البدن، فإن لها دوراً في المحافظة على إدامة العمل ومقاومة صعوباته، ممّا يوفر لدى الإنسان المعيشة الأفضل، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ أَصْبَحَ مَعَاظاً فِي جَسَدِهِ، آمناً فِي سَرِيهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حَيَزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»<sup>(١)</sup>.

٥- التقليل من الطعام، فإن تأثيره الإيجابي يسير في اتجاه صحّة البدن وتوفير المعيشة والراحة الروحيّة والفكريّة، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ اقْتَصَرَ فِي أَكْلِهِ كَثُرَتْ صِحَّتُهُ وَصَلَحَتْ فِكْرَتُهُ»<sup>(٢)</sup>، «قَلَّ مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْقُمْ»<sup>(٣)</sup>، «الشَّيْبُ يَكْثُرُ الْأَدْوَاءَ»<sup>(٤)</sup>.

٦- عدم التعدي إلى السفه في العطاء والإنفاق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُخْسِرُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة: ٨٧).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَنْفَقَ مَا فِي يَدَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ وَلَا وَفَّقَ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، يَعْنِي الْمُقْتَصِدِينَ»<sup>(٥)</sup>.

٧- أخراج الحقوق التي أوجبها الله وتقديمها إلى المستحقين، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، ورد عن الإمام علي بن

(١) وسائل الشيعة ١٦: ١٨/٢٠٨٤٩.

(٢) غرر الحكم: ٣٢٠/٧٤٠٤.

(٣) المستدرک ١٦: ٢١٣/١٩٦٣٤.

(٤) غرر الحكم: ٣٦٠/٨١٥٩.

(٥) الكافي ٤: ٧/٥٣.



الحسين عليه السلام أنه قال: «لينفق الرجل بالقصد وبلغه الكفاف، ويقدم منه فضلاً لآخرته، فإن ذلك أبقى للنعمة، وأقرب إلى المزيد من الله عزَّ وجلَّ، وأنفع في العافية»<sup>(١)</sup>.

٨- أن يعيش الإنسان حالة القناعة ويربي نفسه عليها وإن كان على قليل، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... الدنيا دارٌ مَنيَ لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضراء، وقد عجّلت للطالب، والتبست بقلب الناظر، فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا منها فوق الكفاف، ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ»<sup>(٢)</sup>، «قليل ينجي، خير من كثير يردى»<sup>(٣)</sup>، وعنه أيضاً: «البدن القانع أغنى من البحر»<sup>(٤)</sup>.

٩- الابتعاد عن التعمّد على أخذ القرض والدين، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الفقر مع الدين الشقاء الأكبر»<sup>(٥)</sup>، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الدين غمّ بالليل، وذلّ في النهار»<sup>(٦)</sup>.

١٠- عدم التعمّد على الشكوى وإظهار الحاجة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ تفاقر افتقر»<sup>(٧)</sup>، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إظهار التباؤس يجلب

(١) وسائل الشيعة ٢١: ٢٧٨٤١/٥٥٠.

(٢) نهج البلاغة ١: ٤٥/٩٥.

(٣) غرر الحكم: ٨٢٥٩/٣٦٦.

(٤) جامع الأخبار: ١٣٨.

(٥) غرر الحكم: ٨٢١١/٣٦٢.

(٦) تحف العقول: ٣٥٩.

(٧) تحف العقول: ٤٢.

الفقر»<sup>(١)</sup>، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من عبد يسأل من غير حاجة فيموت حقّ يحوجه الله إليها، ويثبت الله له بها النار»<sup>(٢)</sup>.

١١- الابتعاد عن السؤال مهما أمكن، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إياكم وسؤال الناس، فإنه ذلّ في الدنيا، وفقر تعبّلونه، وحساب طويل يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

س: اشرح ما تعرفه عن البند السادس من الميثاق الذي تذكره هذه الآية: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

ج:

البند السادس

له احتمالان:

الإحتمال الأول: هو حسن القول لجميع الناس، فهو أمر فطري حَكَمَ بحُسنه العقل وحثّ عليه الشرع، فلو عمل بها الناس لعمّت الألفة والمحبة وزالت كلّ الضغائن من النفوس ولبلغ المجتمع الإنساني إلى قمة السعادة، ولكن الإنسان كان ظلوماً جهولاً فلا يقبل إلا الاتجاه المعاكس للحقّ والفطرة والعقل فلا ثقة بين الناس ولا تراحم، وكلّما طال الزمن كلّما حصل الابتعاد أكثر من هذه القيم، بينما نظام السماء قائم على الأخلاق ومن وحداته القول الحسن، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

(١) غرر الحكم: ٣٦٦/٨٢٤٦.

(٢) الكافي ٤: ٣/١٩.

(٣) الكافي ٤: ١/٢٠.

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ أَنَّهُ قَالَ: « قُولُوا لِلنَّاسِ أَحْسَنَ مَا تَحِبُّونَ أَنْ يُقَالَ فِيكُمْ »<sup>(١)</sup>،  
 وورد عنه كذلك: « قُولُوا لِلنَّاسِ أَحْسَنَ مَا تَحِبُّونَ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ  
 يَبْغِضُ السَّبَّابَ اللَّعَّانَ الطَّعَّانَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْفَاحِشَ الْمَفْحِشَ السَّائِلَ، وَيَحِبُّ الْحَيَّ  
 الْحَلِيمَ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ »<sup>(٢)</sup>، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: « قُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا  
 وَلَا تَقُولُوا إِلَّا خَيْرًا حَتَّى تَعْلَمُوا مَا هُوَ »<sup>(٣)</sup>.

الاحتمال الثاني: قد يكون لهذا الخطاب خصوصية وهو بذله للوالدين ولذي  
 القربى واليتامى وللفقراء المساكين عندما لا تملك المال ومما تقدّمه مما يشترك في  
 قضاء حوائجهم، فالبديل هو القول الحسن والردّ الجميل الذي يشترك في دخول  
 الصبر والسرور في قلوبهم، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: « إِنْ لَمْ تَسْعُوا النَّاسَ فِي  
 أَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ فِي أَخْلَاقِكُمْ »<sup>(٤)</sup>.

س: هل بذل القول الحسن لجميع الناس وإن اختلفت أديانهم، أم هذا النوع  
 من الأخلاق خاص بين المسلمين فقط؟

ج:

أَنَّ الْأَخْلَاقَ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ بِذَلِكَ لِجَمِيعِ النَّاسِ، لِتَعَكُّسِ رِسَالَتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ،  
 وَلِتَعَرُّفِهِمُ الْأُسُسَ السَّامِيَةَ الَّتِي تَدْعُو إِلَيْهَا رِسَالَتُهُ مِنْ خِلَالِ الْأَخْلَاقِ، وَهَذَا لَا يَعْنِي  
 حُبَّ الْكَافِرِينَ وَوَدَّهَمَ وَعَدَمَ وَجُوبَ مُحَارَبَةِ الْأَعْدَاءِ عِنْدَ الْإِعْتِدَاءِ؛ لِأَنَّ الْحُبَّ شَيْءٌ

(١) الكافي ٢: ١٠/١٦٥.

(٢) الأمالي للصدوق: ٣٨٢/٣٢٦.

(٣) الكافي ٢: ٩/١٦٤.

(٤) الفقيه ٤: ٥٨٣٩/٣٩٤.

وبذل الأخلاق شيء آخر، فليس كل من تبذل له الأخلاق تحببه، فإن الحب والبغض من الأمور القلبية.

س: اشرح ما تعرفه عن البند السابع من الميثاق الذي تذكره هذه الآية:  
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

ج:

البند السابع: إقامة الصلاة، فهو أمر لجميع المكلفين بإقامة الصلاة وهو إتيانها تامة الأجزاء وجامعة للشرائط، وهي أقوى صلة بين الله تعالى وعباده، ومن أهم السبل في صلاح النفس، وقد مرَّ الحديث عنها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: ٣).



### ● زكاة المال والأبدان

س: اشرح ما تعرفه عن البند الثامن من الميثاق الذي تذكره هذه الآية:  
﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾.

ج:

أولاً: الزكاة لغة: ١- النمو. ٢- الطهارة.

ثانياً: القائمون بالزكاة حسب ما ورد في القرآن هم:

١- تنسب الزكاة إلى الله، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٤٩).

٢- تنسب الزكاة إلى الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (البقرة: ١٢٩).

٣- تنسب إلى الإنسان، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩).

٤- تنسب إلى ذات عمل الخير، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٣).

ثالثاً: الزكاة من حيث المتعلق بها تنقسم إلى قسمين:

١- الزكاة المعنوية، وهي على معانٍ منها:

أ- التطهير والنمو، كتركية الإنسان نفسه في اتجاه الأخلاق والكمال وطهارة النفس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٩-١٠).

ب- التقييم، وهنا أن المسؤول عن تركية النفس وتقييمها هو الله، قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٤٩)، وإن تركية الإنسان نفسه حالة مذمومة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢).

ج- توظيف الشيء في محله، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «زكاة العلم بذله لمستحقه، وإجهاد النفس في العمل به»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً: «زكاة القدرة الإنصاف»<sup>(٢)</sup>، وعنه أيضاً: «العفو زكاة القدرة»<sup>(٣)</sup>، وعنه أيضاً: «زكاة النعم اصطناع المعروف»<sup>(٤)</sup>، وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... زكاة الأذن: استماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الحكمة والموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك، بالإعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباهاها»<sup>(٥)</sup>، وفي هذا المورد قد ورد الشيء الكثير، ونحن إذ نكتفي بذلك اختصاراً، وقد يرجع هذا

(١) غرر الحكم: ١٣٢/٤٤.

(٢) غرر الحكم: ٧٨٢١/٣٤٢.

(٣) غرر الحكم: ٧٨٢٢/٣٤٢.

(٤) غرر الحكم: ٨٧٠٨/٣٨٣.

(٥) المستدرک ٧: ٧٦١٣/٤٥.

القسم إلى القسم الأول.

٢- الزكاة المادية، وهي على قسمين:

١- الزكاة بالمعنى العام: وهي مطلق الصدقات وعطاء الخير المقرون بنية القرية لله.

٢- الزكاة بالمعنى الخاص: وهي الزكاة التي وضع الشارع التقنين لها بصورة خاصة،

وهي تنقسم إلى قسمين:

١- زكاة المال: وهي قدر مخصوص يطلب إخراجه من المال بشروط خاصة،

وتنقسم إلى واجب ومندوب.

٢- زكاة الأبدان: وهي التي تسمى بزكاة الفطرة، وسميت بذلك لوقت أدائها المنحصر

بعد الإفطار من شهر رمضان وهي الليلة الأولى من شهر شوال، وزكاة الأبدان

تنقسم إلى قسمين: واجب ومندوب.

س: ما هي الأدلة القرآنية التي تثبت أن زكاة المال لها وجودها الشرعي

قبل الإسلام وفي زمن الأنبياء السابقين؟

ج:

١- النبي إسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ

مَرْضِيًّا﴾ (مريم: ٥٥).

٢- النبي إسحاق ويعقوب عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا

إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣).

٣- النبي موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴿البقرة: ٨٣﴾.

٤- النبي عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾

(مريم: ٣١).

س: ما هي الموارد التي يجب فيها الزكاة في الشريعة الإسلامية؟

ج:

أولاً: في الأنعام الثلاث: الإبل، والبقر، والغنم.

ثانياً: النقدين: الذهب، والفضة.

ثالثاً: الغلّة الأربعة: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب.

س: ما هي أهمّ الموارد التي يستحبّ فيها الزكاة في الشريعة الإسلامية؟



ج:

أولاً: بعض ما تنبت الأرض بمعايير كالتالي أو يوزن.

ثانياً: مال التجارة.

ثالثاً: الخيل الإناث.

س: ما هي شروط وجوب الزكاة في الموارد الواجبة والمستحبة؟

ج:

أولاً: شروط الوجوب الرئيسية في الأنعام الثلاث هي:

١- النصاب: هو المقدار أو العدد الذي عينه الشارع المقدّس في الأموال الزكوية.

٢- السوم: وهو الرعي.

٣- الحول: وهي السنة القمرية، ومقدارها هنا أحد عشر شهراً، ويكون الشهر الثاني

عشر زمناً للوجوب.

ثانياً: شروط الوجوب الرئيسية في التقدين هي:

١- النصاب.

٢- أن يكونا مضروبين بسكّة المعاملة.

٣- الحول.

ثالثاً: شروط الوجوب الرئيسية في الغلاة هي:

١- النصاب.

٢- الملكية في الزراعة.

رابعاً: شروط الاستحباب الرئيسية في مال التجارة هي:

١- النصاب.



٢- أن يطلب برأس المال أو زيادة.

٣- الحول.

خامساً: الشروط الرئيسية في استحباب زكاة خيل الإناث هي:

١- السوم.

٢- الحول.

س: ما هي أصناف المستحقين للزكاة؟

ج:

المستحقون للزكاة ثمانية أصناف حسب ترتيب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ

لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ

اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٦٠)، وهم:

١- الفقراء: وهم المحتاجون الذين تقصر أموالهم عن مؤنة سنتهم، ويظهرون للغير

حاجتهم.



- ٢- المساكين: وهم المحتاجون الذين تقصر أموالهم عن مؤنة سنتهم، ولا يظهرون للغير حاجتهم استعفافاً.
- ٣- العاملون: وهم عمال الصدقات الذين يسعون لجمع وحصول وقسمة الزكاة.
- ٤- المؤلفئة قلوبهم: وهم الكفار الذين يُستمالون إلى الجهاد.
- ٥- في الرقاب: وهم العبيد المكاتبون أو الواقعون تحت الشدّة أو يُشترّون ويُعتقون.
- ٦- الغارمون: وهم الذين علّتهم الديون في غير معصية.
- ٧- في سبيل الله: ١- جهاد المسلمين. ٢- المصالح العامّة.
- ٨- ابن السبيل: وهو المنقطع به أثناء سفره ولو كان غنياً في بلده.

س: ما ذا قالت السنة عن الزكاة؟

ج:

- ١- الزكاة ضرورة من ضروريات الدين، والمانع للزكاة إنكاراً لها كافر، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يا عليّ من منع قيراطاً من زكاة ماله، فليس بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة له»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً: «يا عليّ كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة... ومانع الزكاة...»<sup>(٢)</sup>.
- ٢- الزكاة تأخذ بالإلزام من الناس من قبل الحاكم العادل، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يجبر الإمام الناس على أخذ الزكاة من أموالهم؛ لأنّ الله يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾»<sup>(٣)</sup>.
- ٣- الزكاة منع الحاجة الفرديّة والاجتماعيّة بصورة قطعيّة، ولهذا تعطى للفقير بمقدار

(١) الفقيه ٤: ٥٧٦٢/٣٦٧.

(٢) الفقيه ٤: ٥٧٦٢/٣٥٦.

(٣) دعائم الإسلام ١: ٢٥٣.

حتى يكون غنياً بها، ورد عن إسحاق بن عمار أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:  
أعطي الرجل من الزكاة مائة درهم. قال: «نعم». قلت: مائتين. قال: «نعم». قلت:  
ثلاثمائة. قال: «نعم». قلت: أربعمائة. قال: «نعم». قلت: خمسمائة. قال:  
«نعم حتى تغنيه»<sup>(١)</sup>.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قيل له: فإذا لم يوجد المستحق؟ قال:  
«يعطى المستضعفون، الذين لا ينصبون، ويعطى المؤمن من الزكاة ما يأكل منه  
ويشرب ويكسي ويتزوج ويحج ويتصدق ويوفي دينه»<sup>(٢)</sup>.

٤- التشديد المبرح على مانع الزكاة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «السراق  
ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحل مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينو  
قضاءه»<sup>(٣)</sup>.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «بيننا رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد إذ قال: قم يا فلان،  
وقم يا فلان، وقم يا فلان، حتى أخرج خمسة نفر، فقال: أخرجوا من مسجدنا، لا  
تصلوا فيه وأنتم لا تزكون»<sup>(٤)</sup>.

٥- الزكاة طريق للمساواة، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال وهو في بيان علل  
تشريع الزكاة: «...والحث لهم على المساواة»<sup>(٥)</sup>.

س: ما هو مقدار تجاوب بني إسرائيل مع بنود الميثاق التي ذكرت، وضح

(١) التهذيب ٤: ١٧٢/٦٣.

(٢) البحار ٩٣: ٤٥/٧٠.

(٣) التهذيب ١٠: ٦١١/١٥٣.

(٤) الكافي ٣: ٢/٥٠٣.

(٥) علل الشرائع ٢: ٣/٣٦٩.

ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّغْرَضُونَ﴾؟

ج:

عدم الوفاء بالميثاق، ومعارضته بالنفاق هو الحالة الطبيعية لتحرك بني إسرائيل اتجاه الرسالات والعمل بها، وإنّ القليل منهم هم الذين يستجيبون لها، وهذه الحالة وإن كانت يتميّز بها بنو إسرائيل إلا أنّها تكشف عن حالة عامّة وهي أنّ القليل منهم الذين يؤمنون ويعملون بما يملي عليهم إيمانهم وإنّ أكثرهم للحقّ كارهون.



مركز تحقيقات کامپویر علوم اسلامی

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ (البقرة: ٨٤-٨٦)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات هذه الآيات ؟

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

ج:

- ١- السفك: الإهراق والصب.
- ٢- الإقرار: الإخبار الجازم بما هو لازم.
- ٣- الشهادة: الحضور الذي لا شك فيه.
- ٤- التظاهر: التعاون.
- ٥- الأسير: ما يؤخذ به الإنسان قهراً.
- ٦- الفداء: طلب الفدية.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾؟

ج:

هذا هو أحد العهود والمواثيق الأخرى المدونة في التوراة التي يحملها بنو إسرائيل في صدر الإسلام وفي زمن الرسول ﷺ، وقد خاطب الله بها الحاضرين ترغيباً لهم للتصديق بالنبى ﷺ، وكشف آخر لتمردهم وعصيانهم لله، وهذان البندان من الميثاق هما:

الأول: حرمة سفك الدماء، ألزمهم الله ألا يسفك أحدهم دم الآخر عمداً مباشرة أو بالتسبيب.

الثاني: حرمة إخراج البعض من ديارهم بغير حق، وقد اعترف اليهود بهذين البندين لأنهما من البنود التي ينفر منها كل عاقل ويستقبلها كل عقل؛ لأن عدم الالتزام بها من المصاديق الواضحة للظلم.

س: اذكر المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَقْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

ج:

١- أن جميع البنود التي ذكرت في الميثاق بنود تقر لها الفطرة والعقل لا شبهة في صحتها وحقيقتها، فلا فرق بين أن يحضر الإنسان في حادثة ما وبين العلم بها بالقطع واليقين؛ لحصول العلم في الطرفين إلا في العامل النفسي بين الأول والثاني وزيادة بعض الجزئيات في الأول دون الثاني، فهم أقرؤا بها بعد أن حصلوا على اليقين بصحتها بالفطرة والعقل فأقرارهم ناتج عن حضور.

٢- قد يكون الإقرار على شيء قد انتهى ولم يترك وراءه أي أثر إلا الإقرار بالتوراة، فإن بني إسرائيل قد أقرّوا بما في التوراة لإيمانهم بها وهم يشاهدونها بين أيديهم وهي تحمل نفس المواثيق التي آمنوا بها بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

٣- الإقرار على ما في التوراة من البنود لإيمانهم بها وهم يشهدون عصيانها وهدمها من قبل أنفسهم، وعلى هذا يكون موضوع الإقرار غير موضوع الشهادة.

٤- أن يكون هذا الخطاب بهذه الآية بالخصوص إخباراً عن تلك الأمة من بني إسرائيل التي كانت حاضرة وقت نزول التوراة التي أقرت بها وشاهدتها، ثم ينتقل بالآية التي بعدها إلى الحاضرين من بني إسرائيل باعتبارهم يدعون أنهم امتداد لأمة موسى ﷺ.



س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾؟

ج:

هنا الخطاب موجّه إلى بني إسرائيل وهم ينقضون كلّ البنود للعهد المأخوذ منهم من خلال إيمانهم بالتوراة، فأما حرمة سفك الدم وقتل النفس فهم يقتل بعضهم بعضاً بغير حق من خلال تعاونهم، لا على أساس الخير وإنما هو تعاون مع الظالم منهم في ظلمه وعدوانه على إخوانه من اليهود في قتلهم وإخراجهم من ديارهم وأخذ البعض أسرى، والكلّ محرّم عليهم.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ

أَسَارَى تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ  
وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا  
تَعْمَلُونَ ﴿٢٤٦﴾

ج:

أحد بنود الميثاق الذي بين أيديهم هو جواز أخذ ودفع الفدية مقابل إخراج  
الأسير من أسره، والمعارك تشتعل بينهم ويأخذ أحد الفريقين أسرى من الآخر ثم  
بعد ذلك يحصل خروج الأسرى من أسرههم بفداء مالي يدفعه الذي من أعدائه أو  
من جماعته، فلو سألتهم لماذا تفادون الأسير منكم؟ لقالوا: لأنَّ أحد بنود ميثاق  
التوراة وجوب فداء أسيرهم من بني إسرائيل، مع وجود بند سابق وهو حرمة القتل  
والإخراج الأهم من وجوب الفداء، فهم قد التزموا بوجوب الفداء الفرع المهم  
وتركوا الحرمة الأصل الأهم بارتكابهم القتل والإخراج. وما يكشف هذا النوع من  
العمل إلا أنَّهم يلتزمون ببعض أحكام الله ويخالفون بعضها عمداً وعلى علم.

وبعبارة أخرى: أنَّهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، وهذا النوع من  
العمل هو استهزاء بآيات الله ووضع آيات الله تحت هوى أنفسهم، لا أنَّهم يخضعون  
إرادتهم وما يهون إليه في أمور التزامهم العقائدي وفق إرادة الله وأحكامه، وفي  
هذه الحالة يكون وجود النظام الإلهي وعدم وجوده على حدٍ سواء، ولهذا تقرأ  
الوعد بالعذاب الشديد على مَنْ يتعامل بمثل هذا النوع من التعامل مع كتاب الله  
وسنته التي أرادها الله للعباد أن تكون.

س: ما هي الاحتمالات في تعبير هذه الآيات ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ مع أنَّ المقصود

هو غير نفس الشخص؟

ج:

١- مبالغة في النهي وتأكيدهم للترك.

٢- تبيية إلى أن ما يحمله الإنسان هو نفس ما يحمله الغير من شعور الحب والبغض أمام الأشياء، فكما لا تحب لنفسك أن تُقتل أو تُخرج من الديار ظلماً فغيرك يحمل نفس الشعور، فتوجيه الخطاب للنفس تجعل الإنسان يفكر بالغير كما يفكر بنفسه. ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابنه: «يا بني، اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم...»<sup>(١)</sup>.

٣- أن بني إسرائيل كتلة واحدة، بينهم روابط القرابة والمصلحة والتعصب الديني، منغلقيين على أنفسهم، ورثوا هذه الصفات من أجدادهم الأولين حتى صار الفرد اليهودي عنواناً مشيراً إلى أمته، فالتعبير بأنفسكم فيه إشارة إلى تكتلهم الوحدوي المغلق.

س: متى يعد الإنسان كافراً بكتابه السماوي؟

ج:

١- الترك مع الاعتقاد به، هذا موجب للفسق.

٢- الترك مع عدم الاعتقاد به أو بيعضه، هذا موجب للكفر.

٣- الترك مع الاعتقاد به والاستهزاء به، هذا موجب للكفر.



## • العذاب استحقاق وعدل

س: عدد أنواع العذاب المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ج:

- ١- الذلّة والهوان في الدنيا ﴿الْأَخْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.
- ٢- نار جهنّم في الآخرة ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾.
- ٣- عدم تخفيف العذاب في جهنّم ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾، وذلك عن طريق عدم وجود لحظة الاستراحة للمعذب فهو في عذاب وتعذيب دائم، فإنّ عذاب الدنيا مهما كان شديداً فإنّ الاستراحة تكون إمّا عن طريق حصول التعب للمعذب فيحصل المعذب من خلال تعب المعذب على الاستراحة، وإمّا عن طريق حصول عدم تحمّل المعذب للعذاب ووصوله لحدّ الموت، وكلّ هذا وغيره منتفٍ في عذاب النار؛ لأنّه لا يوجد تعب ولا موت في النار.
- ٤- عدم حصولهم على النصر في الدنيا فلا دولة مستقرّة لهم، ولا في الآخرة حيث لا شفيع لهم من عمل ولا شخصيّة شافعة ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

س: ما هو تعريف العذاب الاصطلاحي؟

ج:

العذاب: هو ترتّب أثر غير مرضي ومؤلم على موضوعه الثابت حقيقة.

س: ما هو موقف الكتاب والسنة من العذاب الإلهي هل هو واقع أم رمز للتخويف؟

ج:

كما قلنا سابقاً في مبحث النار إنهما حقيقة وليست رمزاً، كذلك نقول هنا: إنَّ العذاب حقيقة وواقع فيها من قبل الله وليس رمزاً، وهذا لسان الكثير من الآيات القرآنية والسنة النبوية وإجماع علماء الحق والعقل، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ • لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (الواقعة: ١-٢)، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ (الطور: ٧).

س: لو أغمضنا النظر عن الكتاب والسنة وصرنا نحن والعقل فقط، ففي هذا الجانب العقلي أثار بعض العلماء عدّة شبهات، وهي على قسمين: الأول: مختص باستحالة صدور أصل العذاب من الله سواء كان منقطعاً أو دائماً.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

الثاني: مختص باستحالة صدور العذاب الدائم بالخصوص منه سبحانه. ومن أصحاب القسم الأول، قالوا:

١- أن العذاب بنفسه قبيح مهما تكن أعضاره؛ لأنه لا يلانم الطبع، وصدور القبيح من الله مستحيل.

٢- أن العذاب عندما يصدر من المعذب له أسبابه منها الانتقام والغضب وجبر النقص والتشقي وغير ذلك، وهذا يستحيل صدوره من الله؛ لأنه هو الغني المطلق.

٣- أن رحمة ربك وسعت كل شيء كما هو صريح القرآن، وإطلاق هذا القول يعني وجود رحمته في الدنيا والآخرة، ووجودها في الآخرة كذلك لا

يلائم صدور العذاب منه.

٤- أن بوجود العصيين وبأعمالهم تميّزت سعادة السعيد وصارت سبباً في فوزه بالجنان فلا موجب لصدور العذاب على العصيين الذين صاروا سبب في سعادة الآخرين.

٥- أن الواجب من التكليف هو ما يعود نفعه ومصالحته إلى نفس المكلف، كما أن العصيان ما يرجع ضرره على نفس المكلف، والقرآن يؤيد هذا المعنى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧)، فيستحيل صدور العذاب من الله في هذه الحالة التي يعود ضررها وفوت المصلحة على نفس العاصي.

٦- أن عذاب الآخرة شيء رمزي وليس حقيقياً؛ لأنه من غير المعقول أن الله يقبل برحمته توبة العبد العاصي في الدنيا بمجرد التضرع والخشوع ولو كان حصول ذلك قبل موته بساعات، بينما نجد في الآخرة لا يزيده التضرع إلى الله والتوبة إليه إلا ﴿قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: ١٠٨)، ورحمة الله نفس الرحمة.

ومن أصحاب القسم الثاني، قالوا:

١- أن العبد لم يذنب إلا ذنباً منقطعاً مهما طال عمره وهو على عصيانه فلا موجب للعذاب الدائم.

٢- أن الأخذ بالأشد والكثير على ما هو ضعيف وقليل يكون منافياً للحكمة، والله هو الحكيم المطلق فيستحيل عليه العذاب الدائم للعاصين.

٣- أن الله بنفسه أوصى في العقوبة بالمثل ﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ (الشورى: ٤٠)،

وعدم الإسراف ﴿فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣)،  
ويستحيل على الله أن تخالف أقواله فعله ولا فعله أقواله وصفاته  
واحدة بالذات والفعل، فيستحيل عليه العذاب الدائم؛ لأنه ليس بالمثل  
أو هو إسراف فيحصل التخلف.

السؤال: ما هي الإجابة على هذه الشبهات العقلية؟

ج:

سوف نجيب على مجموع ما أثير في القسمين حسب الترتيب التالي:  
أولاً: أن العذاب الصادر من الله لا من باب التشفي وجبر النقص وغيرها من هذه  
الأمور التي أثاروها، بل هو من باب الاستحقاق.  
ثانياً: أن معنى الاستحقاق هو ترتيب الأثر المناسب على موضوعه الثابت،  
ومعنى استحقاق العذاب ترتيب الأثر المناسب غير المرضي على موضوعه الثابت  
حقيقة.

ثالثاً: الموضوع الحقيقي الثابت للإنسان هو ذاته، ونحن قلنا عند تفسير المتقين  
في أوائل سورة البقرة: إن الفطرة تحتاج إلى عناصرها الحياتية في إحيائها ونموها  
من الإيمان بالغيب واليقين بالمعاد وإقامة الصلاة وغيرها من الأمور العبادية، وإذا  
تركتموت، بل إذا أعطيت بما هو المضاد لحياتها ونموها من العصيان سوف تؤثر  
أثرها السلبي على ذات الإنسان، فباستمرار المعصية والإصرار عليها تتحوّل الذات  
إلى ذات شقية لا تستأنس إلا بالشقاوة واقتراف الجريمة التي تعودت ذاته عليها،  
وأنت تشاهد بعض الناس المرضى أخلاقياً أنسه في اقتراف جريمة القتل فعندما  
يعثر على من يقتله ويقدم على قتله يشعر بالراحة النفسية وإن كان المقتول طفلاً،

فمعصية الإنسان تؤثر على فطرته وذاته وتحوّل ذاته إلى كتلة من الشقاوة، فإذا حصل ذلك أثرت الذات أثرها على روح الإنسان ونفسه وقلبه وعقله وكلّ ما يتعلّق بمشاعره وأسس تفكيره بحيث تجعله يستأنس بكلّ ما هو قبيح، ويفرح لكلّ ما يشير الألم والحزن ويشير كلّ ما يشعل الفزع وعدم الاطمئنان ولا يبالي سواء كان قد حصل ذلك على نفسه أو على غيره.

رابعاً: أنّ الذات في التأثير والتأثر تتبع عمل العاصي، فقد يؤثّر عليها العصيان بما ينفكّ عنها غير لازم لها، فهنا معناه استعداد الذات الشقيّة للهداية وقبولها في لحظة من لحظات حياتها فتؤثّر أثرها عند حصول ذلك على النفس والقلب والعقل والمشاعر، فتحوّل نفسه الأتّارة إلى لوامة، والقلب القاسي إلى قلب لين وسليم، والعقل الجامد عن الحقّ إلى عقل يتحرّك في التفكير فيما هو الحقّ، والمشاعر الكاذبة في حسّها بما تلتذّ به وتأنس إلى مشاعر صادقة في ذوقها الإنساني الفطري وأنسها الحقيقي في قربها لله، فعند حصول مجموع ذلك من الإنسان تحصل عنده الإنابة والخشوع والتضرّع والرجوع إلى الله بالتوبة، والله يقبل التوبة لوجود الاستعداد في الذات وكلّ ما يملكه في أركان تكوينه والجوانح والجوارح، وظهور هذا الاستعداد بالفعل وعلى ساحة العمل من خلال التوبة وإن كان آخر ساعة من ساعات حياته، وقد يتوب ويرجع إلى المعصية ثمّ يتوب ويرجع... وهكذا حسب قوّة حياة الذات وضعفها وتأثيرها المناسب على ما يمتلكه الإنسان داخلياً.

وقد تتحوّل الذات إلى عجينة من الشقاوة ولازم غير منفكّ عنها نتيجة حجم المعاصي والإصرار عليها والدوام فيها، فعند ذلك لا تعطي ذات العاصي إلاّ عذاباً ولا تستأنس إلاّ بالعذاب ولا تجد طعماً لذيداً إلاّ في العذاب حيث لم تستذوق

حلاوة غيره.

إذا عرفت ذلك تعرف لماذا العذاب، ولماذا العذاب المنقطع الذي يشمل الحالة الأولى من الذات التي أثمر العصيان عليها بما ينفك عنها، ولماذا العذاب الدائم الذي يشمل الحالة الثانية من الذات التي أثمر العصيان عليها وأحاط بها بما لا ينفك عنها. خامساً: أن الحالتين من ذات العاصي قد شملتها الرحمة العامة التي وسعت كل شيء، وقد ذكرنا تقسيم الرحمة إلى العامة والخاصة عند ذكر بحث الرحمة في سورة الفاتحة، ومن جملة ما قلنا: إن الرحمة العامة تشمل المؤمن والكافر، ففي الآخرة كذلك، ومعنى ذلك أن رحمة المؤمن في الآخرة أن يعطيه الله ما استحق عمله الخير والصلاح الذي رفع ذاته إلى درجة من الأنس في نعيم الخير والصلاح، فدرجات الجنان تعطى حسب درجة أنس الذات واستعدادها المناسب لقبول درجة الأنس بالنعيم التي حصلت عليه الذات نتيجة عمل الإنسان في الخير ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠).

ومعنى شمول الرحمة العامة للكافر والعاصي وغيرهم من الذين استحقوا العذاب، هو عطاء الله على ما استحق عمل العاصي من العصيان الذي أخفض ذاته إلى درجة من الأنس في العذاب، فدرجات الجحيم تعطى حسب درجة أنس الذات واستعدادها المناسب لقبول درجة الأنس بالعذاب التي حصلت عليه الذات نتيجة عمل الإنسان في الشرّ والعصيان.

فلو حصل العكس مثلاً بغض النظر عن العدل والظلم وغير ذلك في أن وضعنا ذات الشقي في نعيم الآخرة ووضعنا ذات المؤمن في جحيم الآخرة فسوف تجد كل طرف من الطرفين غير أنيس في محلّه الذي وضع له لذاته، فهو يشبه إلى حدّ بين

وضع زنبور العسل بين القاذورات والذباب في المكان الصحي السليم، فإذا أردت أن ترحم كلاً منهما فعليك أن تضع كلاً منهما بما يناسب ذاته وتأنس به، ووضع الذبابة في القاذورات وإن كان مما يابأه الذوق والطبع والوجدان إلا أنه وضع ترضاه ذات الذبابة ونفسها تستأنس بذلك الوضع دون غيره، فكذلك الشقي، وبهذا تكون الرحمة العامة شاملة لكلا الطرفين ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

وأما الرحمة الخاصة فموردها المؤمنون فقط لسنخيتها وتجانسها معهم فلا تشمل الخارجين عنها.

إذا عرفت ذلك فتعرف أنه لماذا العذاب، ولماذا العذاب المنقطع، ولماذا العذاب الدائم، ولماذا النعيم والعذاب من رحمة الله.

سادساً: مادام العذاب هو استحقاق على عمل الإنسان الذي سبب في تغيير ذاته وبالتالي في صورته ونفسه وقلبه وعقله وبواعث مشاعره فلا يخرج العمل أي عمل للإنسان عن إرادته واختياره، وبالتالي حصول النعيم أو الجحيم من إرادة الإنسان واختياره ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (يونس: ٥٢).

ومما يؤيد لكل ما مرّ قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَذْحُوراً ﴾ ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً ﴾ ﴿ كَلَّا نُمَدِّهُ هُوَلاً وَهُوَلاً مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً ﴾ ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء: ١٨-٢١).

من لواحق الجواب:

١- لو أن رجلاً كان مسؤولاً لمؤسسة خيرية وقاضياً في محكمة ودخل عليه محتاج قد ارتكب جريمة ما، وتضرع إليه بقضاء حاجته المادية وهو في المؤسسة، وتضرع إليه برفع الحكم عليه وهو في المحكمة، فقضاء حاجته في المؤسسة وعدم رفع الحكم عنه في المحكمة يعدّ لزوماً عليه في الحالتين؛ لأنّ من لوازم كونها مؤسسة خيرية مساعدة الآخرين تضرع أم لم يتضرع، ومن لوازم كونها محكمة هو صدور الحكم فيها، بل من أوضاع صور تطبيق القانون يكون فيها، فكذلك الدنيا التي هي كالمؤسسة الخيرية يعطي الله فيها من تضرع ومن لم يتضرع إليه، والآخرة التي هي المحكمة الكبرى ودار الحساب لا بدّ من صدور القانون فيها تضرع له متضرع أو لا، ولا بدّ من تطبيق القانون فيها، ولهذا تجد الجواب الطبيعي في الآخرة للذين صدر في حقهم العذاب هو: ﴿قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون: ١٠٨).

٢- أنّ تضرعهم هذا في يوم الآخرة لا حبّاً بالخير ونعيم الآخرة والجو الطاهر لذاتهم التي تستأنس بالعذاب والشرّ، وإنما هم يتضرعون لعدم تحمّل أرواحهم وجلودهم عذاب الآخرة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: ٢٨)، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ • لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ (المؤمنون: ١٠٠)، فكلّ تضرع يوم القيامة يصدر من أمثال هؤلاء فهو تضرع ناتج من عدم تحمّلهم العذاب لا حبّاً بالخير أو ندماً من شرّ.

٣- أولاً: أنّ سعادة السعيد لم تكن علّتها المنحصرة وجود الشقيّ وفعله، بل اجتمعت عدّة علل لذلك.

ثانياً: لو كان البناء أن يعطي النعيم للمجرمين على وجودهم وفعلهم فهذا يعني



قد فُقد التمييز بين الظالم والمظلوم والمعتدي والمعتدى عليه، ويكون دخول الشيطان إلى الجنة ورضا الله عنه من باب أولى !! وهذا ما لا يرضاه عاقل.  
ثالثاً: أن ما يحصل بوجوده التمييز لا يكون علة ولا جزء علة للطرف الآخر بأي وجه، فوجود الشقي وفعله ليس له دخل بسعادة السعيد.

س: هل إن عذاب الإنسان في الدنيا يمحو عنه عذاب الآخرة؟

ج:

العذاب في الدنيا سواء كان المقصود به الابتلاء من نقص في الأنفس والشمرات وغيرها، أم كان المقصود منه نزول القصاص بحقه وتطبيق الحكم الشرعي عليه، ففي الحالتين يرجع ذلك إلى استعداد الذات للهداية والقبول، فإذا كان وجود إمكان الاستعداد للقبول والهداية فلا يزيد كثرة الابتلاء عليها إلا ذوباناً في الله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما أودى نبي بمثل ما أوديت»<sup>(١)</sup>، وكم ممن نزل عليهم القصاص الشرعي قد تابوا وصلاحوا، بل صار القصاص ثقلاً في حياتهم وتحولاً في سيرتهم إلى طريق الهدى والقرب إلى الله سبحانه.

ونرى نموذجاً آخر لا يزيده الابتلاء بالحاجة إلا سرقة، ولا بضيق النفس تعدياً على حقوق الآخرين، ولا بنزول القصاص الشرعي عليه إلا تمرداً وعناداً.  
إذا عرفت ذلك فسوف تعرف متى يُرفع العذاب في الآخرة ومتى يبقى.

س: أن يقوم الإنسان بعمل يخالف الله وقد دفع ما يترتب عليه من الناحية الشرعية من قصاص أو حدود أو دفع مال أو إرضاء الطرف الآخر إن

كانت متعلّقة بالغير، السؤال هل يترتب عليه يوم القيامة العذاب كذلك أم ما قام به ممّا ترتّب عليه من الحكم الشرعي يكون كافياً وبدلاً عن عذاب الآخرة؟

ج:

أولاً: نحن قلنا في جواب السؤال السابق بما فحواه: إنَّ طريق التخلّص من عذاب الآخرة ليس له إلاّ طريق واحد وهو التوبة واستبدال الذنب بالعمل الصالح، فهنا نقول: إذا كان فعله للجريمة جهلاً وما حصل عليه من العقوبة الشرعيّة صار له رادعاً بحيث ندم على جريمته وتاب عليها وتطهّرت بذلك ذاته فلا عذاب يوم الآخرة لتوبته، وإذا لم يزد ذلك القصاص أو تلك الحدود أو تلك الخسارة الماديّة إلاّ إصراراً وشقاوة ولم تزداد ذاته إلاّ شرراً فالعذاب باقٍ، فلا حدّ لمعصيته قد حدّت من جرّاء الحدّ الذي أُجري عليه، ولا توبة حصلت ولا ذات صلحت فلا ميّز لرفع العذاب عنه.

ثانياً: لا يرفع العذاب يوم الآخرة عمّن بيّت الندم قبل وقوعه بالجريمة؛ لأنّ الندم الذي سوف يصدر منه بعد الجريمة ليس ندماً حقيقياً وقلبيّاً، وإنما هو متمّم للجريمة التي صارت مركّبة من الفعل زائداً الندم الأوّل، فالندم الثاني متمّم لمجموع المركّب فقيّمته سلبيةً وبعدّ استهزاءً بالله، فهو من أجل أن يحصل على التوبة النصوحة يحتاج إلى ندم ثالث وحالة قلبيّة مخلصّة على ما صوّرت نفسه ودفعته إلى الفعل والاستهزاء بالله بالندم الأوّل.

ثالثاً: لا يكرّر العذاب في الآخرة في حالة نزول الله عقابه عليه في الدنيا عن طريق ابتلاء العبد العاصي بالمحن والرزايا وبما هو شرّ يعود عليه كإجراء الحدّ

عليه وكالمرض أو الفقر وغير ذلك بحيث يكون الردع سابقاً على الحدّ، وما يأتي الحدّ إلا من باب الاستحقاق وأثر من الآثار التي يتركها الذنب، وربما من هذا الباب نجد أن ما أجراه الرسول ﷺ أو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من الحدود على بعض العاصين كلّهم كان نتيجة اعتراف المذنب بذنبه وإقراره عليه، فمثل هذا النوع من جريان الحدود لا يكرّر جزاؤه يوم الآخرة.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا إلا كان الله أحلم، وأجود، وأكرم من أن يعود في عقابه يوم القيامة...»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً: «الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحتهم لتسلم بها طاعتهم ويستحقوا عليها ثوابها»<sup>(٢)</sup>.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

(١) البحار ٧٨: ٢٥/١٧٩.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٧/٢٢.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (البقرة: ٨٧-٨٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- التقفية: الإرداف والمتابعة.

٢- التأييد: التقوية والإعانة.

٣- القدس: ١- الطهارة والتطهير. ٢- الكمال الأتم.

٤- الهوى: ميل النفس نحو الشيء باختيار.

٥- الغلاف: الغطاء.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾؟

ج:

هذه صورة أخرى ليهود بني إسرائيل وهي تعكس مواقفهم مع أنبيائهم منهم الذي كان أولهم موسى عليه السلام وآخرهم عيسى عليه السلام، وكان ما بين الأول والأخير الآلاف من الأنبياء والرسل، قيل: إن مجموع الأنبياء من بني إسرائيل الذين بُعثوا ما بين

موسى وعيسى سبعون ألف نبي، ولم يكن مجيء الأنبياء خالياً ومجرد ادعاء، بل كانوا يحملون إليهم بما حملهم الله من الكتب والرسالات التي فيها نظام حياتهم الدنيوية والأخروية، وكانوا مزودين بآيات بيّنات من المعاجز وما يحتاجه النبي في تصديق نبوته ورسالته ممّا لا يترك أثراً للشك، وعلى الرغم من ذلك تجد معاملة بني إسرائيل مع جميعهم من دافع واحد وميزان واحد وهو هوى النفس، يؤمنون بذلك النبي عندما يرغبون فيه وتميل إليه نفوسهم لسبب من الأسباب، ويرفضون آخر عندما لا تميل أنفسهم إليه، فلا تجد لله حرمة في نفوسهم من استحقاق طاعته والخوف منه وامثال أوامره.

وعلى هذا تكون النتيجة أنّهم لم يؤمنوا بأي نبي من الأنبياء؛ لأنّه لم يمكن أن يتصور أن يأتي نبي هو تابع لهوى أنفسهم المنحرفة، وساكت على وجودهم الضالّ وعلى رئاستهم غير الحقّة وعلى أطماعهم غير المحدودة وعلى تسلّطهم على عوامّ اليهود وأخذهم الأموال بغير حقّ باسم الحقّ والشرعيّة، ولهذا تجد مجابهة الأنبياء من قبلهم من تكذيبهم وقتلهم هو الموقف الطبيعي لاستكبارهم الذي يكون من أعلى مراتب الانحراف لا لحقّ يمتلكونه أمام الله وأنبيائه حتّى يكون داعياً لاستكبارهم، ولهذا لو سألتهم عن سبب موقفهم المخزي هذا لأجابوا ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾.

س: ماذا يعني تبريرهم مواقفهم هذا بقولهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾؟

ج:

هنا عدّة احتمالات منها:

١- أنّ مرجع معاملتنا هذه مع الأنبياء إلى أمر تكويني في خلقتنا، وهو وجود أغطية وحجب على قلوبنا مانعة من قبول دعوة الأنبياء والإصغاء إليهم.

٢- أَنْ قُلُوبِنَا قَدْ اِمْتَلَتْ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ مِنْ كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَا مَجَالَ لِأَنْ نَسْتَمَعَ لغيرهم.

٣- أَنْ قُلُوبِنَا مَمْلُوءَةٌ بِالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَنَحْنُ مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ وَالْفِكْرِ الرَّفِيعِ فَلَا نَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَعْرِفُنَا دِينِنَا وَيُرْسِمُ مِنْهَجِيَةَ الْعِبَادَةِ لَنَا.

٤- أَنْ قُلُوبِنَا أَغْلَفَةٌ وَأَكْيَاسٌ خَالِيَةٌ وَفَارِغَةٌ مِنْ أَنْ تَعْتَرِ عَلَى صِحَّةِ مَا يَدَّعِي الْأَنْبِيَاءُ بِهِ.

٥- أَنَّهُ تَبْرِيرٌ يَنْتَمِ عَنْ عَدَمِ اِمْتِلَاكِهِمْ لشيءٍ ولو قليل مقابل استكبارهم على الله وعلى رسله.

س: ماذا يعني جواب الله: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾؟

ج:

يجيبهم الله بأنَّ السبب ليس كما يقولون، بل ما قالوه كان معلولاً ونتاج كفرهم، فوجود الغُلف صحيح ولكن سببه هو كثرة جحودهم وعنادهم وتمردهم وغرورهم ومعاصيهم بما مجموعه الكفر هو الذي أوصلهم إلى هذه الحالة التي استسهلوا من خلالها تكذيب الأنبياء وقتلهم، فهم مطرودون من رحمة الله بكفرهم الذي أوصلهم إلى مرحلة الطرد وشمول قانون ختم القلوب الذي كان نتيجة لا ابتداء ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾، ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ١٥٥).

وعليه لم يكن عجباً أن يقفوا هذا الموقف المخزي أمام رسول الله ﷺ بتكذيبه ومحاولة قتله من قبلهم بعدة من المحاولات، وليس معنى ذلك أن كل أفراد بني إسرائيل هذا حالهم من الاستكبار والغرور، بل هناك من آمن بالله ورسله ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾، ليكونوا حجة عليهم يوم القيامة.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في معنى روح القدس، ومن هو؟

ج:

١- الروح المقدسة.

٢- أن يكون اسم ذات لذات واحدة هو جبرئيل أو أعلى منه، ورد عن أبي بصير أنه

قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...﴾ (الشورى: ٥٢)؟ قال:

«خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله

يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده»<sup>(١)</sup>.

٣- أن يكون اسم ذات مركب من ذاتين، فالروح هو جبرائيل، والقدس هو الله.

٤- روح القدس، هي الوسيلة والسبب الإلهي الذي من خلاله يسدّد الله به أنبياءه،

وهي القوة التي يجعلها الله لأنبيائه وللأئمة الأطهار من أجل أن يكونوا أهلاً

لتحمّل مسؤولية إدارة الناس تشريعاً وتكويناً.

ورد عن المفضل بن عمرو، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: سألته عن علم الإمام

بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخئ عليه ستره، فقال: «يا مفضل، إن الله

تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فيه دبّ ودرج،

وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأق النساء من

الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة. فإذا قبض

النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل

ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس

كان يرى به»<sup>(١)</sup>.

س: لماذا سمي جبرائيل بالروح؟ اذكر المحتملات في ذلك؟

ج:

١- لأنه من الملائكة التي يغلب عليها الروحانية ولكن روح جبرائيل تتميز بأنها

أعلى رتبة من غيرها من الملائكة ﴿تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ (القدر: ٤).

٢- أن تكون حياة الأرواح بالدين التي تتم بواسطته، فهو الوحي الذي ينزل على

الأنبياء.

٣- لينال علو شأنه في قلوب الناس عند السماع باسمه؛ لأنَّ الروح هي أعلى وجود

يمتلكه الإنسان.

٤- أن يكون الروح ملكاً خاصاً يطلق عليه الروح له مهمته الخاصة وهو غير

جبرئيل.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي



﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ  
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى  
الْكَافِرِينَ ﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ  
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (البقرة: ٨٩-٩٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- الاستفتاح: ١- طلب الفتح والنصرة. ٢- الابتداء.
- ٢- بئس: كلمة تستعمل في جميع المذام، كما أن (نعم) تستعمل في جميع المباح، ويرفعان ما فيه الألف واللام، أو مضافاً إلى ما فيه الألف واللام، وينصبان النكرة، وأصل بئس: بئس، وهو من البؤس.
- ٣- البغي: تجاوز الحد إلى ما ليس له، وهنا في غير الممدوح.
- ٤- باء: رجع.

س: ما هو التفسير المحتمل للآيتين المذكورتين أعلاه؟

ج:

موقف متصل الطبيعة والأحداث قديماً وحديثاً لبني إسرائيل، ذلك عندما جاءهم القرآن وهو يحكي فيما هو موجود ومذكور في التوراة من ناحية العقائد وبعض الأحكام وكثير فيما هو مختص بحياة الرسول ﷺ وصفاته من اليقين، بحيث كان يهود بني إسرائيل قبل ظهور النبي محمد ﷺ ومبعثه يسرون باتجاهين

في عملية الترويج لظهوره ومبعثه، وهما:

الأول: مع الناس لتهمته نفوسهم لقبول النبي الجديد، ورد في الحديث عن القمي: «كانت اليهود يقولون للعرب قبل مجيء النبي محمد ﷺ: أيها العرب هذا أوان نبي يخرج من مكة، وكانت مهاجرته بالمدينة، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، في عينه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يلبس الشملة ويجتزي بالكيسرة والتميرات، ويركب الحمار العري، وهو الضحوك القتال، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، لنقتلنكم به يا معشر العرب قتل عاد، فلما بعث الله نبيه بهذه الصفة حسدوه وكفروا به، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾»<sup>(١)</sup>.

الثاني: مع خصوص المشركين الوثنيين، ورد عن الإمام الصادق ﷺ في خصوص هذه الآية أنه قال: «كان قوم في ما بين محمد ﷺ وعيسى ﷺ، وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي ﷺ ويقولون: ليخرجن نبي، وليكسرن أصنامكم، وليفعلنن بكم ما يفعلن، فلما خرج رسول الله كفروا به»<sup>(٢)</sup>.

هكذا كان موقف اليهود قبل المبعث، وهذا هو الموقف بعد مبعثه وبعد أن عرفوه وعرفوا قرآنه، لا أنهم لم يصدقوا به فحسب، بل كانت لهم عدّة محاولات لقتله لولا تسديد الله ورعايته المباشرة له، وليس استنكارهم للرسول ﷺ والوقوف بوجهه مستنداً على شبهة أو شك أو لحجة غير واضحة، بل بعدما عرفوا أنه هو الذي تدعو التوراة إليه وأن ما جاء به هو الحق ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

(١) تفسير القمي ١: ٣٣.

(٢) الكافي ٨: ٣١٠/٤٨٢.

الكافرين»، تركوا الرسول ﷺ والإيمان به لا بدافع الإيمان على مقدّساتهم، بل بدافع البقاء على عنصريتهم ووحدتهم كأمة ولو على حساب الإيمان بالله ورسوله وكتبه؛ لأنّ معنى انخراطهم في الإسلام هو ذوبانهم وما يحملون من عناوين في بودقة الإسلام، وهذا من أهمّ أسباب الرفض، فهم يتمردون ولو كان هذا الذوبان بأمر إلهي، وعملية الحفاظ على هذا العنوان الجامع لهم مقابل عملية الهداية والإيمان بالرسول ﷺ المأمورين بإطاعته عملية استبدال ومعاوضة خاسرة ﴿بِشْمًا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

ومهما كان السبب في بقائهم على الإيمان بما هم عليه دون الإيمان بالرسول ﷺ هذا معناه أنّه أصبح اختيار الإيمان وطريقة رسم منهجيته بيد اليهود لا بيد الله، ولهذا أيّ استبدال هو عملية تحدّثه وإرادته وتكون نتيجته الخسران. والسبب الآخر هو الحالة التي أخذت من اليهود مأخذها وصارت أحد أسباب كفرهم به ذلك حينما عرفوا أنّ الرسول ﷺ ليس من بني إسرائيل، بل كان عربياً وكانوا يتوقعون أنّ النبي الذي سيبعث يكون منهم، فأخذهم الحسد والبغى الذي أوصلهم إلى أن يتجاوزوا على رسالة الإيمان والإسلام ويقفون بوجهها ﴿بَغِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فكما أرادوا التشريع أن يسير ضمن هوى أنفسهم فكذلك اختيار الأنبياء يريدونه كذلك.

وعلى هذا سوف يرجعون إلى الله وهم يحملون من المعاصي الكبرى التي تكون كلّ واحدة منها مستحقّة لغضب الله، من أن يكون التشريع تحت هوى أنفسهم، ومن أن يكون اختيار النبي تحت هوى أنفسهم، ومن بقائهم على التوراة الذي هو نابع من هوى أنفسهم، ومن الجرائم التي تحصل منهم نتيجة رفضهم للرسول والبقاء على ما يرغبون فيه ﴿قَبَاءُ وَبَغْضٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ وسوف يكون

عذابهم الحتمي هو النار بنوع من العذاب الذي ينافي استكبارهم على الله ورسوله وهم يقادون إلى النار بذلّ وهوان، ويوضعون بموضع لا يزيدهم إلا ذلّاً وهواناً بالإضافة إلى كونهم بجهنّم، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

ورد عن ابن عباس أنّه قال: «كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد ﷺ يستفتحون الله يدعون الله على الذين كفروا، ويقولون: اللهم إنّنا نستنصرك بحقّ النبي إلا نصرتنا عليهم فينصرون، فلما جاءهم ما عرفوا - يريد محمد ﷺ - ولم يشكّوا فيه كفروا به»<sup>(١)</sup>.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾؟



ج:

١- إمّا لتثبيت عنوانين لأهم الغضب الذي يستحقّون من خلاله اللعن والخلود في النار وهما تكذيبهم لعيسى والرسول ﷺ.

٢- تأكيد الغضب وتشديده وتكثيره لعظّمته وإن كان الغضب واحداً كتكذيبهم للرسول ﷺ.

٣- لبيان ترادف الغضب الذي كان نتيجة لصدور أكاذيب مترادفة منهم، منها: (عزير ابن الله، يد الله مغلولة، إنّ الله فقير).

٤- لبيان تعدّد الغضب المختلف حسب اختلاف ما صدر منهم: (إنكارهم للرسول وللرسالة، الوقوف بوجهه ومعارضته وحربه، كتمانهم الحقّ الموجود عندهم في التوراة، وغير ذلك كثير).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ  
بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ  
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا  
آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ  
يَكْفُرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (البقرة: ٩١-٩٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟



ج:

١- الورا: ١- الستر. ٢- بما عداه.

٢- الإشراب: المخالطة والامتزاج.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ... قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ  
بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؟

ج:

لو سأل بني إسرائيل سائل عن حقيقة اتخاذهم هذه المواقف التي تدل على  
كفرهم وتحديهم الصريح للغيب المطلق، لأجابوا بهذا الجواب: وهو أننا نتمسك  
بديننا فقط ونؤمن به لا بغيره ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾، ويجابهم الله على  
دعواهم هذه بأنكم لم تتمسكوا ولم تلتزموا حتى بدينكم؛ وذلك للأسباب التالية:

١- أنكم لا تؤمنون بشيء اسمه الدين؛ لأنَّ فحوى كلمة الدين هو إنزال من الله، فلو أنكم تؤمنون بالتوراة على أنها تمثل إنزالاً من الله، فالقرآن هو كذلك إنزال من الله، وهذه الحقيقة ليست غريبة عليكم، بل تعرفونها حق المعرفة، فالذي أمركم بالتوراة يأمركم بالقرآن ﴿آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾. فإذا أنتم تؤمنون بالتوراة لا على أساس ديني وبما أنه أنزل عليكم من قبل الله.

٢- أنكم لو تؤمنون بالتوراة لا لترتم بكل ما تنقله التوراة، فلماذا تلتزمون بالآيات التي تعجبكم وتركون ذكر البعض الآخر منها التي لا تنسجم مع توجهاتكم حتى لو كانت تمثل عين الواقع والحقيقة والحق ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾.

٣- أنكم لو كنتم تؤمنون بالتوراة التي أنزلت عليكم، فلماذا تقومون بقتل الأنبياء؟! وهل هذا إلا دليل لا يوجد أكثر صراحة منه على سيركم بعكس أوامر التوراة ونواهيها ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٤- أنكم لو كنتم تؤمنون بالتوراة لا تنتظروا مجيئها واحترمتم نزولها حتى لو طال أمد نزولها باعتبارها ستكون كتابكم الأوحيد الذي لا تؤمنون بغيره! بينما نجدكم لم تنتظروا موعد نزول الكتاب لعدة ليالٍ واستعجلتم باتخاذكم العجل وبقيتهم مصرين على اتخاذه رباً تعبدونه من دون الله، ولولا أن تصدى لكم موسى ﷺ لبقيتهم على عبادتكم للعجل وأنتم ظالمون لأنفسكم ولغيركم، بل ولم نسمع منكم كلمة البشرى بنزول التوراة عليكم أصلاً ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

٥- أنكم لو كنتم تؤمنون بالتوراة لالترتمم بها منذ اللحظات الأولى لنزولها التي هي أكثر حرارةً وتفاعلاً للمكرمة الإلهية العظيمة التي نزلت عليكم، ولأنكم تعيشون فترة النزول آنذاك، بينما لا نجد منكم ذلك، بل على العكس فلا التزام في أول النزول ولا في وسطه لولا أن أذركتكم الرحمة الإلهية من خلال عملية التخويف التي قام بها الله عليكم بواسطة رفع الجبل فوق رؤوسكم لإلزامكم بالعمل بالتوراة وتطبيق أحكامها، وإلا لما سمعتم للألواح وللتوراة أصلاً ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا﴾.

٦- أنكم لو كنتم تؤمنون بالتوراة لتمسكتم بها ولو لعدة أيام، بل حتى هذه الأيام لم تحصل منكم، حيث يرفع الطور لم يحدث منكم أي التزام بالعمل فيها، بل أخضعت لسماعها فقط وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ حَتَّىٰ تَبُوءَ بِأَن يُدْخِلَهُمْ رَبُّهُمُ الْمَدِينَةَ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ فِيهَا مَاءً فَسَيَبِغُونَ فِيهَا عِلْفًا بِمَنِّ رَبِّهِمْ الَّذِي لَا يَسْمَعُونَ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا.

ومرجع كل ذلك إلى إيمانكم المادي الذي ملأ قلوبكم حب الحياة والتعصب الجاهلي الوثني ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ ولا تجد للغيب من تأثير في حركتهم وإيمانهم، وبالتالي تكون مواجهة الأنبياء وتكذيبهم وقتلهم هو النتاج الطبيعي لعدم إيمانهم بالغيب والخضوع له ﴿قُلْ بِشِمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

س: لماذا عندما يقرن الله القرآن مع بقية الكتب السماوية يكرر هذه الصفة بأنه مصدق لما معهم؟

ج:

لأنَّ الله يُعتبر القرآن هو سيّد الكتب والأُمّ الذي ترجع إليه الناس وتقيس عليه صحّة ما موجود في كتبها السماويّة، واكتشاف التحريف الذي أصاب كتبها عندما تقيس ما ورد فيها على القرآن الكريم، فإن صدّق ما عندهم فهو الصحيح، وإنّ ما خالفه من الأمور العقائديّة فهو الباطل.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٦﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٧﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزْخِرِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٩٦-٩٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:



١- الحرص: شدة الطلب.

٢- الودة: الحب.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟

ج:

من جملة الشعارات التي رفعها اليهود قديماً وحديثاً أنهم شعب الله المختار ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: ١٨)، ولن تمسهم النار ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)، وأن الجنة خالصة لهم ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً﴾ (البقرة: ١١١)، وهذه الشعارات يقف سبحانه وتعالى مجيباً عنها ويكشف بطانة كذبتها من خلال شيء واحد وهو تمني الموت، ومجيء هذا النوع من الطلب هو الحالة الطبيعية لكل من يرفع مثل هذه الشعارات إذا كان صادقاً ومعتقداً بها حقاً، فكل إنسان عندما يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله يحبه وهو

مرضي عنده بميزة لا يمتلكها غيره، وأن الجنة خالصة له، ولا يمسه عذاب جهنم، فهو يتمنى الموت القريب حتى ينال هذا النعيم الكبير الذي يعتقد صدقاً وبكل عمق به، وهذا ما يحصل لبعض الناس الذين يعرفون أنفسهم بأنهم تحت رضوان الله وطاعته ويصلون إلى مرحلة يكونون على يقين بفوزهم بجنات الله ونيل رضاه، فإنهم يعيشون علاقة حب الموت.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «والله لا بن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بشدي أمه»<sup>(١)</sup>.

وإذا حصل العكس أي أنهم يفرون من الموت ولا يحبون ذكره أصلاً فيكون ادّعاؤهم كذباً وزوراً، والله سبحانه وتعالى يثبت كذب ادّعائهم من خلال إثبات عدم تمنّيه للموت بالأمر التالية:

١- أنهم لا يحبون الموت ولا ذكر الموت ولهذا لا يتمنونه، فإن من أحب شيئاً تمنى الحصول عليه، وهذا - أي تمنى الموت - يستحيل حصوله منهم؛ لأنهم يكرهونه كراهية شديدة ويخافون منه، وهذا لا يجتمع مع التمني ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾.

٢- لا يمكن أن يكون هناك إنسان عاقل يعلم أنه مذنب ومحتمل بالمعاصي التي تنافي قبول الله ورضاه وهو يتمنى الموت والوصول بسرعة إلى الآخرة، فإذا كان كذلك واليهود يعرفون أنهم قد اكتسبوا الكثير من المعاصي واقترفوا الكثير من الجرائم بحق الله والأنبياء والإنسانية ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾ فهل تصدق أنهم يتمنون الموت؟! فإن تمنى الموت والانتقال إلى لقاء الله متلازم مع ما تقدم اليد من العمل، فيتناسب طردياً مع عمل الخير وعكسياً مع عمل الشر.

٣- استقرئ حياتهم وطريقة معيشتهم لتجدنهم مستعدين أن يعيشوا أي حياة في هذه الحياة، حتى لو كان الوصول إليها يكلفهم أن يسحقوا على الملايين من جماجم الأبرياء، بل هم أشد الناس طلباً للحياة وحبّ البقاء فيها حتى من المشركين الذين لا دين لهم ولا يؤمنون بالله ولا بالآخرة، فالقلب المملوء بهذه الكمية من الحبّ للدنيا فهل تجد فيه مجالاً لحبّ الموت؟! ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.

٤- لو دخلت إلى نفوسهم لوجدت كلّ همهم الدنيا والبقاء فيها خالداً، ولمّا عرفوا أنّه لا خلود فيها لحقيقة الموت الذي لا مفرّ منه فهم يتمنون الأقلّ من الخلود وهو أن يكون أحدهم أطول الناس عمراً ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ليشبعوا نهمتهم من الدنيا، وصاحب هذه العلاقة مع الدنيا وهذا النوع من الركون إليها وتمنيّ البقاء فيها بهذا العمق والمقدار فهل تجده يتمنيّ الموت؟! ومن كلّ ما مرّ نعرف أنّ هذا النوع من الشعارات ما هي إلاّ كذب واضح مخالف لاتجاههم المادّي الدنيوي الذي يعيشون لأجله، وإلى من يهتمّ الأمر من المسلمين أن يعرفوا حقيقة بني إسرائيل وعلاقتهم بالأرض، ولم تكن قناعتهم بالحياة وتمنيّ البقاء فيها بمزيلهم من العذاب الذي ينتظرهم؛ لأنّ الأعمار بيد الله ومثل هذا التمنيّ لم يتحقّق وبالتالي هم وغيرهم من الناس على حدّ سواء في مسألة الموت والحياة، فلا سبب حقيقيّ يبعدهم عن الآخرة والعذاب الذي يستحقّونه ممّا كسبت أيديهم غير الإيمان بالله وتقواه والعمل الصالح.

س: ما هو نوع التمنيّ الذي أراده الله من اليهود ليكشف من خلاله زيف شعاراتهم وعقيدتهم؟

## التمني على أقسام:

١- التمني الذي ينحصر بصورة الخيالية في الذهن بحيث لا يمكن تحقيقه بأي وجه من الوجوه، أمّا لاستحالته ذاتاً كاجتماع النقيضين الممتنع عقلاً، أو ممكن عقلاً في ذاته ولكن يستحيل وقوعه كمن يتمنى أن يرجع شبابه، وهذا النوع من التمني لا يطلبه عاقل.

٢- التمني الممكن في ذاته ووقوعه عندما تنهياً جميع لوازمه ومقدماته، وهذا النوع من التمني في الدنيا قد يتحقق وقد لا يتحقق، باعتبار ما كل ما يتمنى المرء يدركه، بل مشيئة الله لها دخل في تحقق الغاية وعدمها.

٣- التمني الذي يلزمه الوقوع، كالتمني المتعلق بجنة الآخرة، فإن المرء إذا هتأ جميع لوازمها من الإيمان الخالص لله ولرسوله والتزم بكتابه وعمل صالحاً فإن التمني يحصل على غايته حتماً، وهذا النوع من التمني هو المطلوب شرعاً وعقلاً، وهذا هو الذي طلبه الله من اليهود أن يثبتوه لأنفسهم.

ورد في الحديث عن القمي في قوله تعالى: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: «لأن في التوراة مكتوب: إن أولياء الله يتمنون الموت ولا يرهبون»<sup>(١)</sup>.

٤- التمني الذي يلزمه الوقوع مع عدم تهيئة أسبابه، كمن يتمنى أن يحصل على جنة الآخرة وهو يبعد نفسه ويحرفها عن طريق الوصول إليها، وبطلان مثل هذا التمني ورفضه من قبل العقلاء والشرع واضح، وهذا النوع من التمني هو ما يعيشه اليهود، وهو الذي أراد الله أن يثبتته لأنفسهم ويكشفه للناس جميعاً.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ • مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ • وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ • أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٩٧-١٠١)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- العدو: ١- التجاوز عن الحد المعين في الشيء. ٢- منافاة الالتئام.
- ٢- النبذ: إلقاء الشيء وطرحه لقلّة الاعتداد به.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ... وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾؟

ج:

دعوى أخرى لبني إسرائيل في عصر ظهور الإسلام، ملخصها: أن اليهود لا يؤمنون بالرسول ﷺ وبرسالته باعتبار أن الذي أنزل رسالة الرسول ﷺ هو جبرئيل، وجبرئيل حسب ما يدّعون أنه ملك ينزل الحرب والدمار والاختلاف

والفناء، وأنه هو الذي أنذر بخراب بيت المقدس وأنه يعمل باختياره كيف يشاء.  
ورد في الحديث عن القمي في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أنه قال: «إنما نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله ﷺ: إن لنا في الملائكة أصدقاء وأعداء، فقال رسول الله ﷺ: من صديقكم، ومن عدوكم؟ فقالوا: جبريل عدونا؛ لأنه يأتي بالعذاب، ولو كان الذي ينزل عليك القرآن ميكائيل لآمنّا بك، فإن ميكائيل صديقنا، وجبريل ملك الفضاضة والعذاب، وميكائيل ملك الرحمة»<sup>(١)</sup>، وقد أجابهم الله وأبطل دعواهم هذه من خلال النقاط التالية:

١- أن سبب النزول هو الله ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ فالذي يتهم جبريل بشيء فهو يتهم الله بما هو أكبر من ذلك الشيء، كعدم علمه بما يفعل جبرئيل أو غفلته عنه وغيرها من الاتهامات التي تقذف على الإنسان عندما يرسل أحداً على أنه أميناً فيظهر خائناً مثلاً.

٢- أن جبريل ملك من الملائكة، والملائكة كلهم معصومون عن أي خطيئة ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التعريم: ٦)، فليس لهم الاختيار في المعصية؛ لأنهم مجبولون على طاعة الله، وليس لهم حق الاختيار غير ما اختاره الله.

٣- أن اتهام جبريل بالذات يعني الطعن بشهادة الله بأمانيه ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (الشعراء: ١٩٣).

٤- أن الرسول ﷺ بنفسه ليس له حق الاختيار في أن يكون نبياً أو لا يكون كذلك، سوى أن الرسول ﷺ كان قلبه الوعاء المناسب للرسالة والحافظ لها والشابث عليها بدرجة متميزة عن جميع الناس، فأنزل عليه القرآن دون غيره من الناس ﴿قَائِلُهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

٥- أنكم تتهمون جبريل بأنه منزل للحرب، وأي حرب أو خراب جاء به جبريل، أنه لم ينزل بشيء يختلف بما هو موجود عندكم، بل الذي نزل بين يديه مصدقاً للكتب الإلهية ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ فإذا كان في كتبكم منهجية للحرب ورسم لمبادئها وأخلاقها فهو نفسه الموجود في القرآن وما جاء به جبرائيل.

٦- أن الذي نزل به جبرائيل على الرسول ﷺ لم يكن إلا كتاب هداية، والعاقلة حين يتيقن بالهداية يأخذها حتى لو كان الآتي بها عدواً ﴿وَهُدًى﴾.

٧- أن الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ لم يكن إلا كتاب بشرى، يبشر المؤمنين بالجنة، وليس في ذلك نقص في عقل أن تؤخذ هذه البشرى من أي مبشر لها ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٨- في كل الكتب السماوية لم يفصل الله بينه وبين رسله من ملائكة وغير ملائكة من حيث الارتباط والصلة به، فالكل مرتبطون به كوحدة واحدة، فالإيمان بهم جميعاً هو الإيمان الواحد المطلوب، وأن الكفر بواحد منهم هو الكفر بجميعهم، وهذا هو الرسم الإلهي للإيمان به وبرسله سواء كانوا من أصحاب الرتب العالية كجبريل وميكال أو غيرهم من رسله، فليس من اختيار أحد أن يجعل ذلك عدواً والآخر صديقاً ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾.

ومن كل ما مرَّ هل يوجد مبرّر في أن يتّخذ أحد جبريل عدوّاً؟! وهل يوجد مبرّر في ألا يؤمن بالرسول ﷺ ورسالته؟! فيظهر من ذلك كلّهُ أنّما دعوة يهوديّة كبقية دعواتهم التي لا أساس لها من الصّحة، ويريدون أن يجعلوا حق الاختيار بأيديهم في أيّهم ينزل القرآن وعلى قلب من يشاؤون ﴿أَهُمْ يَتَّقِسُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢).

س: لأوّل مرّة تظهر كلمة (قل) صريحة للرسول ﷺ، أي قل أيّها الرسول ﷺ، لماذا ظهرت (قل) هنا؟

ج:

١- لكون اليهود كانوا بمحاجة مع الرسول ﷺ والله هو الذي يزود الرسول بعناصر المحاجة.

٢- أن يراد من الرسول ﷺ نوع من الردّ القوي على اليهود من نصب العداء من قبل الله ضدّ من يعادي جبرائيل وميكائيل وكلّ الملائكة والرسل، فقال الله للرسول: (قل) أي ردّهم بالمثل بكلّ قوّة وثبات كما تعادون هؤلاء نعاديكم.

س: لماذا لم تبدأ الآيات أغلبها بكلمة (قل) باعتبار أنّ الناقل والقائل المباشر هو الرسول ﷺ؟ ولماذا لم تحذف (قل) من جميع الآيات باعتبار أنّ القائل الحقيقي هو الله؟ وبعبارة أخرى: ماذا نستشف من وجود كلمة (قل) في بعض آيات الله؟

ج:

أولاً: قل، أمر وتكليف من الله إلى الرسول ﷺ، وهذا يعني أنّه لا فرق بين المكلفين في أصل التكليف، فكما أن الناس مكلفون فكذلك الرسول ﷺ.



ثانياً: قل، معناه ليس الرسول ﷺ إلا واسطة في نقل قول الله.

ثالثاً: قل، أمانة الرسول ﷺ في نقل القول من دون زيادة أو نقصان ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ (الحاقة: ٤٤).

رابعاً: قل، إن أول المؤمنين بما يقوله الله هو الرسول ﷺ؛ لأنه أول سامع للقول. خامساً: قل، تعني المباشرة في النقل من الله وإن كان الوحي واسطة في النقل، وهذا يعني قرب الرسول من الله وحب الله لأن يكون هو كلهم الرسول ﷺ.

سادساً: قل، إن أول العابدين لله وأكثرهم عبادة لله هو الرسول ﷺ؛ لأنه أول من يتلقى التكليف بكلمة (قل)، وأول من يمثلها؛ ولأن بعض (قل) هي من مختصات الرسول ﷺ كموقف له في صدر الإسلام كآية المباهلة.

سابعاً: قل، ليس للرسول ﷺ حق التشريع إلا بقدر ما يتلقاه من الوحي وما يفهمه بما يتعلق بـ(قل) وما يمكن أن يستنبط ممّا بعدها.

ثامناً: قل أنت يا رسول الله ﷺ ولا يقل غيرك في نقل الآية؛ لأن في قولك فيوضات إلهية لها التأثير الكبير على جلب قلوب المستمعين وتأثير كلمات الآية في نفوسهم.

تاسعاً: قل، لأنك الوعاء الأنسب لقول الله والواسطة الوتر لتلقي كلمات الله وتلقي فيوضاته وهدايته المباشرة منه سبحانه.

س: لماذا خص بالذكر جبرائيل وميكائيل؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- إما لعلو شأنهم ومراتبهم عند الله دون بقية الملائكة.

٢- أو لخصوص ذكرهما في الحوارات التي جرت بين الرسول ﷺ واليهود.

٣- أو لكثرة المهام التي أُلقيت عليهما لما زوّدهم الله من الإمكانيات التكوينية التي ميّزتهم عن غيرهم من الملائكة.

س: هل يمكن الكشف عن أيّهما أفضل جبرائيل أم ميكائيل من خلال القرآن الكريم؟

ج:

قد يمكن أن تقول: إنّ جبرائيل أفضل من ميكائيل بحسب الظاهر عند تتبع الأمور التالية:

١- ذكره الكثير في القرآن إمّا باسم جبرائيل أو الروح.

٢- مهامه الكثيرة مع أكثر الأنبياء.

٣- مدحه الله في آيته ﴿مُطَاعٌ تَمَّ آمِينَ﴾.

٤- نوعيّة مهامه من الوحي وإنزال الكتب والعلم والقوّة.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

في هذه الآيات تسلية للرسول ﷺ ودعم معنوي قوي له في حركته لقيادة الإسلام؛ وذلك بعدم الاهتمام بمن يصرّ على عدم الإيمان به ورسالته:

١- فإمّا عامّة الناس ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾

فهي لا تحتاج إلى بذل جهد فكري واستقصاء وكثير من العناء والمقدمات، بل هي من الآيات والدلائل والمعاجز البينات الواضحات جداً بحيث لا يكفر بها إلا من تجاوز حدّ الفسق والخروج عن عقله وإنسانيته وفطرته.

٢- وأمّا خصوص اليهود من الناس فلا ترجو منهم إلا القليل جداً؛ وذلك لتعاملهم العامّ المضادّ دائماً وأبداً للرسالات والرسول، فأما تعاملهم مع الرسالات ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وأمّا تعاملهم مع الرسل فأول ما يتصدى لهم هو علماءهم من حملة التوراة والعارفين بها وبما تحتوي على المطابقة للواقع الذي يأتي به الرسول أو المتعلق بنفس الرسول، فهم يتصدون للرسول وكأنهم لا يعلمون شيئاً من التوراة وكأنهم لا يرون المعجزات والآيات الباهرات، بل يجعلون كلّ حقّ وراء ظهورهم، لم يلتفتوا إليه ولو على المستوى البسيط من النظر ما دام ذلك الحقّ لا يمتّ إلى أنانيتهم بصلة، ومثل هذه الظاهرة لا تكون غريبة عليك، بل وجودها فيهم قديماً وحديثاً ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ  
وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ  
بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ  
فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ  
بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ  
عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ  
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ  
كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٠٢-١٠٣)



س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

ج:

- ١- اتبع: اقتفى الأثر.
- ٢- التلاوة: القراءة.
- ٣- بابل: مدينة من مدن العراق.
- ٤- الخلاق: النصيب.
- ٥- المثوبة: ١- الرجوع. ٢- الجزاء.

س: عدد المحتملات التي ترد في معاني كلمات هذه الآية ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا  
الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ...﴾.

ج:

نجد في هذه الآية احتمالات لا نظير لها في جميع آيات القرآن الكريم، وتصل

إلى حدّ تعتبر هذه الآية من معاجز بيان القرآن، فعلى الرغم من وجود هذه الكثرة الكثيرة جداً من الاحتمالات لا تفقد الآية مضمونها ومحافظة على صورتها الفنيّة وحدثها الواحد المترابط ذات الجمال المتسلسل، وأمّا الاحتمالات في تفسير الآية فهي نابعة من وجود الاحتمالات في أغلب معاني كلماتها منها:

١- الاحتمالات الواردة في فاعل كلمة ﴿وَاتَّبَعُوا﴾:

١- اليهود في عهد سليمان.

٢- اليهود في عهد الرسول ﷺ.

٣- اليهود ما قبل الإسلام.

٤- هم جميعاً.

٢- الاحتمالات الواردة في معنى كلمة ﴿تَتَلَّوْا﴾:

١- تتبع الشياطين وتعمل به.

٢- ما تقرأه الشياطين.

٣- ما تطرحه الشياطين من الكذب.

٣- الاحتمالات الواردة في ما هو المراد من كلمة ﴿الشَّيَاطِينُ﴾:

١- شياطين الجنّ.

٢- شياطين الإنس.

٣- هما جميعاً.

٤- الاحتمالات الواردة في ما هو المراد من ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾:

١- في ملك سليمان.

٢- في عهد ملك سليمان.

٣- في المرحلة العليا من ملك سليمان - وهو مأخوذ من المعنى الاسمي (على).  
٤- على عهد ملك سليمان.

٥- الاحتمالات الواردة فيما هو المراد من ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾:

١- كفروا بما استخرجوه من السحر إلى الناس.

٢- كفروا بما نسبوه من السحر إلى سليمان.

٣- كفروا لأنهم سحروا والسحر كفر.

٦- الاحتمالات الواردة في كيفية التعليم في أنهم ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾:

١- أن يلقوا على الناس السحر فيتعلموه.

٢- دلوا الناس على استخراج السحر الذي كان مدفوناً تحت كرسي سليمان فاستخرجوه وتعلموه.

٧- الاحتمالات الواردة في ما هو المراد من قوله ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾:

١- أن تكون (ما) موصولة والعطف على قوله: (تتلوا).

٢- أن تكون (ما) موصولة والعطف على قوله: (السحر)، أي يعلمونهم ما أنزل على الملكين.

٣- أن تكون (ما) نافية، أي ولم ينزل على الملكين من سحر كما يدعيه اليهود.

٨- الاحتمالات الواردة في طريق الإنزال في قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ﴾:

١- أن يكون الإنزال من السماء.

٢- أن يكون الإنزال من نجود الأرض وأعلىها.

٩- الاحتمالات الواردة في ما هو المراد من ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾:

١- أنهما من ملائكة السماء.

٢- أنهما إنسانان ملكان من ملوك الأرض.

٣- أنهما رجلان صالحان.

١٠- الاحتمالات الواردة في ما هو المراد من ﴿بَابِلَ﴾:

١- مدينة بابل العراق.

٢- منطقة تبدأ من نصيبين إلى رأس العين.

٣- مدينة أخرى مجهولة.

١١- الاحتمالات الواردة في ما هو المراد من قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾:

١- العلم بمعناه الظاهر.

٢- علّم بمعنى أعلم.

١٢- الاحتمالات الواردة في ما هو المراد من قوله: ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾:

١- لا تكفر بالعمل بالسحر.

٢- لا تكفر بتعليم السحر.

٣- بهما جميعاً.

١٣- الاحتمالات الواردة في ما هو المراد من الضمير في قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾:

١- من هاروت وماروت.

٢- من السحر والكفر.

٣- بدلاً ممّا علّماه الملكان بالنهي إلى فعله.

١٤- الاحتمالات الواردة في كيفية التفريق في قوله: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ

وَزَوْجِهِ﴾.

١- يوجدون به حبّاً وبنغضاً بينهما.

٢- يغرّون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك فيفرّق بينهما للاختلاف العقائدي الذي حصل بينهما.

٣- أنّهم يسعون بينهما بالنميمة والوشاية فيؤول إلى التفرقة بينهما. وأخيراً نقول: لو جمعت الاحتمالات وضرب أحدهما بالآخر وبمجموع المعنى العامّ المستنتج لانتج لك رقماً كبيراً جداً من الاحتمالات.

### ● السحر

س: ما هو المعنى الإجمالي للآية الكريمة: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ... وَلَيَبْسُ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

ملك النبي سليمان عليه السلام الحكم بصورة لم يكن لها مثيل من قبل ولا من بعد، ومن جملة ما ميّز حكمه أن سحر الجن والإنس والوحش والطير لصالح وخدمة مملكته، وأتى بما يحيّر العقول من غرائب الأمور، وبعد موته زعم اليهود بأنّ الذي حصل عليه سليمان من الحكم وغرائب الأمور كان من نتاج سحره الذي بعضه قد حصلوا عليه وهو بين أيديهم والبعض الآخر قد تعلّمه سليمان من هاروت وماروت في مدينة بابل.

وقد يكون سبب حصول اليهود على كتب السحر أنّ سليمان قد منع السحر في زمن ملكه بجمع كلّ ما كتب في السحر من قبل الساحرين في مخزن المملكة، وعندما سيطر اليهود على القصر أخذوا هذه الأوراق، ثمّ أخذ اليهود يشيعون هذا الاتّهام بين الناس؛ ليضعفوا جانب السماء والنبوة وغيرها من مفاهيم الغيب في شخصيّة سليمان وحكمه؛ ليحصلوا على فصل قلوب الناس عن عالم



الغيب ليركنوا إلى الأرض، وليحصلوا على ميل عقول الناس إلى جانب الخرافة والتخلف؛ ليسهل على اليهود قيادة الناس من حيث يشاؤون، وقد أجابهم الله على تحركهم المنحرف هذا وعلى أكاذيبهم الذكيّة التي نشروها التي تمسّ قدرة الله وشخصيّة سليمان النبويّة ودينه الذي يدعو إليه.

وأقول: ذكيّة؛ لأنّهم اتّهموه بالسحر دون غيره من الاتّهامات؛ لوجود بعض الشبه والتقارب بين ما حصل عليه سليمان في حكمه من تسخير الجنّ والوحش والطيور وعمل بعض غرائب الأمور، وبين عمليّة السحر الذي أحد أقسامه هو تسخير الجنّ وعمل بعض غرائب الأمور؛ ولهذا أجابهم الله ليعطي للعالمين البيان والفصل بين ما جاء به سليمان وما يجيء به السحر، وكان جواب الله يمرّ من خلال نقطة واحدة وهي أنّ هناك فرقاً كبيراً بين تعاليم الله ومنهجه التربوي للناس وبين تعاليم الشيطان ومنهجه التربوي للناس، والفرق واضح جداً لوجود التضادّ الواقعي ومن جميع الجهات بينهما، ممّا يميّز أحدهما عن الآخر تمييزاً فطرياً أو عقلياً أو تجريبيّاً أو تعليمياً كسبيّاً.

وعليه إنّ ما جاء به اليهود من المؤامرة على تشويه خطّ الله وأنبيائه وكتبه ما هو إلاّ اتّباع للشيطان، وذلك للأمر التالي:

١- أنّه لم يمتلك أحد أي دليل على أنّ سليمان كان يستعمل السحر في أيّام حكمه وحياته الطبيعيّة، والاتّهام بالسحر جاء بعد حكمه ومماته من أثر ليس له قيمة في عالم الأدلّة، وعليه فإنّنا نتأمّن أن نقول بكلّ اطمئنان على أنّ سليمان لم يستعمل السحر؛ لعدم وجود دليل على ذلك.

٢- أنّ السحر كفر، وأنّ اليهود هم من أشهر وأكثر الناس حملة للسحر والخرافات

آنذاك، اقرأ تاريخ بابل وستجد أنها كانت أقوى مركز تجاري وأكبر عاصمة للحضارة البابلية التي يشتهر فيها السحر والكهانة والخرافات، وكان اليهود هم العنصر النشط في إشاعة السحر آنذاك، وهذا دليل على أن اليهود يتبعون منهجية الشيطان من السحر والكذب باتهامهم بأن سليمان هو الذي يستعمل السحر.

٣- أن اليهود يعرفون أن استعمال السحر عملية غير مرضية إنسانياً ولا شرعياً من خلال وجود المعلمين للسحر اللذين كانا لهما دور كبير في تهذيب عملية السحر والسير بها نحو اتجاهه الصحيح، حيث استعمال السحر كان شائعاً وبصورة واسعة جداً، وقد أرسل الله الملكين هاروت وماروت كملغنين ضد استعمال السحر ومحاولة ابعاد الناس عنه عن طريق تعليمه. وهذه هي أحد طرق التبليغ الذكيّة جداً التي تخلص الإنسان من عيون السلطة وتجلب السحرة إليهم باعتبارهم أمهر السحرة ليتمّ تربيتهم وتغييرهم عن هذا الطريق، وكان الملكان يؤدّيان دورهما على أحسن صورة من خلال تبيان نفس السحر من أنه فيه الضار وفيه النافع، وهذه هي أمانة ورسالة كلّ معلّم أن ينبّه طلبته على ما هو النافع والضارّ من العلم.

كما أنّهما يربطان مسألة هذا النوع من العلم بالله ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، وهذه هي الأمانة الشرعية الأخرى التي يجب أن تؤدّى في مجال التعليم، وهي ربط العلوم بالله، وأنّ التعليم طريق للإيمان لا للكفر، وأنّ العلم هو الجزء المهم في الحياة التي هي محلّ اختبار وامتحان للناس. فلو سار المعلّم بهذين الاتجاهين في التعليم لخرّج كادراً يبني النفوس

والحياة الأفضل نحو الإيمان بالله ورضوانه، وسيحصل الإنسان على جنة الدنيا والآخرة، هذا هو مسلك الرحمان ومنهجية التربوية في مطلق التعليم، وهذه هي مسيرة سليمان في الحكم، وهذه هي منهجية الملكين في تعليم السحر.

٤- اليهود كانوا يستعملون السحر في اتجاه ما يفرق بين المجتمع ابتداءً من نواته الأولى وهي التفريق بين المرء وزوجه الذي هو أخبت مصاديق السحر وأكثرها شيوعاً، فلو فرضنا محالاً أن سليمان كان يستعمل السحر فلم يستعمله في هذا المجال المنحرف وإنما استعمله اليهود، وهذا ما يتلوه الشياطين على أوليائهم، وهذا يستبطن دليلاً على أن سليمان كان متصلاً بالله بطريقة حكمه وسلوكه الشخصي لا كما تدعيه اليهود عليه.

٥- أن حكم سليمان كان في الاتجاه الذي يجلب للناس المنفعة في الاتجاهين الدنيوي والأخروي، بينما اليهود كانوا يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهذا النوع من التربية والتعليم لم يكن له صلة بالسماء أبداً، بل هي طريقة الشياطين في أن يسلكوا بأوليائهم إلى ما يضرهم، واليهود قد اتبعت هذا الطريق، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كذبهم وعدم صحة ما نسبوه لسليمان من السحر والكذب.

٦- أن الذي جاء به سليمان يسوق الإنسان نحو آخرته ومرضاة ربه لا من أجل أن يحصل على شيء من حطام الدنيا، على الرغم من أن الدنيا قد جاءت طائفة بين يديه، بينما نجد ادعاء اليهود واستعمالهم السحر وكل ما ينشرونه من الانحراف بين الأمة هو من أجل الحصول على الدنيا وسلطتها، وهذا ما يريده الشياطين من أوليائهم ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

ومن كل ما مرّ نعلم أنّ سيرة سليمان كانت تختلف اختلافاً مضاداً لسيرة اليهود التي تدلّ على استقامة سليمان فيما ملك وحكم وسار وتكلّم، وأنّه يمثل السماء في كلّ منهجيّتها، وأنّه كان مطيعاً لكلّ أوامرها، وأنّه كان نبياً لله على الناس لا كما تدّعيه اليهود الذي هذا فعلهم ونوع اتّباعهم وارتباطهم، فانظر أيّها الإنسان أيّهما الكافر والساحر والكاذب حتّى لا تقع بما وقع به غيرك من اتّهام المؤمنين بغير رويّة ودراسة لمنشئ الاتّهامات.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؟

ج:

هناك قوانين قد جعلها الله لمخلوقات تستجيب للإنسان؛ لكونها أقلّ مرتبة منه مثلاً، فتؤثر أثرها على الخلق عند استعمالها ودعوتها من قبل الإنسان بطريق الخير أو الشرّ حالها حال أي استخدام لأحد قوانين الطبيعة من حيث إنّ الكلّ يجري ضمن امتحان الله للإنسان واختباره، ولا يكون قانون أوجده الله يجري بصورة مستقلة عن علم الله وإرادته وإحاطته بجميع لوازمه، وقد خلق الله القانون أن يفعل ويعمل عمله الذي خلقه لأجله ويخضع لإرادة الإنسان في استعماله وتوجيهه، ولكنّ الله لو شاء ألاّ يفعل ذلك القانون فعله لتوقف ذلك القانون عن التأثير والعمل ورفض الخضوع للإنسان حتّى لو استخدمه في وضعه المناسب؛ لأنّ القانون مطيع لله بكيونته لا ينفصل عن مشيئته سواء كان بالمباشرة أو بالواسطة، فالسحر كذلك ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠)، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ (الأنفال: ١٧).

س: ما هي الاحتمالات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

١- أن حركة السحر وما يراد منها تكلف الإنسان جهداً كبيراً ربّما يستغرق كلّ عمره في بعض الأحيان، وهذا طريق شاقّ بالإضافة إلى نتائجه الخطيرة على الإنسانيّة، بينما نجد طريق الله لا يحتاج إلى كلّ هذا الجهد، بل هو تقوى الله بعد الإيمان به فهو خير ضمان لحياة الإنسان وآخرفته في الخير والعطاء، وهذا ما لا تفهمه اليهود ولا تريد أن تفهمه على الرغم من أنّهم يدعون أنّهم أصحاب كتاب سماوي ينتمون إليه.

٢- لو أنّهم اتّبعوا التوراة أو القرآن لحصلوا على الكثير من الخير الذي لا يقاس ممّا أعطاهم السحر من خير الدنيا، ذلك العطاء هو سعادة المجتمع وحلّ مشاكله واشتغاله بالواقع الذي يعيشه ضمن منهجيّة الله الذي عليه يترتب نظام المجتمع ويحصل على استقراره، هذا مع نيل ثواب الآخرة المترتب على هذا النوع من العمل، فالذين وضعوا كتاب الله وراء ظهورهم واتّبعوا ما تتلوا الشياطين والتجؤوا إلى السحر يكشف هذا النوع من العمل أنّ أصحابه لم يعيشوا الحياتين حياة القلوب بالإيمان بالله وحياة الدنيا الحقيقيّة من خلال تقوى الله، وبالتالي هم يعيشون موت الحياة ويفقدون معناها.

٣- أنّ جلّ عمل اليهود منصبّ على معارضة رسل الله على امتداد وجودهم، واتّباعهم للشياطين وحركتهم في السحر كان لتوهين شخصيّة سليمان النبيّة، فهنا كأنما الله يخاطب اليهود ويقول لهم: لو أنّكم فعلاً آمنتم بالله وحده بفضّ

النظر عن الأنبياء وما يدعون إليه وعدم معارضتهم لحصلتم على مقدار من الثواب والخير ينسجم مع هذا المقدار من الإيمان إلا أنكم تفقدون حتى هذا المقدار باتباعكم الشياطين.

س: ما هي الأمور التي يمكن أن نستفيد منها من الآية الكريمة المذكورة أعلاه؟

ج:

١- أن الله سبحانه وتعالى لم يبين حقيقة السحر ولم يفصل فيه، بل أجمل التوضيح، وقد يكون سبب ذلك هو كون السحر كبقية العلوم التي أوكلت للإنسان أن

يبحث عنها وإيجادها عند الحاجة إليها.

٢- أن السحر كان من الأمور المشاع استعماله بين الناس في القرون المنقرضة.

٣- أن السحر يعرض الإنسان للكفر بما فيه من الجاذبية للوقوع في حباله نحو الخداع والانحراف والتأثير على وحدة بناء المجتمع.

٤- أن وجود الملكين بين الناس كان لمهمة؛ إما لدفع سحر الساحرين وإبطاله، أو لدفع التهمة عن ساحة الأنبياء، أو لإبعاد الناس عن السحر عن طريق كشف مساوئه وضرره إلى الناس ليكونوا على بينة من أمره.

٥- أن السحر لم يؤد مفعوله إلا ضمن دائرة ضيقة، وحتى هذه الدائرة تحت نظر الله بحيث لا تؤثر أثرها إلا بإذن الله ﴿بِضَارَيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وهذه الرقابة الإلهية تجعل الإنسان مطمئناً نفسياً وتعطيه زخماً وقوة حتى لا يكون

السحر يأخذ مأخذه السلبي في تفكير الإنسان وحياته.

٦- أن الله عندما ذكر السحر وأعطاه هذه الصورة المقيته أراد من الإنسان أن

يعيش واقع الحياة، وأن يتفاعل مع حقائقها الظاهرة الواقعية، ويسعى لرفع حاجته من خلال تسخير عناصرها التي جعلها الله لأن تكون في خدمته، لا أن يعيش الخيال والدعة في مواجهة مشاكله ورفع حاجته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾.

س: كيف يمكننا تصوّر إمكان أن يعلم الملك الإنسان؟

ج:

- ١- من ناحية الكلام فقد تكلمت الملائكة مع الإنسان كالأنبياء.
- ٢- من ناحية نفس الملائكة وتمثيلها للناس كرجال فقد حصل ذلك بإذن الله كما حصل لمريم ولا إبراهيم ولوط عليهم السلام جميعاً.
- ٣- من ناحية قدرة الله حيث إنه سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الملك رجلاً، ولا شك في إمكانه لقدرته المطلقة ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ (الأنعام: ٩).

س: قالوا: إن الملكين هاروت وماروت من الملائكة الذين أنزلهم الله إلى الأرض فعصوا الله في الأرض، ما هو جوابكم على ذلك؟

ج:

هذه الشبهة قديمة، وقد أجاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام عليها حينما جاءه محمد بن زياد ومحمد بن سيار فسألاه وقالاه: فإن قوماً عندنا يزعمون أن هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى دار الدنيا، وأنهما افتتنا بالزهرة، وأرادا الزنا بها، وشربا الخمر، وقتلا النفس المحترمة، وأن الله تبارك وتعالى يعذبهما ببابل، وأن السحرة منهما يتعلمون السحر، وأن الله مسح تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة، فقال

الإمام عليه السلام: «معاذ الله من ذلك، إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بالطف الله، قال الله عز وجل فيهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾... لو كان كما يقولون كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء في الأرض وكانوا كالأنبياء في الدنيا أو كالأئمة، فيكون من الأنبياء والأئمة عليهم السلام قتل النفس والزنا...»<sup>(١)</sup>.

س: ما هو التعريف اللغوي للسحر؟

ج:

لقد اختلف أهل اللغة في تعريف السحر، ولهذا ورد للتعريف اللغوي ثمان

تعريف:

١- أنه ما لطف مأخذه ودق، أي كالشيء اللطيف الدقيق الخفي الذي لا يدرك بالعين.

٢- أنه صرف الشيء عن وجهه، أي أخرجه عن ظاهره.

٣- أنه خديعة.

٤- أنه إخراج الباطل في صورة الحق، أي إبراز ما ليس له حقيقة بصورة الحقيقة

والواقع.

٥- أنه الجذب، كما لو قلت: الطبيعة ساحرة.

٦- أنه الفساد، كما لو قلت: سحر المطر التراب، أي أفسده.

٧- أنه الغذاء، كما لو قلت: سحر زيد عمراً بالطعام، أي غذاه.

٨- أنه الاستمالة، كما لو قلت: سحر زيد عمراً، أي استماله.

س: ما هو تعريف السحر عند العلماء؟

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٧٥.



ج:

١- أنه كلام يتكلم به، أو رقية، أو عقداً، أو أقساماً، أو عزائم، أو دخنة، أو تصوير، أو نفث، أو تصفية نفس، أو يعمل شيئاً تؤثر في بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله من غير مباشرة.

٢- أنه استخدام الملائكة، واستنزال الشياطين، واستحضارهم وتلبسهم ببدن الصبي أو المرأة، لكشف الغائبات أو لعلاج بعض الأمراض.

٣- هو استحداث الخوارق:

١- بمجرد التأثيرات النفسانية، فهو السحر.

٢- الاستعانة بالفلكيات فقط، وهي دعوة الكواكب، أو بتمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية، وهي الطلسمات.

٣- الاستعانة بالأرواح الساذجة، وهي العزائم.

٤- عمل يستفاد منه ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية.

س: ما هي أقسام السحر؟

ج:

قسّم العلماء السحر إلى ثمانية أقسام، وهي:

١- سحر الكلدانيين، وهم قوم كانوا يعبدون الكواكب، ويزعمون أنها المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور، وهم الذين بعث الله إبراهيم مبطلاً لعقائدهم.

٢- سحر أصحاب الأوهام والنفوس القويّة الذين يقولون: إنّ الأبدان تؤثر عليها النفوس والأوهام والتخيّل كتأثير صاحب العين الحاسّة على الجسمانيات،

وعليه كلما كانت النفوس مستعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى السماء حتى صارت كأنها روح من الأرواح السماوية، فكانت قوية على أن تؤثر في أجسام ومواد عالم الطبيعة، ولا يحصل الإنسان على هذه الحالة إلا عن طريق بعض الرياضات الروحية التي تجرد الإنسان عن الجسمانية.

٣- الاستعانة بالأرواح الأرضية، منهم مؤمنو الجن، ومنهم كفار الجن وشياطينهم، وهو المسمى بعمل تسخير الجن، وميزته هو الاتصال بالجن، وهو أسهل من الاتصال بالأرواح السماوية في القسم السابق؛ لأنه لا يحتاج إلى رياضات روحية وبذل جهد في هذا المجال، بل عن طرق الرقي والدخن والتجريد البسيط.

٤- التخيلات الآخذة بالعيون، مثل راكب القطار يتخيل نفسه متحركاً والقطار الذي يقابله ثابت، فعند انتهاء صورة القطار الثاني من العين يجد نفسه هو الثابت من دون حركة لقطاره وأن المتحرك ليس قطاره، وأغلاط العيون كثيرة جداً وأمثلتها كثيرة جداً، واستغلال بصر العيون لهذا القسم وأخذها في غير جهتها يسمى الشعبة، وقد يكون هذا النوع هو الذي استخدموه سحرة فرعون ﴿قُلْ﴾  
 أَلْقُوا سَحَرُوكُمْ وَأَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ (الأعراف: ١١٦).


٥- الأعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب من الخيلاء أخرى، كبعض الصور التي لا يفرق الناظر لها بينها وبين الإنسان ضاحكة من جهة وباكية من جهة أخرى، وواقف من جهة وواقف من جهة أخرى ... وهكذا.

٦- الاستعانة بخواص الأدوية مثل أن يجعل في الطعام بعض الأدوية المبلدة، أو

المزيلة للعقل، أو الدخن المسكر، أو عصارة البنج المجمعول في الحلويات، فإذا تناولها الإنسان أثرت أثرها.

٧- تعليق القلب: وهو أن يدعي الساحر أنه يعرف علم الكيمياء أو السيمياء، أو الاسم الأعظم حتى يميل إليه قلوب العوام، وإذا مال قلب السامع إليه حصل عنده الرعب والخوف وإذا حصل ذلك ضعفت عنده القوى الحساسة فحيثئذ يفعل الساحر ما يشاء، وليس له أصل.

٨- النميمة والتضريب؛ لكونهما طريقين خفيين يؤديان إلى التفريق بين المرء وزوجه وبين أفراد المجتمع الواحد وانحلال مؤسساته الخيرة.

ملاحظة: الأقسام الأربعة الأولى من السحر، وأما بقية الأقسام فليست من السحر، ولكن يحرم استعمالها إذا أدت إلى ضرر أو إذا أصبحت مقدمة لا تنفك عن الوقوع في المحرم.  مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

س: ما هو الحكم الشرعي لتعلم السحر من قبل الإنسان المسلم؟

ج:

١- الوجوب العيني أو الكفائي، إذا تعلق بتعلم السحر غرض عقلائي كإبطال سحر الساحرين، أو الحفاظ على ثغرة من ثغور المؤمنين مثلاً، فهنا إذا انحصر بفرد يكون الواجب عليه عيناً، وإذا انحصر بأفراد وقد قام بعض الأفراد به وقد تحصل فيهم الكفاية في سد الغرض فيكون واجباً كفائياً.

٢- الحرمة وهي في السحر على احتمالين:

الأول: حرمة ذاتية نفسية، وعليه يحرم تعليمه وتعلمه واستعماله بأي نحو من الأنحاء.

الثاني: حرمة معلّلة، وعليه يحرم تعليمه وتعلّمه واستعماله إذا سبّب ضرراً في إنسان، أولم يكن هناك غرض عقلائي باستعماله.

س: ما هو حكم الساحر عند الشارع المقدّس؟

ج:

إذا كان الساحر مسلماً واستعمل المحرّم من السحر ولم يتب فإنه يقتل، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ساحر المسلمين يقتل، وساحر الكفار لا يقتل، قيل: يا رسول الله: لم لا يقتل ساحر الكفار؟ قال: لأنّ الشرك أعظم من السحر، ولأنّ السحر والشرك مقرونان»<sup>(١)</sup>.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا  
وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- راع: ١- من المراعاة. ٢- من الرعونة، وهي صفة مذمومة.
- ٢- أنظر: أمهل.

س: ما هو المحتمل الوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا  
تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؟



ج:

لا شك في وجود الألفاظ المشتركة، والمشارك هو اللفظ الواحد الذي له عدة  
معاني مختلفة، وما بين بعض المعاني التي للفظ الواحد تضاداً من حيث الاستعمال،  
فأحدهما يستعمل للمدح مثلاً والآخر للذم، كما لو قلت لشخص: أنت عين، فتارة  
تريد أن تمدحه بأنك رجل لك شهرة عظيمة فتقول له: أنت عين، وتارة تريد أن  
تتهمه بالتجسس فتقول له: أنت عين.

وهناك كذلك لفظ واحد يعطي معنى المدح عند قوم أو عند أهل لغة وهو بنفس  
حروفه يعطي معنى الذم عند آخرين. ولفظ (راعنا) فهي إما مشترك لفظي في اللغة  
العربية بين المدح (مراعاتنا) وبين الذم (الرعونة)، وإما أنها في اللغة العبرية لها معنى  
واحد ليس فيه بأس وهو (مراعاتنا)، ولكنها في اللغة العبرية لها معنى مخالف  
مذموم (القبیح- الشرير- اسمع لا سمعت).

إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: إن المؤمنين الأوائل في زمن الرسول ﷺ كانوا يعانون من شيء عند تبليغ الرسول ﷺ رسالته، وهو البون الشاسع بين مستوى الطرح الفكري للرسول ﷺ من القرآن الكريم وبين المستوى الذهني والثقافي الداني الذي هم عليه، فكان المؤمنون يطلبون من الرسول ﷺ أن يطرح الآية أو الفكرة ببطء ووضوح ليراعي بذلك مستواهم من التلقف والفهم، فكانوا يقولون: (راعنا)، استغل بعض اليهود هذه اللفظة التي هي أكيداً عندما تطلق من اليهود كانوا يقصدون المعنى المذموم وجانب النقص منها ضد الرسول ﷺ ورسالته، قال تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْتَ بِالْسِنْتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ (النساء: ٤٦)، وهذه هي أحد الأساليب الخبيثة التي استعملها اليهود كأداة حرب لعرقلة حركة الرسول ﷺ وسيلة نفسية ضد المؤمنين، وليس هناك مبرر ظاهري لعقابهم؛ لأن مشكلة الاستهزاء هذه متعلقة بالقلب والقصد وفي نفس الوقت صُنعت هذه الطريقة جواً من السخرية والاستهزاء بالنبي ﷺ وبالمؤمنين.

جاءت هذه الآية لمنع هذه الظاهرة ولتفشل مؤامرة اليهود من خلال تبديل اللفظ من (راعنا) إلى (انظرنا)، وعند ذلك يحصل المقصود مع نفي ما توهمه تلك الكلمة، ثم اسمعوا لما يطرحه الرسول ﷺ، والذي يبقى على تلك الكلمة ولم يبدلها يعدّه الله من الكافرين المذخور له العذاب الأليم يوم القيامة، وقد فشلت مؤامرة اليهود بهذه الطريقة.

ورد عن الإمام الباقر ﷺ في قوله تعالى: ﴿رَاعِنَا﴾ أنه قال: «هذه كلمة سب بالعبرائية، إليه كانوا يذهبون»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس أنه قال: «إنَّ العرب كانوا يتكلمون بها (راعنا)، فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك، وكان راعنا في كلام اليهود السبِّ القبيح، فقالوا: إنا كنا نسب محمدًا سرًّا، فالآن أعلنوا السبَّ لمحمد، فكانوا يأتون نبي الله ﷺ فيقولون: يا محمد راعنا، ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادَة - أو سعد بن معاذ - وكان عارفاً بلغة اليهود، فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفس محمد بيده لئن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه، فقالوا: ألسنم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾<sup>(١)</sup>.

س: ما هي الدروس التي يمكن للمؤمن أن يأخذها من هذه الآية؟



ج:

- ١- ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنًا﴾ أن يتعدى المؤمن عن الألفاظ الموهمة بالسخرية في مجالس التعليم والتكلم العام، وهذا من الأدب الرباني الذي يرسمه الله للمؤمن لأن يسير عليه في مجال التكلم والمحاورات ومجالس العلم.
- ٢- ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ من حق طالب العلم أن ينبّه أستاذه على الطريقة التي تجلب له الفهم؛ لأنَّ الأستاذ لا يريد تفهيم نفسه، بل تفهيم الطلبة الذين حضروا مجلسه. نعم، على الأستاذ أن يراعي المستوى العام للطلبة أو المستمعين.
- ٣- ﴿وَاسْمَعُوا﴾ من حق طالب العلم أن يستمع لكل ما يطرحه الأستاذ أو المتكلم، وليس من حقه أنه لا بد أن يفهم كل ما يطرحه المتكلم من جزئيات الكلام

(١) أسباب النزول للواحدي: ٢١.

وكلياته في أثناء الطرح والتكلم؛ لأن وقت إلقاء المحاضرة والكلام هو ملك لكل الحضور لا لفرد معين. نعم، إذا لم يفهم بعض ما طرح في أثناء الإلقاء من حقّه أن يسأل عنه بعد الانتهاء والتفرّد بالمعلم أو المتكلم.

٤- ليس من واجب المتكلم أن يراعي بعض مستوى الحضور العالي فيما إذا كان يريد من كلامه أن يفهم به عامّة الناس من الحاضرين والغائبين والمعدومين مع المحافظة على علوّ كلامه، كما هو المراد من حديث الرسول ﷺ وكلامه الذي يراد منه أن يفهم جميع أجيال العالم، ولهذا لم تجد في هذه الآية من توجيه كلام للرسول ﷺ من قبل الله بأن يراعي فهم الحاضرين مثلاً.

نعم، لو كان القصد من التكلم هو فهم الحاضرين بالخصوص فهنا يجب على المتكلم أن يراعي المستوى العامّ للحضور. ومن هنا ورد عن الرسول ﷺ: «إنّنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»<sup>(١)</sup>.

مركز بحوث ودراسات إسلامية



﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة: ١٠٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- يودّ: الميل القلبي.

٢- يختصّ: الخصّ، هو الشقّ بين اللوحتين الخشبيتين التي يطّلع الإنسان من

خلالها لمراقبة الشيء الخارجي.

٣- ذو: الصاحب، وهي أحد الأسماء الخمسة.

٤- الفضل: الزيادة على ما يلزم.

س: ما هو المحتمل الوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾؟

ج:

١- أنّ المراد من أهل الكتاب خصوص اليهود للسياق، وقد يراد منه عموم أهل

الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم.

٢- كلّ من خرجاً عن الإسلام فهو كافر وجاحد للإسلام سواء كان من أهل الكتاب

أو لم يكن كذلك؛ لأنّ من يعتقد بالإسلام لا بدّ أن يعتنقه ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ ﴾.

٣- كلٌّ مَنْ كان خارجاً عن دائرة الإسلام لم يفرحه بأن يصيب الإسلام من خير، بل يتمنى تصدعه وانكساره ﴿أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾، لا حماساً لدينهم ولا إيماناً بعدم أحقيّة الإسلام، وإنما حسداً أن تكون حركة قيادة الدين والتبليغ بيد غيرهم أو بيد خصوص العرب، ومثل هذه الدوافع وغيرها تمثل حالة سلبية جاهلية لا تمنع من أن ينزل الله فضله ويخصه لمن يشاء ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

٤- أن الله خصّ برحمته الأمة الإسلامية بأن جعلها خير أمة وخصّهم بأن يكون النبي منهم خير الأنبياء، وهذا فضل كبير منه سبحانه وتعالى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، يجب على المسلمين أن يؤدّوا شكره بتأدية الواجب الفردي والنوعي الملقى عليهم ليكونوا عند حسن ظن ربهم بهم.

٥- أن الله لم يتبع هوى أحد حتّى تكون عملية نزول الخير منه من كتاب أو وحي أو رسول تابعة لأحد من الناس مهما كانت هويته، بل هو محض الاختصاص الإلهي وصرف التعلّق بمشيئته، والكلّ من خالص لطفه وفضله لا واجب عليه، فمن أي جهة تريدون أيها اليهود حقّ اختصاص النزول من الكتاب والرسول بأيديكم وتحت اختياركم؟! ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ (الزخرف: ٣٢)

٦- أن الحسد هو القائد لبغض اليهود على المسلمين، والحسد كما نعرف هو تمنّي زوال نعمة الغير مع غضّ النظر عن كونه يريد لها إليه أم لا، وهذا يعني أنّ وجهة نظر اليهود أن يزيلوا نفس الخير، فهم يكرهون نفس الحقّ والخير، فليس النظر في أن ينتقل لهم أو يكون الرسول منهم، بل أصل وجود الرسول والكتاب والغيب والسماء لا يريدونه ويودّون أن يزول حسداً من عند أنفسهم، وسيأتي مزيداً من البحث حول أثر الحسد وحقيقته في هذا المجلّد إن شاء الله تعالى.

س: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ماهو معنى (من) في المقطعين؟

ج:

(من) في الحالتين جاءت بمعنى واحد وهو الابتداء، ويفيد في الحالة الأولى ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ أي لم يؤدّ الذين كفروا ولا المشركون أن يمتلك المسلمون مطلق الخير ابتداءً من صغيره وأول درجاته الذي يبتدأ به الخير إلى آخره، وأما ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فإن مصدر الخير وابتداء كل خير هو من الله.

س: كثيراً ما يكرّر الله في آياته كلمة (ذو الفضل) أو (من فضله)، لماذا هذا التأكيد على هذه الكلمة؟

ج:

أن هذه الكلمة العظيمة تريد أن ترسخ في أذهاننا حقيقة وهي: أن الفضل بمعنى الزيادة، بمعنى ما من خير يصدر من الله إلا وهو زائد منه فلا ينقصه شيء، فهو هو بذاته مع عطائه وخلقه لكل من هو دونه، وهو هو لو فني كل الخير ولم يبق إلا وجهه، فلا تنقصه كثرة العطاء ولا تغنيه طاعة من أطاعه، فكل شيء دونه زائد بلا حاجة منه إليه، فهو الغني المطلق، فكل شيء من فضله.

﴿ مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلها أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ • أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (البقرة: ١٠٦- ١٠٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- النسخ: ١- الإزالة والإبطال. ٢- التحويل والنقل. ٣- الرفع.
- ٢- النسيان: ترك الحفظ والعلم.
- ٣- المثل: هو التشابه في الهيئة والصورة.
- ٤- الولي: هو المدبر والقائم بالأمر.
- ٥- النصير: من يطلب النصرة والتقوية منه.

### • النسخ والبناء

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للنسخ؟

ج:

النسخ: رفع أمر ثابت في الشريعة المقدسة بارتفاع أمدته وزمانه سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية كالوجوب والحرمة، أو من الأحكام الوضعية كالصحة والبطلان، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع.

س: ما هو المراد من الآية في قوله تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيةٍ﴾؟

ج:

١- آيات القرآن الحكيم أو آية منه أو جزء آية فإنه يسمى آية، وسواء كانت الآية لها وجه واحد أو عدة وجوه من كونها حكماً شرعياً أو بيانها وبلاغتها أو الإعجاز الذي تحمله.

٢- آيات الآفاق من حيث كشفها عن وجود صانعها وعظمتها وجماله وقدرته ودقته صنعه.

٣- جميع ما خلق من ذوات الأرواح.

٤- جميع الجواهر والأعراض في السماوات والأرض.

٥- المعجزة.



س: ما هي أهم الإشكالات التي طرحت حول النسخ، وما هو الجواب عليها؟

ج:

١- إذا كان النسخ يجري في التشريع فسوف يلزم العبثية والبداء المستحيلة على الله، للبيان التالي:

أولاً: أن نقول: إن الحكم الشرعي يصدر جزافاً من الله ومن دون أن يلتفت إلى أن هناك مصلحة يستهدفها ذلك الحكم المنصب على موضوعه، فهذا مستحيل على الله ولا يقول به أحد؛ لأن الله حكيم.

ثانياً: أن نقول: إن الحكم الشرعي يصدر بسبب مصلحة يستهدفها الحكم اقتضت تشريعه من قبل الله، كما هو متفق عليه، فهنا نقول: إن النسخ إما أن يتم مع بقاء المصلحة وعلم الناسخ بها فهذه هي العبثية المستحيلة على الله، وإما أن

يكون النسخ قد تمَّ مع جهله بالمصلحة وانكشاف الخلاف لديه، وهذا هو البداء المستحيل على الله، فالبعث والبداء نقص لا يتَّصف بها الله سبحانه وتعالى، فكيف تقولون بإمكان نسخ الحكم الشرعي؟.

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر، وأن يقرَّ الله بالبداء»<sup>(١)</sup>.

جواب الإشكال:

أنَّ الحكم الشرعي على قسمين من حيث وجود المصلحة فيه:

الأول: الحكم الشرعي الامتحاني، وهو الحكم التي يقصد من وجوده كشف الاستجابة لها، وليس من وراءها بعث المكلف نحوها أو زجره عند مخالفتها، كما أمر الله نبيّه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل، فهنا يمكن أن نلتزم بإمكان النسخ إذ لا مانع من رفعه بعد كشف الالتزام؛ لأنَّ المصلحة كانت بنفس إثباته ورفعها، فدوره ينتهي بعد جريان الامتحان وحصول الغرض من جعله، فلا عبث ولا بداء.

الثاني: الحكم الشرعي الحقيقي، وهو الحكم الذي يكون بداع حقيقي من البعث والزجر وإرادة متعلقه خارجاً من قبل المكلف، وهنا كذلك يمكن أن نلتزم بالنسخ من دون أن يلزم محذور العبثية أو البداء، حيث النسخ كان لحكمة ومصلحة معلومة لله من أول الأمر ولم تكن خافية عليه وإن كانت مجهولة عند الناس غير معلومة لديهم؛ لأنَّه ليس في النسخ من جديد على الله سبحانه لعلمه مسبقاً، كما أنَّه لا يكون عبثاً لوجود الحكمة والمصلحة في متعلق الحكم

الناسخ وزوالها في متعلق الحكم المنسوخ الذي أظهره الله بصورة الدوام للناس، كما هو الطبيب حين يعالج مريضاً ويرى أنَّ مرحلة من مراحل مرضه تحتاج إلى دواء معيّن لمُدّة معيَّنة فيصف له ذلك الدواء، ثمَّ بعد انتهاء تلك الفترة يستبدله بدواء آخر يصلح لمرحلة أُخرى، فلا يوصف عمله هذا بالعبث والجهل، وكذلك النسخ بالنسبة إلى الحكم حين وضعه كانت هناك مصلحة تقتضيه كما أنَّه حين رفع الحكم كان لمصلحة تقتضي هذا الرفع بعد أن أظهره بصيغة الدوام والإطلاق، فالله سبحانه وتعالى في كلا الحالتين كان يعلم المصلحة وأمدتها التي يستمرُّ بها الحكم ويقتضي رفعه دون علم الناس بذلك.

٢- إذا كان النسخ يجري في الأمور التكوينية فسوف يلزم البداء المستحيل على الله، للبيان التالي: وهو أن نقول: إنَّ معنى النسخ في هذه الحالة أن الله خلق شيئاً من مخلوقاته على أساس شيء حسن ثمَّ يظهر له خلاف ذلك فيبطله، أو أن الله كان يعتقد بشيء ثمَّ يظهر له خلاف ما اعتقده فيرفع ما كان قد اعتقده أولاً، وهذا هو البداء، وهذا مستحيل على الله لسببين:

الأول: نسبة الجهل إلى الله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ زعم أن الله عزَّ وجلَّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابروا منه»<sup>(١)</sup>.

جواب الإشكال

أنَّ البداء في الأمور التكوينية هو نفس النسخ في الأمور التشريعية، فنفس الجواب الذي أجبنا به على النسخ في الأمر التشريعي نجيب به على البداء في الأمر التكويني، وهو وجود العلم السابق لله تعالى بالحكمة والمصلحة في متعلق الناسخ

وزوالها في متعلق المنسوخ، ولعلمه المسبق بمدة المنسوخ ومقدار بقائه وحجم أثره وإن جهل الناس ذلك كله، وعلى هذا فلا بداء.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَقْدَمُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ، وَيُحَوِّمُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ مَا يَشَاءُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ. وَقَالَ: فَكُلُّ أَمْرٍ يَرِيدُهُ اللَّهُ فَهُوَ عِلْمُهُ قَبْلَ أَنْ يَصْنَعَهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَبْدُو لَهُ إِلَّا وَقَدْ كَانَ عِلْمُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَبْدُو لَهُ عَنِ الْجَهْلِ»<sup>(١)</sup>.

وورد عنه عليه السلام كذلك: «مَا بَدَأَ اللَّهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا كَانَ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْدُو لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَبْلَهُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: كَيْفَ لَنَا بِالْحَدِيثِ مَعَ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فَأَمَّا مَنْ قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الشَّيْءَ إِلَّا بَعْدَ كَوْنِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَخَرَجَ عَنِ التَّوْحِيدِ»<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أن الله إذا خلق شيئاً وقضى فيه أمره استحاله على الله أن تتعلق مشيئته بخلافه؛ لعدم قدرته عليه؛ لأنه يصبح حين صدور الفعل منه مسلوب الاختيار؛ لأن أي فعل عندما يكون قد صدر من فاعله لا يكون بعد صدوره باختياره، وبالتالي يستحيل تغيير الشيء عمّا هو عليه بعد فعليته، كصاحب البندقية حين يضغط على زنادها فإنه يفقد السلطة على خروج الرصاصة والسيطرة على توجيهها أو عدم فعليتها، وكذا كلّ فعل عندما يصدر من الإنسان فإنه يكون خارجاً عن اختياره.

(١) تفسير العياشي ٢: ٧١/٢١٨.

(٢) الكافي ١: ٩/١٤٨.

(٣) غيبة الطوسي: ٤٣٠/٤٢٠.



### جواب هذا الإشكال

هناك فرق كبير بين قدرة الله وقدرة الناس، وأن هناك فرقاً كبيراً بين ملكية الله وملكية الناس، وتوضيح ذلك:

أما الأول، فإن ما تفضل علينا بما ظاهره الاستقلال فهو عين التبعية في صورة الاستقلال، فلا يمكن أن ندبر أمورنا من دون الله سبحانه وقدرته، فكل شيء قبل فعليته وبعدها، وما بين مبدئها ونهايتها والوسط بينهما، والجزئية والكلية، وفي كل آن من زمنها، حدوثاً وبقاءً، إلا وهي محتاجة إلى الله تجري ضمن قانونه المسيطر عليه وتحت إرادته هو سبحانه، فلا شيء يمنعه عن التصرف ولا شيء يحدد قدرته ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أنه قال عليه السلام: «لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا فرغ عن الأمر فلا يزيد ولا ينقص» (١).  
فقدرة الله مطلقة قبل ومع وبعد كل شيء، وهو القادر على أن يأتي بما هو خير من الفائت أو بمثل الفائت فلا حدود لقدرته ﴿مَا تَسْخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾.

وأما الثاني، فإن ما تفضل علينا بما ظاهره الملك فهو المالك في عين ما يملك غيره ما يملك، فهي ملكية اعتبارية تبطل عن الأول بتعليكه للثاني، هذه بالنسبة إلى غيره سبحانه وتعالى، وملكية حقيقية مطلقة بالنسبة إليه سبحانه وتعالى، فله أن يتصرف بملكه كيف ما يشاء ومتى يشاء، وليس لغيره شيء حتى يوجب ذلك انسداد باب من أبواب تصرفه سبحانه، أو يكون مانعاً دون تصرف من تصرفاته، فلا

مانع من أن يرفع آية ويأتي بخير منها أو مثلها أو لا يأتي أصلاً ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وعليه من كل ما مرّ نعلم من خلاله أنه لا يمكن للشيء أن يستغني عن الله من جميع جهاته فهو الولي لكل شيء، وهو المعين لكل شيء من جميع جهاته ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٠٧).

س: كيف يمكن أن نتصور نسخ الآية القرآنية؟

ج:

١- نسخ تلاوة الآية دون حكمها، أي أن هناك آية نزلت على رسول الله ﷺ ثم نسخت تلاوتها ونصّها اللفظي مع الاحتفاظ بما تضمنته من أحكام. (هذا القسم ممكن إلا أنه لم يقع).

٢- نسخ التلاوة والحكم، أي أن تكون هناك آية قرآنية ثابتة لفظاً ومعنى في وقت من أيام الشريعة، ثم نسخت تلاوتها وحكمها ومضمونها ولا أثر لها. (هذا القسم ممكن إلا أنه غير واقع).

٣- نسخ الحكم دون التلاوة، أي ينسخ جانب الحكم من الآية وتبقى صياغتها اللفظية وطريقة التعبير عنها في القرآن الكريم. (هذا القسم ممكن وقد وقع الخلاف في وقوعه في القرآن الكريم).

ويمكن أن نتصور النسخ في هذا القسم على وجوه ثلاث:

أولاً: أن ينسخ حكم الآية بحكم آية أخرى حاكمة أو واردة عليه.

ثانياً: أن ينسخ حكم الآية بآية أخرى للتعارض بينهما فتنسخ المتقدمة بالمتأخرة زماناً.

ثالثاً: أن ينسخ حكم الآية بالسنة المتواترة أو بالإجماع القطعي الذي يكشف عن صدور النسخ من المعصوم قطعاً.

س: هل وقع النسخ في الكتب السماوية؟

ج:

- ١- في التوراة، تحريم اليهود العمل الدنيوي في يوم السبت، مع الاعتراف بأن هذا الحكم لم يكن ثابتاً في الشرايع السابقة، وإنما كان يجوز العمل في يوم السبت كغيره من أيام الأسبوع.
- ٢- في التوراة، أمر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل قتل أنفسهم بعد عبادتهم العجل ثم رفع هذا الحكم عنهم بعد ذلك.
- ٣- ورد في الإصحاح التاسع من سفر التكوين: «كُل دَابَّة كَانَتْ مَبَاحاً فِي شَرِيعَةِ نُوحٍ ثُمَّ نَسَخَتْ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ: «كُل دَابَّة حَيَّة تَكُون لَكُمْ طَعَاماً كَالعُشْبِ الأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ الْجَمِيعَ».
- ٤- الأمر بالقصاص في الشريعة الموسوية، ثم نسخ هذا الحكم في الشريعة المسيحية ونهي عن القصاص.
- ٥- تحليل الطلاق في الشريعة الموسوية، ونسخ هذا الحكم في الشريعة المسيحية.
- ٦- ورد في الباب الثاني والعشرين من سفر التكوين: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَبْحِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ نَسَخَ هَذَا الْحُكْمَ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهِ، فَقَدْ وَرَدَ فِيهِ: «ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمَ يَدَهُ وَأَخَذَ السَّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ فَنَادَاهُ مَلَاكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: إِبْرَاهِيمُ إِبْرَاهِيمُ فَقَالَ: هَا أَنَا ذَا. فَقَالَ، لَا تَمْدُدْ يَدَكَ إِلَى الْغَلَامِ، وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئاً، لِأَنِّي الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللَّهَ، فَلَمْ تَمْسِكْ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي، فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا

بكبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وذبح الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه.»

٧- أمّا في القرآن فنحن نسمع بوقوع آيات منسوخة إلا أننا فعلاً لم نعثر على آية متفق على نسخها بين العلماء.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله: (أَوْ نُنْسِيهَا)؟

ج:

معنى النسيان له أربعة احتمالات:

الأول: ذهاب العلم والذكر، فيكون معنى الآية أن كل ذي ذكر وحفظ من الإنسان وسائر الحيوان كذلك؛ لأنه يذكر وينسى، يكون نسيانه وذكره كليهما من عند الله وتحت مشيئته، فبإمكانه سبحانه أن يجعل الذاكر ذاكراً دائماً والناسي ناسياً دائماً، أن يجعل الذاكر ناسياً والناسي ذاكراً، وكل ذلك يحصل بمشيئته وقدرته سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٦).

الثاني: من النسيء أي التأخير، فيكون معنى الآية أننا ما ننسخ من آية بإزالتها أو بتأخير إظهارها نأتي بخير منها أو مثلها، ولا يوجب التصرف الإلهي بالتقديم والتأخير في آياته فوت كمال ومصلحة سواء كان ذلك في التشريع أو في التكوين ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٠٧).

الثالث: ننسها أي نتركها محافظين عليها ونضعها في مكانها بدون تبديل ولا نسخ، فيكون معنى الآية أننا قادرون على ترك الآية في محلها وموضعها مع الإتيان بأحسن منها معنى ولفظاً أو مثلها في اللفظ دون المعنى، كالأيات المتشابهة لفظاً

الموجودة في القرآن، حيث كل واحدة لو نظرت إلى ما قبلها وبعدها من الآيات لأعطت معناً وذوقاً وجهة أحدها تخالف الأخرى.

الرابع: ننسها هو نفس معنى النسخ، ولكن النسخ للمدى القصير، والنسي هو النسخ للمدى البعيد، فيكون المعنى ما ننسخ من آية الآن أو مستقبلاً إلا ونحن قادرون على الإتيان بخير منها أو مثلها.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾؟

ج:

١- بإمكان الله أن ينسخ حكماً له فائدة ما في زمان معين ثم يأتي بحكم آخر في

زمان آخر يؤدي نفس الفائدة السابقة.

٢- بإمكان الله أن ينسخ آية من آيات الكون والطبيعة ويأتي مثلها في كل جهة من

جهات المثل بين النسخ والمنسوخ، وهذا أعلى مثال للقدره؛ لأنه في بعض

الأحيان يكون أصعب من خير منها.

س: ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ

كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ

السَّبِيلِ﴾؟

ج:

أن ما وقع لبني إسرائيل مع موسى لم يكن يقتصر وقوعه على تلك المرحلة

الزمنية ولا على أولئك الأقوام ولا على ذلك النبي فحسب، وإنما قد تعاد نفس

الإشكالات ونفس الأساليب ونفس اللجاجة ونفس التعنت والتمرد سواء في حياة

الرسول ﷺ أم بعد حياته إلى يوم نهاية الإنسان، وسواء مع نبي أو إمام أو عالم

رباني أو قيادة إسلامية، وسواء في دائرة عمل أو في مؤسسة أو في معسكر أو مع جماعة، فإن النفس البشرية في جميع ذلك معرضة لأن تكون كيني إسرائيل في تعاملها مع من يقودها نحو الخير والصلاح، والآية المذكورة تثبت وقوع هذه الحالة في حياة الرسول ﷺ من قبل بعض القرشيين.

ورد عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ أنه قال: «نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي أمية ورهط من قريش، قالوا: يا محمد ﷺ، اجعل لنا الصفا ذهباً، وسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً، تؤمن بك فأنزل الله تعالى هذه الآية»<sup>(١)</sup>.

فإنهم سألوا الرسول ﷺ كما سألت بنو إسرائيل موسى تلك الأسئلة التي كانت قد صدرت عن جهلهم بالله ورسله وكتبه ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥)، ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾ (الإسراء: ٩٠).

هذه الاقتراحات والأسئلة وغيرها التي طرحوها لم تزيدهم إلا رجوعاً عن الحق وابتعاداً عن الحقيقة؛ لأنها لم تكن عن طلب فهم وزيادة علم، فاستنكرها الله على أولئك البعض من أبناء قريش حتى لا يقعوا بما وقع الأولون به عندما خاضوا تجربة السؤال النابع من العقد النفسية والتعنت الجاهل، فكل سؤال ناتج عن عدم التفكير به وعقلانيته فلا يجاب عنه من قبل المسؤول ولا يصدر من مؤمن عاقل؛ لأنها لا تزيد بصاحبها إلا سوءاً وحقداً ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (البقرة: ١١٨).

وقد يورث السؤال الكفر بالله، كما كانت أسئلة بني إسرائيل التي تكشف عن عنادهم للأنبياء، وبالتالي ابتعادهم عن خط الاستقامة بدلاً من الطاعة لهم، وقتلهم الأنبياء بدلاً عن الإيمان بهم، وهذا هو عين الكفر والانحراف عن خط الاستقامة التي يناشد به الله الناس أن يسيروا عليه، فعندما يبتلى الإنسان المؤمن بقيادة دينية عليه الطاعة والانقياد لها لا أن يستعمل الأسئلة التي تثير التشكيك بين صفوف المؤمنين، ولا يستعمل الأسئلة التي تمنع المواصلة إلى نهاية الطريق، ولا يستعمل الأسئلة التي لا تزيد المؤمنين إلا ضعفاً، بل عليه أن يمنع مثل هذه الأسئلة لكي يسهل عملية شق الطريق من قبل المؤمنين وقيادتهم ومن قبل كل راعٍ ورعيته خصوصاً في خطوط الهداية والخير والصلاح.



مركز تحقيقات کامپوزر علوم اسلامی

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا  
مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ  
بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا  
تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾ (البقرة: ١٠٩-١١٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:



١- العفو: التجافي عن الذنب.

٢- الصفح: إزالة أثر ذنب الآخر عن النفس.

مركز تحقيقات كاتدرائية علوم إسلامية

• الحسد مرض يصيب المجتمع كما يصيب الفرد

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ  
يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ..... إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

ج:

أنَّ الحسد يسبب الكثير من الأمراض الأخلاقية الكثيرة والخطرة، ومن جملة ما  
يسببه عند الحسود مرض الاستكبار والغرور بالنفس، يحب أن يكون الناس أميين  
حتى يكون عليهم عالماً، ويحب أن يكون الناس فقراء حتى يلجؤون إليه بالحاجة،  
ويحب أن يقود الناس ويسمعوا كلامه وأن يكون مثلهم الأعلى حتى لو كان ذلك



على أساس من الانحراف والجهل، ويحاول أن يكسر من هو أعلى منه من غير نظر إلى جهة الحق.

وسبب إصابة الحسد صاحبه لا تأتي اعتباراً ومن دون مقدمات، بل يأتي الحسد بعدما يقترف الإنسان المعاصي الكثيرة والتعدي الكثير على الله ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾، وعملية الحسد وما ينتجه من الأمراض لا يصيب الفرد فقط، وإنما يصيب الأمة كذلك، فيصيبها الحسد على أمة أخرى، وهاهم أمم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم، فعلى الرغم من أنهم يؤمنون بالغيب والنبوة وبالرسالة إلا أن الحسد قد أصابهم وأدى بهم ما يؤدي بالفرد، بحيث يودّ اليهود ألا يكون للأمة الإسلامية وجود، وأن يكون المسلمون كلهم كفاراً لا يؤمنون بغيب حتى يقودوا هم حركة الدين ويرزوا فيها، وهكذا النصارى وغيرهم من أهل الكتاب.

هذا ما أنتجته أيادي التحريف، وهذا ما يصنعه علماء اليهود والنصارى بأمرهم، من زرع الحقد والبغضاء على الإسلام والمسلمين وشنّ الحروب الصليبية والإسرائيلية على المسلمين بين الآونة والأخرى، على الرغم من أنهم يعرفون الحق الذي أصبح واضحاً يتأ لدى الداني والبعيد من أن الإسلام هو دين الحق وأن محمداً ﷺ هو رسول الحق، وأن المسلمين هم طلاب حق، بينما نجد الإسلام وقادته والمسلمين هم رواد رحمة للعالمين يحبون أن يهتدي كل الناس لا أن يكفر كل الناس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (الحديد: ٢٧)، وفي وسط العذاب الذي يقدمه اليهود والنصارى وجميع أهل الكتاب وغيرهم إلى رسول الرحمة ﷺ كان يقول ﷺ: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>، وكان العفو والصفح سجيته ﷺ، وليس ذلك مقتصراً

عليه ﷺ، بل هو أمر من الله للمسلمين جميعاً حتى أصبحت سجيّتهم أن يلتزموا هذا الاتجاه إزاء أذى أهل الكتاب ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾، فالعفو والصفح هو القاعدة الأولى للإسلام و للمسلمين، فليس كما يقول اليهود أنّ الإسلام هو دين الإرهاب وأنّ المسلمين هم الإرهابيون.

نعم، ليس العفو والصفح على طول الخطّ ومع كلّ أسلوب حتى لو أرادوا محو المسلمين وقتلهم، فإنّ ذلك من الغباء والجبن، فالعفو والصفح ليسا منسوخين كتعامل وسلوك، بل باقيا مع مَنْ يستحقّهما، وأمّا مع مَنْ لا يستحقّ العفو والصفح فهناك أمر آخر ﴿حَتَّى يَأْتِيََ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، وهو الطرد إن اقتضى ذلك، أو الحبس إذا اقتضى ذلك، أو الجلاء إذا اقتضى ذلك، أو القتال إذا اقتضى ذلك ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

فالمسلمون مستعدّون أن يتّخذوا الأسلوب المناسب كردّة فعل للأساليب التي تتّخذ ضدهم مع مراعاة المرحلة في الأسلوب الذي يقتضيه ذلك الموقف، والفوز والنصر للمسلمين في نهاية الأمر مهما بلغت قوّة أهل الكتاب، ومهما توسّعوا في أخذ أراضي المسلمين، ومهما بلغوا من قتل المسلمين بأبشع الصور الإجرامية؛ لأنّ الله مع المؤمنين لا مع عدوّهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

س: كيف نحلّل هذا التضادّ من تمني الكثير من أهل الكتاب المؤمنين بالله واليوم الآخر ويؤمنون بكتاب سماوي أن يكفر الإنسان بالله وباليوم الآخر؟

ج:

أولاً: أنّ الحسد وما ينتجه من الأمراض النفسيّة عندما يصاب به الإنسان لا يعرف التضادّ بين ما يحمله من إيمان وبين ما يصدر منه من فعل، فيسير في المعاملات

كأنه الأعمى والأبكم والأصم يتجرّد عن كلّ شيء يعارض أنانيّته وطموحه الشخصي المريض، فلا عاطفة تبقى ولا ما هو معروف وخير يصدر فتتخلخل عنده كلّ الموازين والأعراف التي يحملها. وعليه فلا عجب من اليهود والنصارى أن يصدر منهم قتل الملايين من الأبرياء وحرق الملايين من الكتب العلميّة عندما تصطدم مع أنانيّتهم وإشباع رغباتهم.

ثانياً: الشعور بالنقص الذي يلاحق أهل الكتاب، فإنّ نقص العقيدة التي يحملها أهل الكتاب تلاحقهم وتسير معهم في كلّ لحظات حياتهم، وهذه الحقيقة إن أخفوها في صدورهم مرّة فهي تظهر بين الآونة والأخرى في جلسات حوارهم ومناقشة كوادرم لهم وإشكالات ما يمليه تطوّر الحياة وتكاملها الإنساني، وهذا ما لا يجدون في كتبهم الأجوبة الشافية عليها، ولا تمتلك علماءهم القناعة الكافية لكي تشبع أفرادهم قناعة إلى ما هم محتاجون إليه. ومن هنا تبدأ الحالة المرضيّة تظهر على المصريّين ببقائهم على كتب الضلال في أن يحبّ الكثير من أهل الكتاب أن يكفر المسلمون ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩)، حتّى يغلقوا هذا الشعور بالنقص بدلاً من أن تكون لهم الإرادة في اتّخاذ الموقف الصحيح في اختيار الصحيح.

س: ما معنى الحسد؟

ج:

الحسد: مرض أخلاقي قلبي يتمنى الإنسان من خلاله زوال نعمة الغير، يخرج من هذا التعريف أمران:

الأول: إذا تمنى الإنسان زوال نعمة الغير لا عن حالة مرضيّة، بل عن حالة سليمة فلا يعتبر حسداً، كمن يتمنى زوال نعمة الظالمين التي يصرفونها في ظلمهم.

الثاني: إذا تمنى نعمة الغير أن تكون له من دون زوالها من ذلك الغير، فهذا يسمى غبطة لا حسداً، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط»<sup>(١)</sup>.

س: لقد عرّفتم الحسد أنه تمنى زوال نعمة الغير، وأن الإنسان يتمنى في الشرّ والخطأ الشرعي في مجالات كثيرة، فلماذا شدّد الله على هذا النوع من التمني ووضع له اسماً خاصاً أسماه الحسد؟

ج:

صحيح أن التمني له باب مفتوح للإنسان وأنه يدخل في مجالي الخير والشرّ، ولكن بعض التمني يقف عند حدّ التصوّر والقلوب سلباً أو إيجاباً ولا يتعدى إلى الفعل والعمل، وهذا النوع من التمني عندما يكون في مجال الخير فهو ممدوح، وإن كان في الشرّ فهو مذموم عقلاً وشرعاً. والبعض الآخر من التمني يلازمه الفعل والعمل، وهذا النوع من التمني على قسمين:

الأول: محدود بحدود ما تمنى كمن يتمنى أن يسرق زيد من الناس فيصدر فعل السارق وتخطيطه على سرقة فقط.

الثاني: ما يتعدى عن حدود ما تمناه كالحسد، فإنّ الذي يتمنى زوال نعمة الغير بالخصوص معناه دخول الحقد والبغضاء في قلبه مسبقاً ونموهما بالحسد لاحقاً، بمعنى رابطة الحبّ الأخوي الذي يريدّها الله قد انحلت بهذا النوع من التمني، وإذا انحلت رابطة الحبّ وصار بدلها الحقد والبغضاء معناه لا يمكن أن يجتمع الحاسد

(١) الكافي ٢: ٣٠٧/٧.

مع المحسود في جلسة واحدة ومجلس واحد، وإذا حصل اللقاء بين الحاسد والمحسود في جلسة واحدة معنى ذلك استعداد الحاسد أن يكسر بأخيه ولا يعطيه فرصة النجاح له حتى لو كان بحق، ثم يتعدى أكثر من ذلك بأن يفرحه أي خبر يجد فيه انتكاسة على المحسود، بل يتعدى إلى أكثر من ذلك بأن إذا وجد فرصة للسب والشتم والتنكيل يوجهها إليه ليطفئ بعض نار الحقد والغیظ الذي يحمله عليه، بل يسعى لأن يسرقه أو يعتدي على عرضه أو على أسرته أو على أذيته حتى يصل الأمر به إلى قتله.

ومن هنا نعرف أن الحسد بنفسه من الأمراض المولدة لأنواع الجرائم والاعتداءات من دون ذنب وسبب يصدر من المحسود، وكلما نمت الحسد أكثر كلما نتوقع صدور الجريمة أكثر وأوسع. وهذا نعرف أن الشيطان عندما خلق الله آدم ﷺ بدأ بحسده ثم حقد عليه ثم نما عنده الحسد فرفض السجود إليه وتمرد على الله، ثم أصبح العدو الأول للإنسان ويعمل على انحرافه ويعرقل سعادته في الحياة ويشجع قاتلي الإنسان، وغيرها من الأمور التي سببها الحسد.

ومن هنا نعلم سبب التشديد الخاص من قبل الله على مرض الحسد الذي لا يولد إلا شراً للفرد وللمجتمع.

س: كيف نوفق بين القول (بتأثير الحسد على المحسود) وبين القول بأن (الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله)؟

ج:

تأثير الحسد له أو عليه لا يكون إلا بلحاظ نفس الحاسد، أي باعتبار أن الإنسان إذا وقع في الحسد فإن هذا يعني قد وقع بما يلزمه من الفعل الباطني وهو

الحقد والبغض، وبالفعل الخارجي وهو التحرش بالمحسود حسب درجة الحسد التي يمتلكها الحاسد على محسوده، وهذا هو معنى أثر الحسد على المحسود ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ٥)، ولمّا كانت حركة الحسد من خلال الحاسد حركة ضدّ الانفتاح الإنساني ووجدانه وعقله وفطرته، وضدّ أي قانون في أيّ منطقة في العالم مهما كان نوعه؛ لأنّها حركة واضحة الظلم والاعتداء التي لا تملك أيّ مبرر لها على بريء لا يملك حولاً ولا قوّة إلاّ ما فضل الله عليه بنوع من التفضل الذي حصل عليه ضمن السنن الطبيعيّة للحياة التي فيها القوي وفيها الضعيف وفيها الصحيح وفيها المريض وفيها الغني وفيها الفقير، فكلّ عمل يصدر من الحاسد مكتوب له الفشل؛ إمّا لعدم قدرته على الوصول إلى مرامه فيقتله الحقد واللؤم الذي يحمله صدره على المحسود، أو قد يحصل الحاسد على بعض المواقع، ولكن لا تدوم له مع ملاحقة اللعن والعذاب له يوم الآخرة وهو الخسران المبين.

وعليه تعدّ أوّل خطوة لمسير الحسد هي وضع الحاسد قدمه على أوّل خطوة في طريق الفشل وردود الفعل العكسيّة على نفسه، وبهذا يمكن أن نتصوّر عدل الحسد.

س: يقولون: إنّ بعض العين تضرّ وإذا نظرت إلى شيء تضرّ به لشدة الحسد الذي يحمله صاحب العين، ما هو جوابكم على ذلك؟

ج:

العين الضارّة لها وجود ونحن نسمع بين الحين والآخر أنّ بعض الناس إذا ركّز نظره على شيء فإن أراد أن يكسره مثلاً كسره، وإذا أراد أن يحرف اتجاه مسيره فإنّه يفعل ذلك، وهذا له وجود حقيقي عند البعض تكويناً، وقد يمكن أن يمتلكه

البعض الآخر من خلال بعض التمرينات والعلوم الرياضية المختصة في تركيز النظر، وقد يخضع لقانون طبيعي يكتشف المستقبل علته، ولكنه غير الحسد، وما هو شائع بأنه حسد فهو خطأ شائع.

س: اذكر بعض الآيات التي تنقل صوراً من الحسد.

ج:

١- قال تعالى: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسِداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ (البقرة: ١٠٩).

٢- قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (النساء: ٨٩).

٣- قال تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَسْنَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمران: ١٢٠).

٤- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَلِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ افْتَلُوا يُونُسَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف: ٨-٩).

٥- قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٥٤).

٦- قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ١٤).

س: اذكر بعض الروايات التي تعكس الحسد وأثره.

ج:

١- ما ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ألا لا تعادوا نعم الله. قيل: يا رسول الله، ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً: «ألا إنه قد دب

إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر، لكنّه حالق الدين»<sup>(١)</sup>، وعنه أيضاً: «إيّاكم والحسد فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»<sup>(٢)</sup>.

٢- ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «الحسد مرض لا يؤسى»<sup>(٣)</sup>، وعنه أيضاً: «الحسد شرّ الأمراض»<sup>(٤)</sup>، وعنه أيضاً: «لله درّ الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله»<sup>(٥)</sup>، وعنه أيضاً: «الحاسد يظهر ودّه في أقواله، ويخفي بغضه في أفعاله، فله اسم الصديق وصفة العدو»<sup>(٦)</sup>، وعنه أيضاً: «يكفيك من الحاسد أنّه يفتّم في وقت سرورك»<sup>(٧)</sup>، وعنه أيضاً: «صحّة الجسد من قلّة الحسد»<sup>(٨)</sup>.

٣- ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لا راحة لحسود»<sup>(٩)</sup>، «يقول إبليس لجنوده: ألقوا الحسد والبغي، فإنّها يعدلان الشرك»<sup>(١٠)</sup>، «إيّاكم أن يحسد

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلامي

(١) وسائل الشيعة ١٥: ٢٠٧٦٨/٣٦٨.

(٢) جامع الأخبار: ١٥٩.

(٣) غرر الحكم: ٦٨١٨/٣٠٠.

(٤) غرر الحكم: ٦٨١٥/٣٠٠.

(٥) غرر الحكم: ٦٨٥٨/٣٠١.

(٦) غرر الحكم: ٦٨٤١/٣٠١.

(٧) المستدرک ١٢: ١٣٣٨٨/١٧.

(٨) نهج البلاغة ٤: ٢٥٦/٥٦.

(٩) غرر الحكم: ٦٨٣٠/٣٠٠.

(١٠) الكافي ٢: ٢/٣٢٧.



بعضكم بعضاً، فإن الكفر أصله الحسد»<sup>(١)</sup>، «قال لقمان لابنه: للحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب، ويتملق إذا شهد، ويشمت بالمصيبة»<sup>(٢)</sup>.

س: ما هي مراتب الحسد؟

ج:

الأولى: أن يكون تمنى زوال نعمة الغير مطلوباً بالذات سواء كان الحاسد محتاجاً لنعمة الغير أم لم يكن كذلك.

الثانية: أن يكون تمنى النعمة هو المطلوب بالذات وزوال نعمة الغير مطلوباً بالعرض.

الثالثة: أن يكون تمنى النعمة هو المطلوب بالذات ولكن عند العجز يتمنى زوال نعمة الغير.

س: ما هي مواضع الحسد بالنسبة إلى الإنسان؟

ج:

١- حسد القلوب، وهو محل الحديث.

٢- حسد اللسان، وهو السبّ والشتم والتهديد بإزالة نعمة المسبوب، الذي هو من آثار حسد القلوب.

٣- حسد السلوك، وهو الأذى للغير الذي يسبب إزالة نعمة الغير، الذي هو من آثار حسد القلوب.

(١) الكافي ٨ : ١/٨.

(٢) الخصال ١ : ١٢١/١١٣.

٤- حسد القلوب واللسان والسلوك، بأن تعمل كلّ جوانح الحاسد وجوارحه ضدّ المحسود.

س: ما هي أسباب تولّد الحسد عند الإنسان؟

ج:

١- العداوة والبغضاء، التي تولّد الحقد القلبي لدى الإنسان وبالتالي محاولة الانتقام وزوال نعمته، ولكن في حالة أخرى قد تكون العداوة والبغضاء أصلها الحسد ومن آثاره، فالحسد تارة يكون علّة وتارة أخرى يكون معلولاً بحسب اختلاف موضوع الحالة التي وقع الإنسان فيها.

٢- التعرّز، وهو حبّ الإنسان أن يكون متفرداً بالخصال الحميدة يكره من يزاحمه عليها، فإذا رأى أيّ شخص يزاحمه على ذلك يحاول أن يقف بوجهه بأيّ وسيلة وإن كان ذلك الطرف محقاً لذلك المقام العزيز.

٣- العُجب والتكبر، بحيث يجد ما يمتلكه لا يمتلكه الآخرون، ويرى من حقّه استخدام الآخرين أو استعبادهم، فأيّ واحد يكبر في عيون الناس بحيث يوازيه في الرفعة يحاول أن يقف ضدّه وإزالة ما يمتلكه من الملكات.

٤- الخوف من فوت المنال، وهذا يحدث عند التزاحم على منال واحد، كتزاحم تلميذين لنيل حبّ ورضا أستاذهما، وأغلب ما يحصل هذا القسم بين الأقرباء وأهل الحرفة الواحدة المتقاربين.

٥- حبّ الرئاسة وحبّ الجاه، وهو محاولة إزالة منصب الغير الرسمي أو الاجتماعي أو حبّ الناس من الغير إليه.

٦- شحّ النفس بالخير على عباد الله، وهو محاولة منع القول والمدح أو تقليل شأن

أي إنسان ينقل إليه بأنه أكثر عبادة منه أو أكثر تقوى منه أو أكثر مال منه أو أي شيء آخر في هذا الاتجاه.

٧- البخل، وهو عدم الإنفاق والزيادة في الحرص مع وجود دواعي الإنفاق، من جملة آثاره هو زوال نعمة الغير ليرز هو أغنى رجل في منطقته.

٨- ضيق في الأفق الفكري للحاسد، وهو عدم اطلاع الحاسد على ما ينتفع من هذا المنعم عليه من العوائل التي تعيش على هذا المنعم عليه بالمال، ومن طلبه العلم الذين يستلهمون العلم من المنعم عليه بالعلم، ومن المشاكل الاجتماعية التي تحل على يدي المنعم عليه بالجاه وغيرها من المجالات التي يشغلها المنعم عليه من المؤمنين.

٩- الدعة وحب الراحة والكسل وعدم الكسب مما يجلب الحاجة والفقير، وهذا ما يجعله يعيش الفراغ الروحي ولم يكن له شغل إلا بمد نظره على الآخرين وتمني زوال نعمهم. *تحقيقاً كالمؤثر علوم إسلامي*

س: ما هي الآثار التي يتركها الحسد على نفس الحاسد؟

ج:

- ١- الآلام النفسية، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الحسد حبس الروح»<sup>(١)</sup>.
- ٢- الآلام الجسدية، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الحسد يذيب الجسد»<sup>(٢)</sup>.
- ٣- بغض الناس للحاسد وكرههم له، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الحسود لا خلال له»<sup>(٣)</sup>.

(١) غرر الحكم: ٢٩٩/٦٧٩٠.

(٢) غرر الحكم: ٣٠٠/٦٨٣٢.

(٣) غرر الحكم: ٣٠١/٦٨٤٨.

٤- انجرار الحاسد إلى الأمراض الأخلاقية الأخرى من الكذب والنميمة والانتقام، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أما علامة الحاسد فأربعة: الغيبة والتلمق والشهامة بالمصيبة»<sup>(١)</sup>.

٥- ذهاب حسناته المذخورة له في الآخرة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»<sup>(٢)</sup>.

س: ما هي الحصانات التي إذا وفّرها الإنسان لنفسه لم يصيبه مرض الحسد؟

ج:

١- الإيمان بالله، فإن من يؤمن بالله حق الإيمان وعمقه بأن الله هو الرازق والمعطي وممتحن الصابرين وغيرها من الأمور المختصة في هذا المجال لا تجده يحسد.

٢- العلم، وهو الطريق الذي يوسع دائرة الأمل ويغني النفس ويجرّدها عن حبّ الدنيا، ويقربها من خشية الله والتعمق بخواتم الأمور.

٣- طاعة الله، التي تصهر القلوب من الأصدقاء التي تأتي على قلب الإنسان نتيجة معاشته الاجتماعية.

٤- الإنفاق وتعوّد النفس على العطاء والكرم بعد النظر في معاناة المحتاج عند احتياجه.

٥- التخلص من النفاق العملي، أي لا يعود نفسه من أن يحمل صفتين متضادتين

(١) تحف العقول: ٢٢.

(٢) جامع الأخبار: ١٥٩

لشخص واحد، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما رأيت ظالماً أشبه  
بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم» (١).  
٦- الجَدُّ والاجتهاد في العمل وطلب المعاش.

س: ما هي الحصانات التي وفرتها الشريعة لدفع الضرر على المحسود؟  
ج:

- ١- الاستعانة بالإيمان بالله وكتابته والدعاء إليه.
- ٢- كتم النعم، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «استعينوا على حوائجكم  
بالكتان فإن كل ذي نعمة محسود» (٢).
- ٣- الإحسان لمن يشك أنه يحسده وتبديده بالموعظة.

س: ما هو العلاج الذي نقده لمن وقع في مرض الحسد؟  
ج:

أولاً: العلاج العلمي وهو على وجهين:

- ١- التحصيل العلمي العام الذي له دور كبير في معرفة مجرى الأمور ونمو الشخصية  
والفتح الذهني الذي يجعله يترفع عن أمثال الحسد ويفتح له طرق الرزق.
  - ٢- التحصيل العلمي الخاص بأن يتفحص في الكتب التي تبحث عن الحسد وبيان  
ضرره في الفرد والمجتمع وفي الدين والدنيا.
- ثانياً: العلاج العملي، وهو عملية محاربة النفس التي تدعوه للحسد ومحاولة

(١) المستدرك ١٢: ١٧/ ١٣٣٨٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١: ٣١٦.

حذف أي صورة ذهنية تفتح أمامه الطريق إلى الحسد، ومحاولة تحويل البغض إلى الآخرين وكرهيتهم إلى حبّ قلبي وجعل الأمور بيد الله والتوكّل عليه.

س: لماذا يكثر الحسد بين الأقرباء والقريبين من الصنف الواحد في العمل؟

ج:

ظنّ المزاحمة في الرزق أو الجاه مع المعاشة اليومية بحركة التقريب أو ما يدخل إليه من المال، وهذا ممّا يزيد العامل النفسي احتقاناً وضجراً وضيقاً، وكلّ ذلك من نتاج ضعف الإيمان بالله، وإذا توسّع حرص الإنسان وحقده وعداوته وبغضه فهنا سوف لا يقتصر حسده على القريب، بل يتعدّى ذلك إلى البعيد حتى يشمل الشعوب والأمم، كما هي الحركة الصهيونية في العالم.

س: قد ورد أنّ أكثر الحسد بين العلماء، بيّن سبب ذلك.

ج:

هو ليس في كلّ العلماء، بل كثرته بين العلماء الذين يحصلون من وراء مراكزهم العلمية على المال والجاه، فالعلماء الذين حصلوا على العلم من أجل الحصول على المال والجاه هؤلاء هم الذين يكثر بينهم الحسد، فهم طلاب دنيا باسم الدين والعلم والعلماء.

س: قد يمرّ الحسد على الإنسان بصورة قهرية لسبب من الأسباب ولكن سرعان ما تذهب هذه الحالة، فهل يكون مأثوماً في هذه الحالة؟

ج:

قد لا يتخلص مطلق الإنسان من مرور مثل هذه الحالات في ذهنه أو في قلبه، فإذا رضا بها بحيث وجدت هذه الحالة استقراراً في قلبه وهو يعلم أنها باب الشر والحسد فقد حصل على الإثم، فالواجب عند حصول مثل هذه الحالات أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم لقهر هذه الحالة ومحوها من نفسه وقلبه.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا... إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؟

ج:

هذه الوحدات التي تمتلك بساطة الأداء وكثرة العطاء هي التي يؤكد القرآن عليها بين الحين والآخر مع كل نبي ولكل أمة ومجتمع وأفراد من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ارتباط بالله من خلال الصلاة وارتباط بالمجتمع الذي يعيش فيه الإنسان ويحيط به من خلال الإنفاق الذي يرسمه الله لعباده، فهو صورة من صور الرحمة التي يؤكد الله عليها لتزيد مؤدبها رحمة تفيض على الآخرين عنصر الرحمة والترابط والوحدة والتكافل الاجتماعي، فإذا كانت منهجية أهل الكتاب لا تزيد صدورهم إلا حقداً على الذين من غير نحلتهم، فإن منهجية الإسلام لا تزيد صدور المسلمين إلا رحمة وانشراحاً من خلال تطبيقهم لهذه الوحدات التي لا يعترها التغيير مهما تغير الزمن وتغيرت الظروف المحيطة بنا؛ لأنها تعكس التعبير الفطري لحركة الإنسان في الحياة، فعطاؤها عطاءً تربوياً روحياً أخلاقياً تمنع من انتقال عدوى الضغينة إلى الإنسان مهما كانت نحلته التي ينتحل إليها، وتزيده إصراراً على حب الآخرين، فهي تعطي ثمارها لكل الناس لا للقائم بها فحسب ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ﴾. هذا هو الأثر الاجتماعي في الحياة الدنيا.

وَأَمَّا أَثَرُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً فَعَطَاؤُهَا مَذْخُورٌ عِنْدَ اللَّهِ أَكْرَمَ  
الْأَكْرَمِينَ ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، ويحذر الله التاركين  
لهذه الوحدات العبادية كما يشوق المؤمنين بالتمسك بها ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ  
بَصِيرٌ﴾.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة: ١١١-١١٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:



١- البرهان: الدليل القطعي.

٢- أسلم: التسليم والخضوع والإخلاص الكامل.

٣- الوجه: ما يستقبل به الشيء وأشرفه.

٤- المحسن: الذي يصدر منه الإحسان، والإحسان ما زاد على العدل في الخير.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ

كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾؟

ج:

١- (هوداً) وليس اليهود، قد تكون فيها إشارة إلى الأصل النسبي، أي لا يدخل

الجنة إلا من كان يهودياً يرجع نسبه إلى هودا بن يعقوب، وقد يكون (هوداً)

قوماً من أقوام اليهود سابقاً قالوا بهذا القول ثم أصبحت بعد ذلك عقيدة يعتقد بها كل اليهود.

٢- ليس من الضروري أن تكون هذه الدعوى مذكورة بنصها في التوراة أو الإنجيل، ولكن بالنتيجة أنها اعتقاد يعتقد به اليهود والنصارى وهو إما أن يكون راجعاً إلى التحريف الذي أصاب التوراة والإنجيل، أو أنه عمل تثقيفي يقوم به علماءهم من خلال وسائلهم الإعلامية وتأليف الكتب بذلك.

٣- أن هذه الدعوى سواء توارثوها أو استحدثوها فهي دعوى تحتاج لقبولها والتصديق بها إلى دليل من الشارع؛ لأنَّ طريق الحصول على الجنة بيده ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لا بدعوى مجردة، وإلا تكون دعوى بلا دليل فهي كاذبة لا وجود لها إلا في عالم الأمنية والخيال ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

٤- الواضح من دعواهم هذه أن اليهود والنصارى يعيشون حالة التعامل السطحية الظننية العشائرية مع الأمور العقائدية، فلا يهتمهم إلا النسب والاسم والانتماء من دون النظر إلى صحة الارتباط بالله وأحقية الطريق إليه، وهذا بعكس توجه جميع الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه وما تدعو إليه.

٥- الدخول إلى الجنة أو عدم الدخول إليها بيد الله، وفي كيفية الدخول يحتاج إلى معرفة الله وصفاته وموازنه ومعرفة قوانين الجنة وطبيعتها التي جعلها الله لها، وعليه لا بد من معرفة هذين الميزانين، فإذا ادعى أحد بشيء وقد تنافى ادعاؤه مع أحد هذين الميزانين يكشف كون ادعائه بلا سند يستند عليه. وهنا نأتي إلى ادعاء اليهود أو النصارى في أن كون حصر دخول الجنة على اليهود فقط أو على النصارى فقط ينافي صفات عدل الله ورحمته، وينافي أهم قانون دخول

الجنة لكل من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً، فالمسألة ليست تقليداً أو ادعاءً فارغاً ولا اشتهاً ولا تمنياً.

٦- أن التعبير بالأمني مع أن الأمنية كانت واحدة وهي ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ قد يكون إشارة إلى ما يتفرع من هذه الأمنية عدة أمنيات ومباني وأغراض دينية، منها رغبتهم بالسيطرة على العالم وإن كان على حساب رؤوس الأبرياء؛ لأن الجنة مكتوبة لهم، وقس على ذلك ممّا يتفرع من هذه الأمنية، ولكن مهما تمنوا وخططوا سيبقى في عالم الأمنية وعدم التحقق كما يخبرنا الله.

س: ما هو المحتمل الذي يرد في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟



ج:

هذا هو الردّ على دعوى اليهود والنصارى، وهذا هو أحد أهمّ قوانين دخول الجنة لكل أحد مهما كانت هويته ومهما يحمل من عنوان، بل هذا هو التوجّه الربّاني في تربيته للناس منذ الزمن الأوّل للنزول ولجميع الأنبياء، وهو الإيمان بالله والتسليم الخالص له والكثرة في الإحسان والعمل الصالح، فإنّ العنوان الذي يحمله صاحبه مهما كان عالياً وضخماً وشريفاً ومقدّساً عند أهله ليس مهماً عند الله بقدر المعنون والمحتوى الجوهرى لما يقدمه الإنسان من العطاء المتعلّق بطاعة الله واليوم الآخر، فكثير من جبايرة الأرض أعطوا لأنفسهم عناوين كأسيّر المؤمنين والمعتصم بالله وعبد الله وغيرها ولكن من حيث وجهته إلى الأرض والسماء أنّه بعيد عن أبسط مقومات الإنسانيّة والعطاء لله، فالمطلوب العقلي والشرعي هو السخية العمليّة بين العنوان والمعنون، فإذا كان الإنسان يحمل العنوان الشريف المقدّس الذي منحه الله

للإنسان وقد سار عليه بما يملي عليه من التعاليم الحقّة فعندئذ ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فالاسم والعنوان الصالح وحده لا قيمة له عند الله إلا إذا لحقه العمل الصالح فتكون له قيمة كبيرة محفوظة لا يعثرها النقصان ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ وأنّ الثواب والعقاب يدور مدار العمل الخالص لله لا إلى العنوان فحسب سواء كان يهودياً أو نصرانياً أو مسلماً.

س: عندما ادّعى أهل الكتاب في هذه السورة آية ٨٠ بأنّ خلود لهم في النار فقد أجابهم الله في آية ٨١ بأنّ منهجيّته لخلود العاصي بالنار هو كلّ من كسب سيئة بحيث أحاطت به خطيئته، وفي هذه الآية أعني ١١١ عندما ادّعى أهل الكتاب بأنّ لهم الجنّة فقد أجابهم الله في هذه الآية بأنّ كلّ من أسلم وجهه لله وهو محسن من دون أن يقيّد الاستسلام أو الإحسان بشيء من الإحاطة، فما هو السبب المحتمل في ذلك؟

ج:

أنّ الخلود في النار هو درجة من درجات النار وأخطرها درجة وأتمّها فلا يدخلها إلا من أحاطت به خطيئته، فليس كلّ من دخل النار كان خالداً فيها، وهذا بعكس الجنّة التي كلّ من دخل فيها لا يخرج منها وكان خالداً فيها، ففي جميع درجات ومراتب الجنّة هناك خلود، وبما أنّ في تلك الآيتين كان الحديث عن الخلود في النار وفي هاتين الآيتين يكون الحديث عن أصل الدخول في الجنّة ومستحقّها فلا يحتاج إلى أكثر من أن يكون العبد مستسماً لله وهو محسن بأي درجة من الاستسلام والإحسان بحيث يستحقّ به الجنّة.

نعم، الإحاطة بالاستسلام لله والإحسان يكون من أجل الفوز بالمراتب العليا للجنّة ودرجاتها لا استحقاق في أصل الدخول إليها.

س: لماذا مثل الله بالوجه ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ دون بقية الجوارح والجوارح للجسم؟

ج:

هنا عدّة احتمالات:

- ١- وجه الإنسان أي ذاته، وقد استعمل القرآن الوجه في ذلك ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (التصوير: ٨٨).
- ٢- وجه الإنسان هو أشرف الأعضاء لحمله الدماغ الذي هو مركبة العقل والتفكير، فإذا أسلم تسلم جميع الجوارح والجوانح.
- ٣- أن من أبرز حالات التسليم لله ظاهراً هو السجود إليه سبحانه الذي يكون عن طريق وضع جبهة الوجه على الأرض، فـ (أسلم وجهه) أي سجد لله.
- ٤- وجه الإنسان هو ما يواجه الإنسان به الأشياء بأمامه من جميع الأعضاء الظاهرية والباطنية، فوجه الإنسان تعبير آخر عن مجموع مكونات الإنسان.

#### ● النية والقصد

س: ماذا تعطي هذه الجملة ﴿وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟

ج:

- ١- أن تكون النية خالصة لله في كل ما يسلمه الإنسان لله.
- ٢- ألا تكون النية الخالصة منفصلة عن العمل، فإنّ المشركين كانوا يتقرّبون إلى الله بواسطة الأصنام فلا سخيّة بين النية والعمل عندهم، فلا بدّ أن تكون النية خالصة لله مع عمل خالص لله وهو ما جعله الله حسناً وشرّعه على أنّه من الأعمال الحسنة.

س: كم طريقة يمتلكها الإنسان للتعبير عن نيته؟

ج:

ثلاث طرق للنية وهي:

- ١- اللسان، وهو التلفظ بالنية والنطق بها لساناً، ورد في الحديث: إني أريد التمتع بالعمرة إلى الحج فكيف أقول؟ فقال: تقول: «اللهم إني أريد التمتع بالعمرة إلى الحج على كتابك وسنة نبيك، وإن شئت أضمرت الذي تريد»<sup>(١)</sup>.
- ٢- الذهن، وهي إحضار صورة العمل مفصلة تفصيلاً كاملاً من أول الفعل إلى آخره في الذهن.
- ٣- القلب، وهو حضور الداعي لها بأن يركز الباعث نحو التكليف في النفس أو القلب ارتكازاً إجمالياً.



س: ما هو الحكم الشرعي المتعلق بالنية في العمل؟

ج:

العمل على قسمين:

- ١- العمل العام: وتقصد به عامة الوظيفة والكدح وأنواع صنوفه ومختلف المهن التي يقوم الإنسان بها في حياته اليومية، وهذا لا يشترط فيه نية القربة إلا من الباب الأخلاقي في أنه كلما قدم الإنسان على عمل أن يقصد فيه القربة إلى الله باعتبار أن أي خطوة يخطوها الإنساناً تخرج دائرة السعي عن القرب إليه سبحانه، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ليكن لك في كل شيء نية»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ٤: ٣٣٢/٣.

(٢) وسائل الشيعة ١: ٤٨/٩٠.

٢- العمل الخاصّ: ونقصد به الوظيفة والعمل الذي للشرعية دخل في تعيينه وتشريعه وجعلته عبادة، وهو على قسمين:

الأول: العمل العبادي التوصلّي، ونقصد به العمل الذي جعلته الشرعية عبادة ولم تشترط فيه نيّة القربة، وسمّي بالتوصلّي لأنّه مطلق ممّا يتوصّل العبد من خلاله إلى الله، ويراد منه وجه الله من دون شرط حضور النيّة والانتباه إليها أثناء العمل، مثل الجلوس في المساجد والمشاهد المشرفة والإنفاق والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن والدعاء وتركات المعاصي عند مواجهتها، وغيرها من الأمور التي جعلتها الشرعية عبادة ولم تشترط فيها النيّة، بحيث لو لم تنوّل لم يبطل العمل ولم ينقص منه شيء وأنّه صحيح ومقبول عند الله. نعم، من الناحية الأخلاقية أن يجعل المؤمن كلّ عمل عبادي يقوم به بقصد القربة كما قلنا سابقاً.

مركز تحقيقات كاتپور علوم اسلامی

الثاني: العمل العبادي التعبدي، ونقصد به العمل الذي جعلته الشرعية عبادة وشرطت فيه وجود النيّة وحضورها والتنبيه إليها سابقة على العمل أو مقارنة له سواء كان واجباً أو مستحباً، كالصلاة ومناسك الحجّ والصوم والوضوء وغير ذلك ممّا شرطت الشرعية فيه نيّة القربة.

س: لماذا هذا الاهتمام بالنيّة والتأكيد عليها من قبل القرآن الكريم والسنة النبوية؟

ج:

النيّة: هي إرادة تفعل في القلب، فالنيّة تكشف عمّا يريد الإنسان ويقصده داخلياً في قلبه، ومصبّ الأعمال العبادية التي جعلها الله من أجل جلاء القلب

وتطهيره من الأنانية والدوافع الشخصية والمصلحة الذاتية ومطلق الهوى، فإنَّ عمل الإنسان من حيث الدافع ينقسم إلى قسمين:

الأول: ما يندفع فيه لأجل وجود نفع يعود عليه ومصلحة شخصية تدعوه إليه، وأنَّ تلك المصلحة لا تتحقَّق إلاَّ بسعيه وكدحه، وهذا ما يمثل أكثر المكاسب والأعمال والمصالح والمهن القائمة في دنيا الحياة.

الثاني: ما يندفع فيه لا لأجل وجود نفع يعود عليه شخصياً، بل لتحقيق هدف أكبر يشمل غيره وغير تلك المجموعة التي يصدر منها العمل، فهو عمل من أجل الغير الذي يبذل فيه الإنسان الجهد والعناء الأكثر من دون أن يحقَّق له مكسباً شخصياً كالمواساة والإيثار والدفاع عن الدين والبلاد واكتشاف علل الأمراض وأدويتها وصنع ما يسهِّل للإنسانية حركتها في العالم، وغيرها من الأمور التي لا تعود من خلالها مصلحة على القائم بعملها.

والإسلام يريد من الإنسان أن يسعى في القسمين بصورة متوازنة، ففي القسم الأول لا يحتاج إلى مزيد اهتمام وتسليط ضوء وعامل تربوي كما يحتاجه القسم الثاني لهذه الأمور؛ لأنَّ في وجود العقل وواقع الحياة كفاية في تحصيل القسم الأول، فإنَّ الذي لا يكدح ولا يسعى لسدِّ حاجته لا تسدِّ ولا تقضى حاجته، وأمَّا القسم الثاني هو الذي يحتاج إلى تهذيب وتربية وتنمية ومزيد اهتمام؛ لأنَّ يسير في الاتجاه المعاكس لميل النفس وهواها التي تندفع إلى ما فيه الأنانية والجشع والمصلحة الشخصية والنفع الملموس.

هنا وضع الإسلام النية لله وقربة له ولوجهه وفي سبيله لينمي هذا النوع من الدافع الشمولي للإنسانية التي تحتاجها من الفرد في كثير من مواقفها، فإنَّ الإسلام



حين وجّه دافع العمل إلى الله معناه قد وجّهه للإنسانية؛ لأنّ الله غني عن العباد، بل هو الغني المطلق.

وبهذا أصبحت النية من العوامل التربوية الضرورية التي يضمن من خلالها اهتمام الإنسان بالدافع الثاني الذي من خلاله تظهر قيمة الإنسان وإنسانيته، وألزم الله الإنسان بعمل ليضع فيه النية موضعها المهم فيه وأسماء العبادة ليمارس من خلالها العمل الذي يعمّر الإنسان على التجريد من الذات والتفكير بها ويظهر من خلاله الدافع عن أيّ شائبة أنانية تحاول أن تمتزج مع الدافع، وعلى هذا ربّى الإسلام عناصره المؤمنة التي ملؤها الإيثار والمواساة والتضحية بالنفس في ساحات الجهاد وأكثرها اهتماماً بالفقراء واليتامى وهداية الناس وغيرها من الأمور التي لا تعود على صاحبها إلا كثرة في العناء وبذلاً في الجهد.

ولهذا تجد الإسلام لا يقبل العمل الصادر من الفرد حتّى لو كان نتاجه إنسانياً وكان بدافع المصلحة الشخصية والأنانية الذاتية؛ لأنّ الدافع عندما لا يترتب ولا يتنظّم ولا يجري قرينة إلى الله سوف يجري في الحالتين المتضادتين للإنسانية لاشتراكهما في نفس الدافع، فإذا انفصل عمل الإنسان عن هذه النية وهذا الدافع فلا يفرّق عند الإنسان بين أن يصنع الدواء المشافي بدافع حبّ الشهرة وبين أن يصنع البارود القاتل لحبّ الشهرة، فإنّ في الحالتين يكون الباعث والدافع لهذا العمل هو غير وجهته الإنسانية والهدف العامّ الشمولي الخارج عن الذات والمصلحة الشخصية ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: ٥)، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ (الليل: ١٩-٢٠).

س: ماذا تتحدّث الروايات عن النية؟

ج:

- ١- في الحديث القدسي: «مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتَهُ لِشْرِيكَ»<sup>(١)</sup>.
- ٢- ورد عن الرسول ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.
- ٣- ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «النِّيَّةُ أَسَاسُ الْعَمَلِ»<sup>(٣)</sup>، وعنه أيضاً: «الأعمال ثمار النيات»<sup>(٤)</sup>.
- ٤- ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «لَا عَمَلَ إِلَّا بِالنِّيَّةِ»<sup>(٥)</sup>.
- ٥- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَنْوِي مِنَ الْخَيْرِ مَا لَا يَدْرِكُهُ، وَنِيَّةُ الْكَافِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكَافِرَ يَنْوِي الشَّرَّ وَيَأْمَلُ مِنَ الشَّرِّ مَا لَا يَدْرِكُهُ»<sup>(٦)</sup>.
- ٦- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَطَيَّبَ لِلَّهِ تَعَالَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ الْأَذْفَرِ، وَمَنْ تَطَيَّبَ لِغَيْرِ اللَّهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرِيحُهُ أَنْتَنٌ مِنَ الْجَيْفَةِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) عوالي اللآلي ١: ٦٢/٤٠٤.

(٢) المستدرک ١: ٥٧/٩٠.

(٣) غرر الحكم: ١٦٢٤/٩٣.

(٤) غرر الحكم: ١٦٢٢/٩٣.

(٥) الكافي ٨: ٣١٢/٢٣٤.

(٦) وسائل الشيعة ١: ١٠٩/٥٤.

(٧) المحجبة البيضاء ٨: ١٠٥.

٧- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله تعالى أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ قال: يعني على نيته» (١).

٨- ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا كان يوم القيامة، ينزل إلى العباد ليقضى بينهم، وكل أمة جاثية، وأول من يدعى به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله تعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يارب، قال: فإذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناً الليل وآناً النهار، فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، وقد قيل ذلك.

فيؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يارب، قال: فإذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله عز وجل كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله تعالى له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله عز وجل له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك» (٢).

(١) الكافي ٢: ٥/٨٥.

(٢) كنز العمال ٣: ٧٤٦٩/٤٦٩.

س: قد ذكرتم في الرقم (٥) رواية نية: «المؤمن خير من عمله». كيف يكون ذلك؟

ج:

النية إما أن تكون مجردة عن العمل أو ملازمة له:

١- إذا كانت النية مجردة عن العمل، فهذا لا يعني أنها من دون لحاظ العمل ومنفصلة عنه، بل إن هذه الحالة تعني عندما يهيم الإنسان المؤمن بعمل الخير وكانت نيته خالصة لله ولم ينجزه ولم يوفق إليه وإنما حصل مانع في إنجازها، فهنا أن ما هم به كان خيراً وطاعةً وأنه الخطوة الأولى النابعة من كبح هوى النفس التي كوّنت العمل باختياره وإرادته، وما دور العمل إلا مكمل لمجموع العمل المركب من النية، أي الإرادة والفعل. فهنا حتماً تكون خيراً من عمله وإن حصلت مجردة من دون فعل لعدم التوفيق له. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَتْ لَهُ حَسَنَةً» (١).

٢- إذا كانت النية قد رافقتها العمل وقد وفق له، فهنا النية خير من العمل باعتبار أن النية التي تصدر من خصوص المؤمن للعمل وخصوصاً العبادي منه فهو ينوي تمام العمل وبأن يؤديه على أحسنه وأن يكون ممّا يرضاه الله... وهكذا، والعمل ليس كذلك فإنه يأتي وهو يحمل الشيء القليل ممّا نواه حيث الغفلة والنسيان والصور الذهنية المتشعبة ممّا يصعب المحافظة على صورة مانوا، وبهذا تكون نية المؤمن خيراً من عمله، فلو راجعت نفس الرواية تجد هذا المعنى واضحاً فيها.

٣- كل عمل مركب من نية وفعل؛ لأن النية هي نتاج الباعث والمحرك لإرادة الفعل، وبهذا نعرف أنه كما أن العمل فعل فالنية فعل، فإذا كان العمل والنية صدرا من المؤمن في الخير فكما يكون الفعل طاعة فالنية كذلك وكل له حسابه، فيكون المعنى أن النية خير وأنها جزء مستقل من العمل.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن معنى الحديث أنه قال: «لأن العمل رياء المخلوقين والنية خالصة لرب العالمين، فيعطى على النية مالا يعطى على العمل»<sup>(١)</sup>.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾؟

ج:

عندما قالت اليهود والنصارى: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾، لا يتصور أحد أنهم متفقون وأن دعواهم هذه قد انطلقت من باب الوحدة بينهما، بل بين اليهود والنصارى اختلاف وصراع واسع بحيث يتهم أحدهما الآخر أنه ليس على شيء من الحق، وأنه لم يمتلك شيئاً من السماء اسمه الدين، وهذا النوع من الاتهام يقطع أي صلة بين الأديان بحيث يمنع وجود عنصر مشترك بينهما يمكن أن يلتقيا عنده بحوار وتلقيح أفكار، وهم بين أيديهم الكتاب من التوراة والإنجيل

(١) علل الشرائع ٢: ١/٥٢٤.

الذي لا ينفي أحدهما الآخر، بل التوراة تبشّر بعيسى والإنجيل يقرّ بالدين السابق عليه، بل التوراة كان يحملها عيسى فترة من حياته ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ (الصفا:٦).

بينما نجد الأمة الإسلامية تقرّ بالأنبياء السابقين وكتبهم بحيث تجعل جميع الأنبياء وحدة واحدة وجميعهم وما نزل عليهم هو منزل من الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة:٤)، وهذا لا يعني أن الأمة الإسلامية ليس عندها اختلاف مع اليهود والنصارى، أو أنها تقرّ بما هو موجود عندهم من المحرّفات، كلا بل تختلف معهم وتدعوهم إلى الإسلام عن طريق الرجوع إلى كتبهم الحقّة والالتزام بها ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (المائدة:٦٨)، فالأمة الإسلامية مطمئنّة بحصول الوحدة العقائدية بين أهل الكتاب جميعاً لو رجع كلّ إلى كتابه الذي أنزل من الله، وعندها سيجدون أن كلّ كتاب يعترف بنبوّة الأنبياء السابقين ويبشّر بالأنبياء اللاحقين وسيجد الكلّ إنّ محمداً ﷺ موجود عندهم في التوراة والإنجيل ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ (الأعراف:١٥٧).

فناصر الوحدة واللقاء موجودة بين أهل الكتاب، ولكنّ الظاهر أنّهم لا يلتقون عليها ويبقى الاختلاف بينهم إلى نهاية حركة الإنسان على الأرض ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، وأنّ حالة الصراع بين الأديان حالة قديمة قبل التوراة ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ لوجود الشيطان وهوى

النفس والحسد والعصبية والعناد والغرور ودخول المنتفعين ومحبي السلطة، كل هذه العوامل وغيرها تكون مانعاً من أن يلتقي أصحاب الديانات على طاولة الوحدة العقائدية للخروج بعقيدة واحدة تجمعهم.

س: أرجعتم قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ إلى أصحاب الأديان الأخرى قبل التوراة، هل توجد احتمالات أخرى لذلك؟  
ج:

١- هو قول عوام اليهود وعوام النصارى الذين اتبعوا تقليد علمائهم بمسألة الدخول إلى الجنة وغير ذلك من الأكاذيب.

٢- مشركوا عرب الجاهلية حيث كذبوا وادّعوا وعارضوا من دون دليل وإسناد على حجة، فهم يلتقون مع أهل الكتاب فيما يدعون.

٣- كل من ادعى شيئاً متعلقاً بعالم الغيب والشهادة في حالة إثبات أو نفي من دون دليل وبرهان قطعي فهو قول بدون علم كما هم اليهود والنصارى الذين يدعون بأشياء كثيرة من دون علم.

س: لقد ذمَّ الله قول اليهود؛ لأنهم قالوا للنصارى: ليست النصارى على شيء، وذمَّ الله النصارى؛ لأنهم قالوا لليهود: ليست اليهود على شيء، بينما نجد أن الله قد قال لهم نفس الكلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (المائدة: ٦٨)، مع أنهم على وجود شيء وهو الإيمان بالله ونبوة موسى ونبوة عيسى بالنسبة للنصارى؟

ج:  
هناك فرق بين ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ التي أطلقها اليهود والنصارى بعضهم

ضدّ بعض وبين قول الله بها عليهم، ومن جملة الفوارق:

أولاً: أن الذي أطلقه اليهود على النصارى بأن أدلتكم على وجود الإنجيل والنبي عيسى خالية من الصحة، والذي أطلقه النصارى على اليهود بأن أدلتكم على وجود توراة موسى بأيديكم خالية من الصحة والصدق، وبالتالي أحدهما ينفي ما موجود بين يديه، بينما نجد الله سبحانه وتعالى قد أثبت التوراة والإنجيل، فإن ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ تنتهي ﴿حَقُّ تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ فلو كان لجملة انتهاء الغاية مفهوم لصار التعبير هكذا: (إذا أقمتم التوراة والإنجيل فإنكم على شيء)، فهي قد استبطنت شيئين: الأول: أن الاثنين على شيء. الثاني: أن لكل واحد منهما كتاباً منزلاً من الله تعالى وله دلائله الصادقة.

ثانياً: لستم على شيء أي لم يبق لكم شيء من الدين إذا لم تقيموا التوراة والإنجيل حتى لو كنتم تملكون الإيمان بالله وذلك ترى

١- أن إنكار نبوة نبي معناه إنكار ضرورة من ضرورات الدين وتكذيب لله فهو كفر.

٢- أن إنكار رسالة رسول إنكار للنبوة وتكذيب لله، وهو ضرورة من ضرورات

الدين والمنكر لها كافر.

٣- أن الإيمان بالله لا يستقيم إلا بإقامة الرسالة والرجوع إليها لما فيها من ترشيد

العقل إلى دلائل الله والتعريف بذاته، فعندما ترك اليهودي توراته أشرك بالله

حيث جعل عزيزاً ابن الله، وعندما ترك النصراني الإنجيل جعل عيسى ابن الله،

وهو عين الشرك كما ترى.

٤- الإيمان بالله لا يكون إلا بطاعته، وطاعته لا تكون إلا بالالتزام بأوامره المذكورة

في التوراة والإنجيل، فلا يحصل اليهود على الإيمان بالله إلا عن طريق إقامتهم



للتوراة والعمل بها والنصارى كذلك.

٥- أن ترك إقامة التوراة والإنجيل معناه أن اليهودي أو النصراني قد عرض نفسه إلى أعمال قد تحبط بجميع إيمانه ويأتي إلى الله وليس عنده ما يملكه لآخرته.

٦- الدين الجديد قائم على وجوبين: الإيمان به، ونسخ ما قبله، فمنكر الاثنين كافر مصيره النار، واليهود والنصارى عندما آمنوا بدينهم قد اتبعوا نفس الوجوبين، وهم الآن مدعوون لأن يتبعوا نفس الوجوبين بإيمانهم بنبوة محمد ﷺ وبالقرآن، وإلا مصيرهم جهنم وليسوا على شيء، وإذا لم يدعونا لهذه الحقيقة فليراجع كل كتابه المقدس فسيجد أن محمد ﷺ وصفاته وقرآنه مذكور بين التفصيل والإجمال.



مركز تحقيقات کامپوٹر علوم اسلامی

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ • وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٤-١١٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- الخزي: الإهانة والانكسار.

٢- التولي: ١- الذهاب بسرعة. ٢- الإقبال والتوجه.

٣- ثم: أداة تستعمل للمحل البعيد المكاني وغيره.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

• المساجد أماكن عبادة ومنطلق للعمل

س: ما هي المحتملات الواردة في ما هو المراد من ﴿مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ في هذه

الآية؟

ج:

١- بيت الله الحرام، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنها نزلت في قريش حين

منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول مكة» (١).

٢- مطلق المساجد.

٣- عباد الله المخلصون العابدون الذين أصبحوا مظهرًا من مظاهر آيات الله في عبادتهم وهم لا يستخدمون مساجدهم وهي الأعضاء السبعة إلا الله التي لا يستعملها الظالمون ولم يلتجؤا إليها إلا عند الخوف، ويكون منع عباد الله عن ذكر الله هو تشتتهم وهجرتهم من بلاد إلى أخرى، وأعانهم الله بأن وسع عليهم جهة الكعبة ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ليستمروا في عبادتهم أين ما حلوا لينشروا من خلالها الإسلام في ربوع العالم أجمع.

ولكن وإن كان هذا الرأي من باب الاستعارة والمجاز إلا أنه بعيد المراد وخصوصاً في هذه الآية لاحتياجه إلى أكثر من تأويل مغل.

٤- مطلق الأرض، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «جُعِلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»<sup>(١)</sup>.

٥- بيت المقدس، ورد عن ابن عباس أنه قال في نزول الآية: «نزلت في الروم، لأنهم غزوا بيت المقدس، وسعوا في خرابها»<sup>(٢)</sup>.

س: اذكر الاحتمالات في بيان سبب الذي يسعى إلى منع ذكر الله في المساجد وتخريبها يكون أكثر ظلماً من غيره من ظلمة الأرض.

ج:

أولاً: أن المساجد هي حق الله وحده ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨)، فالمنع والتخريب يُعتبر تحدياً لله بصورة مباشرة.

ثانياً: أن المساجد هي حق الناس في أن يمارسوا طقوسهم العبادية فيها، فالمنع

(١) الفقيه ١: ٢٤٠/٧٢٤.

(٢) البحار ٢٠: ٣١٩.

والتخريب هو منع لحق إنساني.

ثالثاً: أن المساجد أحد القنوات المهمة لذكر الله وعبادته من قبل الناس، فالمنع والتخريب هو منع وتخريب لعبادة الله في الأرض الذي هو غاية الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذريات: ٥٦)، فالمنع والتخريب هو حرب ضد غاية الله وهدفه من خلق الإنسان واضطهاد عقائدي واضح.

رابعاً: أن المساجد مشروع إلهي لتربية الأمة من صنع الجو الروحي فيها والتعارف الذي يحصل بين الناس من خلالها ومن حل مشاكل الناس وغيرها من عوامل الخير المهمة التي يقوم المسجد في أدائها، فالمنع والتخريب هو ضد المشروع الإلهي المهم الذي يدخل في دنيا الناس وآخرتهم.

خامساً: أن المساجد هي أحد المراكز الحيوية المهمة في الإسلام التي ترفد الشارع الإسلامي بالدماء الجديدة من الكادر الإسلامي، فالمنع والتخريب هو منع لهذا الرغد، وبالتالي تضعيف الشارع الإسلامي من وجود المؤمنين ومظاهر الإسلام فيه.

سادساً: أن المساجد تعتبر في الإسلام من المراكز لنشاط المسلمين، وتجمع عملهم لهداية الناس وإرشادهم، وإعلامهم بالمستجدات التي تحيط بهم، وتنطلق منه أعلام الجهاد، وتقام فيها دروس علوم الشريعة، ومنها تنطلق الأعمال العبادية السياسية وغيرها من الأمور التي رسمها الله لأن يكون إيقاعها في المسجد، فالمنع والتخريب معناه محو أهم مركز من مراكز نشاط المسلمين.

سابعاً: أن منع وتخريب المساجد معناه استبدال حركة الإيمان بحركة الكفر والإلحاد وفساد للشارع الإسلامي، فإن تخريب محل للخير معناه حصول فراغ في

ساحة الخير لا يملؤها إلا الشر، وهذا المعنى ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَكُفِّرْ بِهِ  
وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٧).

س: ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ  
أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا  
خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؟

ج:

أن أي حركة مضادة للمسجد من منع رواده أو تعطيل عمله أو تخريب إنشائه  
من قبل أي إنسان كتب الله عليه الأمور التالية:

- ١- أنه ظالم من الدرجة الأولى للظلم (أظلم).
- ٢- إذا أراد أن يدخل المساجد للتمويه على الناس أو لكسب بعض المغفلين ليظهر  
بمظهر العابد المؤمن أمامهم فإنه لا يدخلها إلا مع حراسه خائفاً من المسلمين  
﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ كما نشاهده اليوم من بعض الحكام  
الظلمة للدول الإسلامية والإسرائيليتين وهم يدخلون البيت المقدس.
- ٣- لم يكتب لعملهم النجاح في حياتهم ولم ينتهوا إلا بذل ولم يخلدوا بعد مماتهم  
إلا باللعن ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.
- ٤- أن يكون لهم عذاب خاص وهو من النوع العظيم مذخور لهم يوم القيامة  
﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في أن من هم الذين لا يدخلون المساجد إلا وهم خائفون؟

ج:

- ١- مطلق الذين منعوا المساجد وسعوا في خرابها.
- ٢- مشركو العرب الأوائل حيث منعوا الرسول ﷺ ومن معه حتى هاجروا، وقد فتحها الرسول ﷺ، وبعد فتحه دخله المشركون خائفين ذليلين.
- ٣- الإسرائيليون حيث يدخلون المسجد الأقصى بين الفترة والأخرى ولا يدخلوه في كل مرة إلا وهم خائفون فلا استقرار لهم في المسجد الأقصى.

س: ما هي أهمية المساجد عموماً في آيات الذكر الحكيم؟



ج:

- ١- جعلها وسمّاها الله بيتاً له، ﴿أَنْ طَهَّرَ بَيْتِي﴾ (البقرة: ١٢٥).
- ٢- اختصاصها بالله وحده من حيث الذكر، فكل قول أو فعل له ارتباط بالله فهو المسموح به دون الحالة المضادة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن: ١٨).
- ٣- أمر الله المؤمنين بالذهاب إليها وحبب التجمع فيها، وألا يفرقوا بين المساجد، وأن جميعها يجب أن تكون محيية بنشاط المؤمنين في حركتهم وعبادتهم، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩).
- ٤- أمر الله الناس بأن يرتدوا أحسن الملابس عند الذهاب إليها ليعيشوا الاحترام والتقديس المتميز للمسجد، وأنهم على لقاء مع الله في بيته، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف: ٣١).

٥- جعل الله المساجد كأهم مركز لحصول التقوى وتطهير النفس من الرذائل وسمو في الروح من المس المادي في دنيا المادة، قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

٦- جعل الله المنع للدخول إليها أو السعي لخرابها كالشرك بالله، حيث الشرك أعظم الظلم والمنع والسعي لخرابها كذلك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ (البقرة: ١١٤).

٧- كثير من فعل المباحات متروكة في المساجد احتراماً وتقديراً للمساجد، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ (البقرة: ١٨٧).

٨- يمنع أن تعمر إلا بأيدي طاهرة قلباً وقالباً، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (التوبة: ١٧-١٨).

٩- أمر الله المسلمين في أن يشتركوا في رفع المساجد وعلو شأنها وأن تكون هي المحور المكاني الذي يلتجئ إليه المؤمن ومستوعباً لأكثر وقته، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (النور: ٣٦).

س: ما هي أهميّة المساجد في لسان الروايات؟

ج:

١- في الإتيان إلى المساجد، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «في التوراة مكتوب: إن بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي، ألا إن على المزور كرامة الزائر، ألا بشر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

٢- في بناء المسجد، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»<sup>(٢)</sup>.

٣- عمارة المسجد بالالتزام بقوانينه وآدابه، ورد عن أبي ذر عليه السلام أنه قال: قلت: يا رسول الله، كيف تعمّر مساجد الله؟ قال ﷺ: «لا ترفع فيها الأصوات، ولا يخاض فيها بالباطل، ولا يشتر فيها ولا يباع وأترك اللغو مادمت فيها، فإن لم تفعل فلا تلومن يوم القيامة إلا نفسك»<sup>(٣)</sup>.

٤- الجلوس في المسجد، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الجلوس في المسجد انتظار الصلاة عبادة ما لم يحدث» قيل: يا رسول الله، وما يحدث؟ قال: «الاغتياب»<sup>(٤)</sup>.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الجلسة في المسجد خير لي من الجلسة في

(١) الفقيه ١: ٢٣٩/٧٢٠.

(٢) الكافي ٣: ١/٣٦٨.

(٣) إعلام الدين: ١٩٨.

(٤) الكافي ٢: ١/٣٥٦.



الجنة، فإن الجنة فيها رضا نفسي، والجامع فيه رضا ربي»<sup>(١)</sup>.

٥- صلاة جار المسجد، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، إلا أن يكون له عذر أو به علة»، فقيل: ومن جار المسجد يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: «من سمع النداء»<sup>(٢)</sup>.

٦- من ثمرات الارتياح على المسجد، ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أدمن إلى المسجد أصاب الخصال الثمانية: آية محكمة، أو فريضة مستعملة، أو سنة قائمة، أو علم مستطرف، أو أخ مستفاد، أو كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى، أو ترك الذنب خشية، أو حياة»<sup>(٣)</sup>.

٧- الملبس الطاهر والجميل عند دخول المسجد، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن علي بن الحسين عليه السلام استقبله مولى له في ليلة باردة وعليه جبة خز ومطرف خز وعمامة خز وهو متغلف بالغالية، فقال له: جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة إلى أين؟ قال: فقال: إلى مسجد جدِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب المحور العين إلى الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>.

٨- يشترك في تنظيفه الرفيع والوضيع، ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كنس المسجد يوم الخميس ليلة الجمعة فأخرج منه من التراب ما يذر في العين غفر الله له»<sup>(٥)</sup>.

(١) إرشاد القلوب ٢: ٢١٨.

(٢) المستدرک ٣: ٣٥٦/٣٧٦٧.

(٣) الفقيه ١: ٢٣٧/٧١٣.

(٤) الكافي ٦: ٥١٧/٥.

(٥) الفقيه ١: ٢٣٣/٧٠٠.

٩- الاهتمام بإنارة المسجد، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ أَسْرَجَ فِي مَسْجِدٍ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ سَرَاجاً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَا دَامَ فِي ذَلِكَ الْمَسْجِدِ ضَوْءٌ مِنْ ذَلِكَ السَّرَاجِ»<sup>(١)</sup>.

١٠- للمسجد تحية وسلام، ورد عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس فقال لي: «يا أبا ذر، إنَّ للمسجد تحية»، قلت: وما تحيته؟ قال ﷺ: «ركعتان تركعهما...»<sup>(٢)</sup>.

١١- القصد إلى المسجد قصد لزيارة الله واللقاء به، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَدْ زَارَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَحَقَّ عَلَى الْمَزُورِ إِكْرَامُ زَائِرِهِ»<sup>(٣)</sup>.

١٢- الاهتمام بالحضور في المسجد وأداء دوره بشكله الصحيح والشرعي هو جهاد للنفس وجهاد في سبيل الله، ورد في خبر عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لِيَذْكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ لِاسْتِئْجَانٍ أَوْ لِذِكْرٍ بِهِ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

س: هل للمسجد دور في غير إقامة الصلاة فيه؟

ج:

١- الوعظ والإرشاد، حيث الرسول ﷺ والأئمة الأطهار كانت خطبهم لصلاة الجمعة وغيرها تقام في المسجد.

٢- الدروس العلمية، حيث كان الرسول ﷺ والأئمة الأطهار يقيمون الدروس في المسجد.

(١) التهذيب ٣: ٧٣٣/٢٦١.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ٦٤٦١/٢٤٧.

(٣) التحفة السنية: ٧٥.

٣- الحركة السياسيّة، حيث الرسول ﷺ والأئمة الأطهار كانوا ينقلون للناس آخر التطوّرات السياسيّة وأحداثها والدعوة إلى القتال في المسجد.

٤- الحركة الجهاديّة، حيث كانت بعض سربا المجاهدين تنطلق من المسجد في عهد رسول الله ﷺ وعهد بعض الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٥- مجمع للندوات الفكرية، حيث كان الرسول ﷺ والأئمة الأطهار يعقدون المناظرات والردود والمحاورات في المسجد مقابل أيّ انحراف فكري يشغل الساحة الإسلاميّة من خلال خطب الجمعة وغيرها.

٦- ملتقى الوفود الخارجيّة، حيث وفد نجران وأبو سفيان وغيرهم كانوا يأتون إلى



المسجد للمحاورّة مع النبي ﷺ.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ... إِنَّ

اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج:

١- اللام هنا (الله) لام الملك، ملك الله يعني الملك الحقيقي، ملك الله يعني لا يبطله شيء، ملك الله يعني إحاطته بجميع ما يملكه، ملك الله يعني نفوذ ملكه في ذات الشيء الذي يملكه، ملك الله يعني سلطته على جميع أسبابه، ملك الله يعني له أن يتصرّف بما هو خارج عن القانون، ملك الله يعني أنّه يملك زمن الأشياء وأشياء الزمن، ملك الله يعني أنّه يملك جهات الشيء، ملك الله يعني أنّ الشيء المملوك قائم بالله المالك.

٢- (المشرق والمغرب) الشمس هي من أهمّ الأسباب لحدوث الزمن وتعيين الجهة، فبشروطها حدّد الوقت والجهة، فالمشرق هو جهة شروق الشمس، والمغرب هو

جهة غروب الشمس، والشمس في حركتها تابعة لمنظومة الكواكب المحيطة بها كما أن الكواكب تابعة في حركتها إلى وجود الشمس، فهي منظومة واحدة في وجودها ونظام حركتها؛ ولهذا يطلق عليها المنظومة الشمسية، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٤٠)، والشمس تشرق على جميع الكواكب المحيطة بها، فهي تكون بذلك مجموعة من المشارق كما أن في حركة الكواكب حول نفسها وحول الشمس تكون مجموعة من المغرب ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ (المعارج: ٤٠).

وأما الأرض ففيها نوعان من تحديد جهة المشرق والمغرب أحدهما يعتمد على شروق الشمس وغروبها بصورة مباشرة، والآخر في بعض مناطق الأرض ليس فيها شمس فتحدّد جهة المشرق والمغرب فيها اعتماداً على الحسابات الرياضية ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن: ١٧)، والجهات الثابتة المحيطة بالأرض هي أربعة، وخصّ الله المشرق والمغرب دون ذكر غيرها؛ لأنّ أساس تعيين أي جهة قائم على الشمس من حيث شروقها وغروبها أولاً وقبل كلّ شيء، فتعيين الجهات الأربعة قائم عليها، فالمتوجّه إلى المشرق والمغرب هذا يعني أنّ تعيين أيّ جهة أصبحت معروفة عنده سهلة المؤونة، وعليه يكون قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، هي بنفس قوّة ولله الجهات جميعاً، بل وأقوى؛ لأنّ اختصار القول على المشرق والمغرب يستبطن الكشف والإخبار الغيبي عن كيفية تعيين الجهة.

٣- ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

أولاً: أينما تذهبون وأينما تحلّون فالله محيط بكم؛ لأنّ الله هو الواسع المطلق

الذي لا يحدّ سعته شيء ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع بذاته وواسع بعلمه بمقاصدكم وعملكم وما يحيط بكم ومطلق الأشياء من الداخل والخارج، فلا تحدّه أي جهة من الجهات.

ثانياً: أينما تريدون فعل العبادة والصلاة التي من شروطها استقبال وجه الله من خلال استقبال القبلة والكعبة فبإمكانكم ذلك عن طريق تعيين المشرق والمغرب للمنطقة التي تحلّون بها، فلو كانت المساجد ليس الغرض منها إلاّ التعبّد للصلاة لما كان هناك حاجة إليها؛ لأنّ كلّ مكان يفني بذلك ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا قَمَّةَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، فهدف المسجد ودوره أكبر من ذلك.

ثالثاً: أينما تذهبون بعيداً عن الكعبة وتريدون فعل العبادة والصلاة وقد كان صعب عليكم أن تعيّنوا جهة القبلة، فالجهات كلّها عند الاضطرار قبلة لكم ووجه الله موجود واستقباله لكم واستقبالكم له فعلي.

رابعاً: أنّ منع إقامة الصلاة في المساجد أو السعي إلى خرابها لا شك ولا شبهة أنّها مؤامرة من قبل الظالمين ضدّ الإسلام والمسلمين اعتقاداً منهم أنّهم يقضون على عبادة الناس لله، وبهذه التوسعة في جهة القبلة أفضلت كلّ المؤامرات التي تسير بهذا الاتجاه؛ لأنّه بعد هذه التوسعة في جهة القبلة من قبل الله بإمكان المصلّي إقامتها في كلّ بقعة من بقاع العالم، بل بهذه التوسعة أصبح نشر الدين الإسلامي عن طريقها أكثر انتشاراً في العالم، ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: ٣٠).

خامساً: أنّ اليهود قد علّلوا باستقبالهم لبيت المقدس عدّة تعليقات: منها أنّ الله قد ارتفع إلى السماء من الصخرة، أو أنّ تاريخ البيت لهم فهو الأولى بالتوجّه

إليه، كما أن النصارى علّلوا استقبالهم جهة المشرق أنها مولد عيسى ﷺ. هذه التعليقات وغيرها سوف تعطي للجهة أكثر مما تستحقّ حيث بالتعليل سوف تدخل الجهة كجزء مقصود بالذات في العبادة وهذا هو عين الشرك، بينما المراد من الجهة في العبادة هي جهة استقبال لحاجة الإنسان إلى جهة يستقبلها في عبادته وليس لها أي قيمة غير ذلك في العبادة، فهي لم تقصد في العبادة لا بالذات ولا بالعرض، فلو كانت الجهة تقصد في العبادة بأي قصد فما هو الفرق بين بقية الجهات التي تحمل وحدة الملاك في أنها كلّها لله وتمثّل وجهه؟! مع أن المراد من العبادة هو التسليم المطلق لله وحده مجرداً عن أي توجّه وجهة لغيره سبحانه وتعالى.

سادساً: (وجه الله) عبارة أخرى عن القصد والنية والتقرب إلى الله من قبل المؤمنين به، فأينما تبتعدوا في مشارق الأرض ومغاربها في أرضها وسمائها فلا مشكلة في ذلك، فإنّ تعيين القبلة ممكن وحصول القرية حاصل وأنّ الله قريب، بل هو أقرب إليكم من أنفسكم، فلا مانع للتقرب لله الذي هو موجود لا من جهة ولا من مكان.

س: لماذا احتجنا إلى تأويل الوجه في قوله تعالى: ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ ولم نحمل اللفظ على حقيقته؟

ج:

لأنّ أهمّ معاني الوجه التي تصرف إليه عند إطلاقه إمّا العضو أو الجهة، فتحصل المناقاة وتكون الآية من المتشابهات؛ لأنّ:  
أولاً: إذا كان المقصود من الوجه هو العضو المهمّ من أعضائه فهذا عين التجسيم

المرفوض عقلاً وشرعاً؛ لأنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ كما هو لسان الآية المحكمة.

ثانياً: إذا كان المقصود من الوجه الجهة التي تحدّد الله فهنا نقول:

١- أن معنى الجهة هو الأمر الممتدّ في الوهم وله الأبعاد الثلاث من الطول والعرض

والعمق، فالجهة مركّبة والله بسيط الماهيّة، فلا يجوز أن تكون الجهة هي التي

تحدّد الله لاحتياجها إليه.

٢- إنَّ الجهة مخلوقة لله فلا تتقدّم عليه ولا تحاذيه في الوجود؛ لتقدّم الخالق على

مخلوقه.

٣- إنَّ الله منزّه قبل الجهات فلا بدّ أن يكون منزهاً بعدها؛ لأنَّ التغيير والتغيّر من

صفات الممكن لا الواجب.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته

التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال

الإخلاص له نفي الصفات عنه؛ لشهادة كلِّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلِّ

موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصفه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه

فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد

حدّه، ومن حدّه فقد عدّه...»<sup>(١)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# فہرِسِ الْکِتَابِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

# فهرس آیات السور

## سورة البقرة

٧	آیه ٤٨
٤٠	آیه ٤٩
٤٠	آیه ٤٩
١٤١	آیه ٥٠
١٥٣	آیه ٥١-٥٤
١٧٧	آیه ٥٥-٥٦
١٨١	آیه ٥٧
١٨٤	آیه ٥٨-٥٩
٢٠٢	آیه ٦٠
٢٠٤	آیه ٦١
٢٠٩	آیه ٦٢
٢١٤	آیه ٦٣-٦٤
٢١٩	آیه ٦٥-٦٦
٢٢٣	آیه ٦٧-٧٣



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

التجديد / ج ٢	٤٥٠
٢٣٤	آیه ٧٤
٢٤٢	آیه ٧٥-٨٢
٢٧٠	آیه ٨٣
٣٢٣	آیه ٨٤-٨٦
٣٣٩	آیه ٨٧-٨٨
٣٤٤	آیه ٨٩-٩٠
٣٥٢	آیه ٩٤-٩٦
٣٥٦	آیه ٩٧-١٠١
٣٦٣	آیه ١٠٢-١٠٣
٣٨٠	آیه ١٠٤
٣٨٤	آیه ١٠٥
٣٨٧	آیه ١٠٦-١٠٨
٣٩٩	آیه ١٠٩-١١٠
٤١٦	آیه ١١١-١١٣
٤٣٣	آیه ١١٤-١١٥



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## فهرس البحوث

- ٧..... ● الشفاعة في التشريع
- ١١..... الأول: الشفاعة في الدنيا.....
- ١٢..... أولاً: شفاعة التشريع الإلهي.....
- ١٣..... ثانياً: شفاعة التشريع الشيطاني.....
- ١٤..... الثاني: الشفاعة في الآخرة:.....
- ٣٤..... ● موسى ﷺ وحركة بني إسرائيل.....
- ٢٣٤..... ● فسوة القلب.....
- ٢٤٩..... ● التقليد.....
- ٢٧١..... ● الرالدان.....
- ٢٨٧..... ● ذو القربى وصلة الرحم.....
- ٢٩٣..... ● اليتيم في القرآن والسنة.....
- ٣٠١..... ● الفقراء والمساكين.....
- ٣١٥..... ● زكاة المال والأبدان.....
- ٣٢٨..... ● العذاب استحقاق وعدل.....
- ٣٦٧..... ● السحر.....
- ٣٨٧..... ● النسخ والبداء.....
- ٣٩٩..... ● الحسد مرض يصيب المجتمع كما يصيب الفرد.....
- ٤٢٠..... ● النية والقصد.....
- ٤٣٣..... ● المساجد أماكن عبادة ومنطلق للعمل.....



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي